النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٥

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

بسم الله الرحمن الرحیم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

كاتب:

جمال‌الدين ابی‌المحاسن يوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمية باصفهان للتحريات الکمبيوترية

الفهرس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۵

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوك مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۷]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله و صحابته و المسلمین

الجزء الخامس من کتاب النجوم الزاهرة

ذکر ولایة المستنصر بالله علی مصر

هو أبو تمیم معدّ الملقّب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دین اللّه علیّ بن الحاکم بأمر اللّه منصور بن العزیز بالله نزار بن المعزّ لدین اللّه معدّ أوّل خلفاء الفاطمیّین بمصر ابن المنصور بالله إسماعیل بن القائم بالله محمد بن المهدیّ عبید اللّه العبیدیّ الفاطمیّ المغربیّ الأصل، المصریّ المولد و المنشأ و الدار و الوفاة؛ و هو الخامس من خلفاء مصر من بنی عبید، و الثامن من المهدیّ عبید اللّه. ولی الخلافة بعد موت أبیه الظاهر لإعزاز دین اللّه فی یوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع و عشرین و أربعمائة. و کان عمره یوم ولی الخلافة سبع سنین و سبعة و عشرین یوما، و خیّن و هو ابن ستّ سنین.

قال الذهبیّ رحمه اللّه: «هو معدّ أبو تمیم الملقّب بأمیر المؤمنین المستنصر بالله ابن الظاهر بن الحاکم بأمر اللّه- و ساق بقیة نسبه بنحو ما سقناه إلی أن قال-:

بقی فی الخلافة ستّین سنة و أربعة أشهر؛ و هو الذی خطب له بإمرة المؤمنین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲

علی منابر العراق فی نوبة الأمیر أبی الحارث أرسلان المعروف بالبساسیریّ فی سنة إحدی و خمسین و أربعمائة. و لا أعلم أحدا فی الإسلام، لا خلیفة و لا سلطانا، طالت مدّته مثل المستنصر هذا. و ولی و هو ابن سبع سنین. و لمّا کان فی سنة ثلاث و أربعین و أربعمائة قطع الخطبة له من المغرب الأمیر المعزّ بن بادیس- و قیل:

بل قطعها فی سنة خمس و ثلاثین- و خطب لبنی العبّاس و خرج عن طاعة بنی عبید الباطنیّة. و حدث فی أیّام المستنصر بمصر الغلاء الذی ما عهد بمثله منذ زمان یوسف علیه السلام، و دام سبع سنین حتّی أکل الناس بعضهم بعضا، حتّی قیل: إنّه بیع رغیف واحد بخمسین دینارا- فإنّا للّه و إنّا الیه راجعون- و حتّی إنّ المستنصر هذا بقی یرکب وحده، و خواصّه لیس لهم دوابّ یرکبونها؛ و إذا مشوا سقطوا من الجوع؛ و آل الأمر إلی أن استعار المستنصر بغلة یرکبها من صاحب دیوان الإنشاء.

و آخر شیء نزحت أمّ المستنصر و بناته إلی بغداد خوفا من أن یمتن جوعا. و کان ذلک فی سنة ستّین و أربعمائة. و لم یزل هذا الغلاء حتّی تحرّک الأمیر بدر الجمالیّ والد الأفضل أمیر الجیوش من عکّا و رکب فی البحر و جاء إلی مصر و تولّی تدبیر الأمور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳

و شرع فی إصلاح الأمر. و توفّی المستنصر فی ذی الحجة. و فی دولته کان الرّفض و السبّ فاشیا مجهرا، و السنّة و الإسلام غریبا! فسبحان الحلیم الخبیر الذی یفعل فی ملکه ما یرید. و قام بعده ابنه المستعلی أحمد، أقامه أمیر الجیوش الأفضل.

و استقامت الأحوال؛ فخرج أخوه نزار من مصر خفیة، فسار إلی ناصر الدولة أمیر الإسکندریة، فأعانه و دعا إلیه، فتمّت بین أمیر الجیوش و بینهم حروب و أمور إلی أن ظفر بهم». انتهی کلام الذهبیّ فی أمر المستنصر.

و نشرع الآن فی ذکر المستنصر و أمر الغلاء بأوسع ممّا ذکره الذهبیّ من أقوال جماعة من المؤرّخین و غیرهم.

قال العلّامة أبو المظفّر فی تاریخه: «و لم یل أحد من الخلفاء الأمویّین و لا العباسیّین و لا المصریّین مثل هذه المدّة (یعنی مدّة إقامة المستنصر فی الخلافة ستّین سنة) قال: و عاش المستنصر سبعا و ستّین سنة و خمسة أشهر فی الهزاهز و الشدائد و الوباء و الغلاء و الجلاء و الفتن. و کان القحط فی أیّامه سبع سنین مثل سنی یوسف الصدّیق صلوات اللّه و سلامه علیه، من سنة سبع و خمسین إلی سنة أربع و ستّین و أربعمائة. أقامت البلاد سبع سنین یطلع النیل فیها و ینزل، و لا یوجد من یزرع لموت النّاس و اختلاف الولاة و

الرعيّة، فاستولى الخراب على كلّ البلاد، و مات أهلها، و انقطعت السّبل برّا و بحرّا. و كان معظم الغلاء سنة اثنتين و ستّين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴

و قال أبو يعلى بن القلانسيّ: «فى أيّامه (يعنى المستنصر) ثارت الفتن فى بنى حمدان و أكابر القوّاد، و غلت الأسعار، و اضطربت الأحوال، و اختلّت الأعمال، و حصر فى قصره و طمع فيه. و لم يزل على ذلك حتّى استدعى أمير الجيوش بدرا الجماليّ من عكّا إلى مصر فاستولى على التدبير، و قتل جماعة ممّن يطلب الفساد، فتمهّدت الأمور؛ و لم يبق للمستنصر أمر و لا- نهى إلّا الركوب فى العيدين. و لم يزل كذلك حتّى مات بدر الجماليّ و قام بعده ولده الأفضل. و لمّا مات المستنصر و قام المستعلى مقامه و تقرّرت الأمور، خرج عبد اللّه و نزار ابنا المستنصر من مصر خفية، و قصد نزار الإسكندريّة إلى ناصر الدولة و اليها، و جرت بينه و بين الأفضل حروب بسبب ذلك إلى أن ثبت أمر المستعلى». انتهى كلام أبى يعلى باختصار.

قلت: و أمّا ما ذكره الذهبيّ- رحمه اللّه- من الخطبة للمستنصر على منابر بغداد و بالعراق كلّه، و خلع القائم بأمر اللّه العبّاسىّ من الدعوة، فكان من قصّته أنّ السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵

طغرلبك اشتغل بحصار تلك النّواحى و نازل الموصل، ثمّ توجّه إلى نصيبين لفتح الجزيرة و تمهيدها. و أرسل الأمير أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرىّ إلى إبراهيم ينّال أخى السلطان طغرلبك لينجده؛ فأخذ البساسيرىّ يعده و يمنّيه و يطمعه فى الملك حتّى أصغى إليه و خالف أخاه طغرلبك. و ساق إبراهيم ينّال فى طائفة من العسكر إلى الرّىّ.

و بلغ السلطان طغرلبك خبر عصيان إبراهيم فانزعج، و سار وراءه و ترك بعض عسكره فى ديار بكر مع زوجته الخاتون و وزيره عميد الملك الكندرىّ، فتفرّقت العساكر.

و عادت زوجته الخاتون بالعسكر الذى صحبها إلى بغداد. و أمّا زوجها السلطان طغرلبك فإنّه التقى هو و أخوه إبراهيم ينّال و تقاتلا، فظفر عليه أخوه إبراهيم ينّال و انهزم السلطان طغرلبك إلى همذان؛ فساق أخوه إبراهيم خلفه و حاصره بها. فعزمت الخاتون على إنجاد زوجها. و اختبطت بغداد و عظم البلاء بها، و قامت الفتنة على ساق. و تمّ للأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرىّ ما دبّره من المكر. و أرجف النّاس ببغداد بمجىء البساسيرىّ. و نفر الوزير عميد الملك وزير طغرلبك و الأمير أنوشروان إلى الجانب الغربىّ من بغداد و قطعا الجسر. و نهبت الغزّ دار خاتون. و أكل القوىّ الضعيف. و وقع ببغداد و أعمالها أمور هائلة شنعة. ثمّ دخل الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶

أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ بغداد فى ثامن ذى القعدة بالرّايات المستنصريّة و عليها ألقاب المستنصر هذا صاحب مصر؛ فمال إلى البساسيرىّ أهل باب الكرخ و فرحوا به لكونهم رافضة، و البساسيرىّ و خلفاء مصر أيضا رافضة؛ فانضمّوا إلى البساسيرىّ و تشفّوا من أهل السّنّة، و شمخت أنوف المنافقين الرافضة، و أعلنوا بالأذان ب «حىّ على خير العمل» ببغداد. و اجتمع خلق من أهل السنّة على الخليفة القائم بأمر اللّه العباسىّ و قاتلوا معه، و فشت الحرب بين الفريقين فى السفن أربعة أيام. و خطب يوم الجمعة ثالث عشر ذى القعدة ببغداد للمستنصر هذا صاحب الترجمة بجامع المنصور و أذّنوا ب «حىّ على خير العمل». و عقد الجسر و عبرت عساكر البساسيرىّ إلى الجانب الشرقىّ؛ فحندق الخليفة القائم بأمر اللّه على نفسه حول داره و حول نهر المعلّى، فأحرقت الغوغاء نهر المعلّى و نهبت ما فيه، و قوى البساسيرىّ و تفلّل عن الخليفة القائم أكثر النّاس. فاستجار القائم بقريش بن بدران أمير العرب، و كان مع البساسيرىّ، فأجاره و من معه و أخرجه إلى مخيّمه. و قبض البساسيرىّ على وزير القائم بأمر اللّه رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة، و قيّده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷

و شهّره على جمل و عليه طرطور و عباءة، و جعل فى رقبته قلائد كالمسخرة و طيف به بالشوارع، و خلفه من يصفعه، ثم سلخ له ثور

و ألبس جلده و خيط عليه، و جعلت قرون الثور فى رأسه، ثمّ علّق على خشبة، و عمل فى فيه كلّو بان، فلم يزل يضطرب حتّى مات رحمه اللّه. و نصب للقائم الخليفة خيمة صغيرة بالجانب الشرقىّ فى المعسكر، و نهبت العامّة دار الخلافة، فأخذوا منها ما لا يحصى و لا يوصف كثرة. فلمّا كان يوم الجمعة رابع ذى الحجة لم تصلّ الجمعة بجامع الخليفة، و خطب بسائر الجوامع للمستنصر المذكور، و قطعت الخطبة العباسيّة بالعراق. و هذا شيء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر.

ثم حمل القائم بأمر اللّه إلى حديثة عانة فجلس بها، و سلّم إلى صاحبها مهارش.

و ذلك أن البساسيرىّ و قريشا اختلفا فى أمر القائم بأمر اللّه، ثمّ وقع اتفاقهما بعد أمور على أن يكون عند مهارش إلى أن يتّفقا على ما يتّفقان عليه فى أمره. ثمّ جمع أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ القضاة و الأشراف ببغداد، و أخذ عليهم البيعة للمستنصر العبيدىّ صاحب الترجمة فبايعوا قهرا على رغم الأنف.

و قال الشيخ عزّ الدّين ابن الأثير فى تاريخه: «إنّ إبراهيم ينّال كان أخوه السلطان طغرلبك قد ولّاه الموصل عام أوّل، و إنّه فى سنة خمسين فارق [الموصل] و رحل نحو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸

بلاد الجبل، فنسب السلطان رحيله إلى العصيان، فبعث وراءه رسولا معه الفرجيّة التى خلعها عليه الخليفة. و لمّا فارق الموصل قصدها البساسيرىّ و قريش بن بدران و حاصراها، و أخذا البلد ليومه، و بقيت القلعة، فحاصراها أربعة أشهر حتّى أكل أهلها دوابّهم ثمّ سلّموها بالأمان، فهدمها البساسيرىّ و عفّى أثرها. و سار طغرلبك بجريدة فى ألفين إلى الموصل، فوجد البساسيرىّ و قريشا فارقاها فساق وراءهم، ففارقه أخوه و طلب همذان فوصلها فى رمضان. قال: و قد قيل إنّ المصريّين كاتبوه، و إن البساسيرىّ استماله و أطمعه فى السلطنة، فسار طغرلبك فى أثره (يعنى أثر أخيه إبراهيم ينّال).

قال: و أمّا البساسيرىّ فوصل إلى بغداد فى ثامن ذى القعدة و معه أربعمائة فارس على غاية الضّر و الفقر، فنزل بمشرعة الروايا، و نزل قريش فى مائتى فارس عند مشرعة باب البصرة، و مالت العامّة للبساسيرىّ: أما الشّيعة فللمذهب، و أمّا أهل السنة فلما فعل بهم الأتراك. و كان رئيس الرؤساء لقلّة معرفته بالحرب و لما عنده من ضعف البساسيرىّ يرى المبادرة إلى الحرب؛ فاتّفق أنه فى بعض الأيام التى تحاربوا فيها حضر القاضى الهمذانىّ عند رئيس الرؤساء، ثمّ استأذن فى الحرب و نمن له قتل البساسيرىّ، فأذن له من غير أن يعلم عميد العراق، و كان رأى عميد العراق المطاولة رجاء أن ينجدهم طغرلبك، فخرج الهمذانىّ بالهاشميّين و الخدم و العوامّ إلى الحلبة و أبعدوا؛ و البساسيرىّ يستجرّهم. فلمّا أبعدوا حمل عليهم فانهزموا، و قتل جماعة و هلك آخرون فى الزّحمة بباب الأزج. و كان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹

فدخل داره و هرب كلّ من فى الحريم؛ و لطم عميد العراق على وجهه كيف استبدّ رئيس الرؤساء بالأمر و لا معرفة له بالحرب. فاستدعى الخليفة عميد العراق و أمره بالقتال على سور الحريم، فلم يرعهم إلا الزّعقات؛ و قد نهب الحريم و دخلوا من باب النّوبى، فركب الخليفة لابسا للسّواد و على كتفه البردة و على رأسه اللّواء و بيده السيف و حوله زمرة من العباسيّين و الخدم بالسيوف المسلّلة، فرأى النّهب إلى باب الفردوس من داره، فرجع إلى ورائه نحو عميد العراق، فوجده قد استأمن إلى قريش، فعاد و صعد إلى المنظرة. وصاح رئيس الرؤساء: علم الدّين (يعنى قريشا) أمير المؤمنين يستدنيك، فدنا منه؛ فقال: قد أنالك اللّه منزلة لم ينلها أمثالك، و أمير المؤمنين يستذمّ منك على نفسه و أصحابه بذمام اللّه و ذمام رسوله و ذمام العربيّة؛ فقال: قد أذمّ اللّه تعالى له؛ قال: ولى و لمن معه؟ قال نعم؛ و خلع قلنسوته و أعطاها الخليفة، و أعطى رئيس الرؤساء بحضرته ذماما. فنزل إليه الخليفة و رئيس الرؤساء و سارا معه. فأرسل إليه البساسيرىّ يقول: أ تخالف ما استقرّ بيننا؟- و كانا قد تحالفا ألّا ينفرد أحدهما عن الآخر بشىء، و يكون العراق بينهما نصفين- فقال قريش: ما عدلت عمّا استقرّ بيننا، عدوّك ابن المسلمة (يعنى رئيس الرؤساء) فخذه، و أنا آخذ الخليفة، فرضى

البساسیریّ بـذلک. فبعث رئیس الرؤساء إلیه مع منصور بن مزیـد، فحین رآه البساسـیریّ قال مرحبا بمـدمّر الدولـة، و مهلک الأمم، و مخرّب البلاد، و مبید العباد. فقال له: أیّها الأجلّ، العفو عند المقدرة. فقال:

قد قدرت فما عفوت، و أنت تاجر صاحب طیلسان، و لم تبق علی الحریم و الأموال

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰

و الأطفـال، فکیف أعفو عنک و أنا صاحب سـیف و قـد أخـذت أموالی و عاقبت أصـحابی و درست دوری و سـببتنی و أبعـدتنی!. و اجتمع العوامّ علی ابن المسلمة (یعنی رئیس الرؤساء) و سبّوه و لعنوه و همّوا به. فأخذه البساسیریّ بیده و سیّره إلی جانبه خوفا علیه من العامّـة. و حصل فی یـد البساسـیریّ جمیع من کان یطلبه مثل ابن المردرسـیّ، و أبی عبـد اللّه الـدّامغانیّ قاضـی القضاة، و هبـة اللّه بن المأمون، و أبی علیّ بن الشّـیروانیّ، و أبی عبـد اللّه بن عبد الملک؛ و کان من التّجار الکبار و بینه و بین البساسیریّ عداوة، و کان قد سکن فی دار الخلافـة خوفا منه علی ماله و نعمته. و ظفر بالسـیدة خاتون بنت الأمیر داود زوجـة الخلیفة، فأحسن معاملتها و لم یتعرّض لها.

و أمّا قریش فحصل فی یـده الخلیفـة و عمیـد العراق و أبو منصور [بن] یوسف و ولده؛ فحمل الحلیفة إلی معسکره راکبا و علی کنفه البردة و بیـده سـیف مسـلول و علی رأسه اللّواء. و لحق الخلیفة ذرب عظیم قام منه فی الیوم مرارا، و امتنع من الطّعام و الشـراب؛ فسأله قریش و ألـحّ علیه حتّی أکـل و شـرب، و حمله فی هودج و سار به إلی حدیثـة عانـة فنزل بها. و سار حاشـیة الخلیفـة علی حامیـة إلی السلطان طغرلبک مستنفرین له.

و لمّا وصل الخلیفة إلی الأنبار شـکا البرد، فبعث یطلب من متولّیها ما یلبس، فأرسل إلیه جبّة و لحافا. و رکـب البساسـیریّ یوم الأضحی و علی رأسه الألویة المصـریّة و عبر إلی المصـلّی بالجانب الشـرقیّ، و أحسن إلی الناس، و أجری الجرایات علی الفقهاء، و لم یتعصّب لمذهب، و أفرد لوالدة الخلیفة دارا و راتبا، و کانت قد قاربت التسعین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱

سنـة. ثمّ فی آخر ذی الحجّـة أخرج رئیس الرؤسـاء مقیّـدا و علی رأسه طرطور، و فی رقبته مخنقـة جلود، و هو یقرأ: قُلِ اللَّهُمَّ مـالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ ... الآیة.

فبصق أهل الکرخ فی وجهه، لأنّه کان متعصّبا لأهل السّنّة، رحمه اللّه، ثمّ صلب علی صورة ما ذکرناه أوّلا.

و أمّا عمیـد العراق فقتله البساسیری أیضا، و کان شـجاعا شـهما، و هو الذی بنی رباط شـیخ الشیوخ. ثمّ بعث البساسـیریّ البشائر إلی مصر، و کان وزیر المستنصر هناک أبا الفرج بن أخی أبی القاسم المغربیّ، و کان أبو الفرج ممّن هرب من البساسیریّ، فذمّ للمستنصر فعله و خوّفه من سوء عـاقبته؛ فترکـت أجوبته مـدّة، ثمّ عادت علی البساسـیریّ بغیر الـذی أمّله، فسار البساسـیریّ إلی البصـرة و واسط و خطب بهما أیضا للمستنصـر. و أمّا طغرلبک فإنّه انتصر فی الآخر علی أخیه إبراهیم ینّال و قتله، و کرّ راجعا إلی العراق، لیس له همّ إلّا إعادة الخلیفة إلی رتبته.

و فی الجملة أنّ الذی حصل للمستنصر فی هذه الواقعة من الخطبة باسمه فی العراق و بغداد لم یحصل ذلک لأحد من آبائه و أجداده. و لو لا تخوّف المستنصـر من البساسیریّ و ترک تحریضه علی ما هو بصدده و إلا کانت دعوته تتمّ بالعراق زمانا طویلا، فإنّه کان أوّلا أمدّ البساسـیریّ بجمل مسـتکثرة. فلو دام المستنصـر علی ذلک لکان البساسـیریّ یفتتح له عدّة بلاد. قال الحسن بن محمد العلویّ: «إنّ الذی وصل إلی البساسیریّ من المستنصر من المال خمسمائة ألف دینار، و من الثیاب ما قیمته

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲

مثل ذلک، و خمسـمائة فرس، و عشرة آلاف قوس، و من السیوف ألوف، و من الرماح و النّشّاب شیء کثیر». یعنی قبل هذه الواقعة؛ و لهذا قلنا: لو دام المستنصر علی عطائه للبساسیریّ لکان افتتح له عدّة بلاد. قلت: و للّه الحمد علی ما فعله المستنصر من التقصیر فی حقّ

البساسيرىّ، و إلّا فكانت السّنّة تذهب بالعراق، و تملكها الرافضة بأجمعها كما كان وقع بمصر فى أيّام دولة الفاطميّين (أعنى صاحب الترجمة و آباءه).

و لمّا خطب البساسيرىّ فى بغداد باسم المستنصر معدّ هذا غنّته مغنّية بقولها:

[الرمل]

يا بنى العبّاس صدّوا ملك الأمر معدّ

ملككم كان معارا و العوارى تستردّ

فطرب المستنصر لذلك و وهبها أرضا بمصر رزقة لها جائزة لإنشادها هذا الشعر، و تلك الأرض الآن تعرف بأرض الطّبّالة بالقرب من بركة الرّطلىّ لكونها غنّته بهذه الأبيات و هى تطبّل بدفّ كان فى يدها، فعرفت بأرض الطّبّالة، و حكرت الأرض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳

المذكورة و بنيت. و كان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده. و من حينئذ أخذ أمره فى إدبار من وقوع الغلاء و الوباء بالديار المصريّة. و قاسى النّاس شدائد، و اختلّ أمر مصر- على ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى فى وقته من هذه الترجمة- من استيلاء ناصر الدولة بن حمدان على ممالك الديار المصريّة، و زاد ابن حمدان فى عطاء الجند حتّى نفدت الخزائن، و قلّت الارتفاعات. و اتّفق ابن حمدان مع الشريف أبى طاهر حيدرة بن الحسن الحسينىّ، و كان قد نفاه بدر الجمالىّ من دمشق، و كان محبّبا للناس، و تلقّبه العامّة بأمير المؤمنين، و كان لمّا نفاه بدر الجمالى من دمشق دخل إلى مصر شاكيا إلى ابن حمدان من بدر الجمالىّ- فاتّفق ابن حمدان و الشريف و حازم و حميد ابنا بحرّاح و هما من أمراء عرب الشام، و كان لهما فى حبس المستنصر نيّف و عشرون سنة، فأخرجهما ابن حمدان و اتّفقوا على الفتك ببدر الجمالىّ، فأعطاهم ابن حمدان أربعين ألف دينار ينفقونها فى هذا الوجه. و تحدّث ابن حمدان بأن يرتّب الشريف إذا عاد مكان المستنصر فى الخلافة لنسبه الصحيح. و انقسم عسكر مصر قسمين:

قسما مع ابن حمدان، و قسما عليه؛ و زادت مطالبة ابن حمدان بالأموال حتى استوعبها و أخرج جميع ما فى القصر من ثياب و أثاث و باعها بالثمن البخس. و حالف الأتراك سرّا على المستنصر. و علم المستنصر بما فعله مضافا لما سمع عنه من أمر الشّريف، فقلق و أرسل لابن حمدان يقول: بأنّك قدمت علينا زائرا و جئتنا ضيفا؛ فقا بلناك بالإحسان و أكرمناك، فقابلتنا بما لا نستحقّه منك؛ و نحن عليك صابرون، و عنك مغضون. و قد انتهت بك الحال إلى محالفة العسكر علينا و السعى فى إتلافنا، و ما ذاك مما يهمّك؛ و نحبّ أن تنصرف عنّا موفورا فى نفسك و مالك، و إلّا قابلناك على قبيح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴

أفعالك. فأغلظ ابن حمدان فى الجواب و استهزأ بالرسول. فبعث المستنصر إلى إلدكز الملقّب بأسد الدولة، و كان شيخ الأتراك و المقدّم عليهم، و كان من المخالفين على ابن حمدان؛ فاستحضره و استحلفه و توثّق منه و من جماعة ممّن جرى مجراه، و جمع الأتراك الذين معه و المغاربة و كتامة إلى باب القصر. و عرف ابن حمدان بذلك فبرز بخيمة إلى بركة الحبش، و أخرج المستنصر خيمته الحمراء، و تسمّى خيمة الدّم، فضربها بين القصرين من القاهرة. و اجتمع الناس على المستنصر، و ركب و سار إلى حرب ابن حمدان. و التقوا بمكان يعرف بالباب الجديد، فورد أكثر من كان مع ابن حمدان بالأمان إلى المستنصر. و كان فى جملة من ورد الأمير أبو علىّ ابن الملك أبى طاهر ابن بويه، ثمّ قتل المذكور بعد ذلك بمدّة. و وقع القتال فانكسر ابن حمدان و هرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵

بنفسه إلى الإسكندريّة، و نهبت دوره و أمواله و دور أصحابه. و مضى ابن حمدان إلى حىّ من العرب و تزوّج منهم و قوى بهم، فصار يشنّ الغارات على أعمال مصر؛ و يبعث إليه المستنصر فى كلّ وقت جيشا فيهزمه ابن حمدان. و لا زال على ذلك حتّى جمع ابن حمدان جمعا كبيرا و نزل الصالحيّة؛ فخرج إليه من كان يهواه من المشارقة، و امتدّت عسكره نحو عشرة فراسخ و حاصر مصر؛

فضعف المستنصر عن مقاومته و انحصر بالقاهرة. و طال الحصار و غلت الأسعار حتّى بلغت الرّاوية الماء ثلاثة عشر قيراطا، و كلّ ثلاثة عشر رطلا- من الخبز دينارا، و عدمت الأقوات، فضجّ العوامّ، فخاف المستنصر أن يسلّموه إليه، فراسله و صالحه. و اقترح عليه ابن حمدان إبعاد الدكز و من يعاديه من المشارقة، و أن ينفرد ابن حمدان بالبلاد و تدبير الأمور و العساكر، فرضى المستنصر بذلك كلّه؛ و رفع الحصار عن مصر، و عادت الأمور إلى ما كانت عليه.

فهرب غالب من كان مع المستنصر إلى الشام، و وفدوا على صاحبها بدر الجمالىّ. و كان بدر الجمالىّ يكره ابن حمدان و الشريف المذكور. ثمّ ظفر الجمالىّ بالشريف المذكور و قتله خنقا. على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى. و صار المستنصر فى قصره كالمحجور عليه و لا حكم له.

هذا و الغلاء بمصر يتزايد، حتّى إنّه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحدّ، و الجوع الذى لم يعهد مثله فى الدنيا، فإنّه مات أكثر أهل مصر، و أكل بعضهم بعضا. و ظهروا على بعض الطبّاخين أنّه ذبح عدّة من الصّبيان و النساء و أكل لحومهم و باعها بعد أن طبخها. و أكلت الدوابّ بأسرها، فلم يبق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶

لصاحب مصر- أعنى المستنصر- سوىّ ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس و جمل و دابّة. و بيع الكلب بخمسة دنانير، و السّنّور بثلاثة دنانير.

و نزل الوزير أبو المكارم وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته و ليس معه إلّا غلام واحد، فجاء ثلاثة و أخذوا البغلة منه، و لم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها و أكلوها، فأخذوا و صلبوا، فأصبح الناس فلم يروا إلّا عظامهم، أكل الناس فى تلك الليلة لحومهم. و دخل رجل الحمّام فقال له الحمّامىّ: من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عزّ الدولة أو فخر الدولة؟ فقال له الرجل: أ تهزأ بى! فقال: لا و اللّه، انظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدّولة و رؤساؤها صاروا يخدمون الناس فى الحمّام لكونهم باعوا جميع موجودهم فى الغلاء و احتاجوا إلى الخدمة.

و أعظم من هذا أنّ المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميع موجوده و جميع ما كان فى قصره حتّى أخرج ثيابا كانت فى القصر من زمن الطائع الخليفة العباسىّ، لمّا نهب بهاء الدولة دار الخليفة فى إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و أشياء أخر أخذت فى نوبة البساسيرىّ، و كانت هذه الثياب التى لخلفاء بنى العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبنى العبّاس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبنى العبّاس. فلمّا ضاق الأمر على المستنصر أخرجها و باعها بأبخس ثمن لشدّة الحاجة. و أخرج المستنصر أيضا طستا و إبريقا بلّورا يسع الإبريق رطلين ماء، و الطّست أربعة أرطال، و أظنّه بالبغدادىّ، فبيعا باثنى عشر درهما فلوسا، ثمّ باع المستنصر من هذا البلور ثمانين ألف قطعة. و أمّا ما باع من الجواهر و اليواقيت و الخسروانىّ فشىء لا يحصى. و أحصى من الثياب التى أبيعت فى هذا الغلاء من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷

قصر الخليفة ثمانون ألف ثوب، و عشرون ألف درع، و عشرون ألف سيف محلّى؛ و باع المستنصر حتّى ثياب جواريه و تخوت المهود، و كان الجند يأخذون ذلك بأقلّ ثمن. و باع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق. و بيعت البيضة بدينار، و الإردبّ القمح بمائة دينار فى الأوّل، ثمّ عدم وجود القمح أصلا. و كان السّودان يقفون فى الأزقّة يخطفون النساء بالكلاليب و يشرّحون لحومهنّ و يأكلونها، و اجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر و كانت سمينة، فعلّقها السّودان بالكلاليب و قطعوا من عجزها قطعة، و قعدوا يأكلونها و غفلوا عنها، فخرجت من الدار و استغاثت، فجاء الوالى و كبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى، و قتل السّودان. و احتاج المستنصر فى هذا الغلاء حتّى إنّه أرسل فأخذ قناديل الفضّة و الستور من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. و خرجت امرأة من القاهرة فى هذا الغلاء و معها مدّ جوهر، فقالت: من يأخذ هذا و يعطينى عوضه دقيقا أو قمحا؟ فلم يلتفت

إليها أحد؛ فألقته فى الطريق و قالت: هذا ما ينفعنى وقت حاجتى فلا حاجة لى به بعد اليوم؛ فلم يلتفت إليه أحد و هو مبدّد فى الطريق! فهذا أعجب من الأوّل.

و قيل: إنّ سبب ما حصل لمصر من الخلل فى أوّل الأمر الفتنة التى كانت بمصر فى أيّام المستنصر هذا بين الأتراک و العبيد، و هو أنّ المستنصر كان من عادته

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸

فى كلّ سنة أن يركب على النّجب مع النساء و الحشم إلى جبّ عميرة، و هو موضع نزهة، فيخرج إليه بهيئة أنّه خارج إلى الحجّ على سبيل الهزء و المجانة، و معه الخمر فى الرّوايا عوضا عن الماء و يسقيه الناس، كما يفعل بالماء فى طريق مكّة. فلمّا كان فى جمادى الآخرة خرج على عادته المذكورة، فاتّفق أنّ بعض الأتراک جرّد سيفا فى سكرته على بعض عبيد الشّراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد فقتلوه؛ فاجتمع الأتراک بالمستنصر هذا و قالوا له: إن كان هذا عن رضاک فالسمع و الطاعة، و إن كان عن غير رضاک فلا نرضى بذلک، فأنكر المستنصر ذلک؛ فاجتمع جماعة من الأتراک و قتلوا جماعة من العبيد بعد أن حصل بينهم و بين العبيد قتال شديد على كوم شريک و انهزم العبيد من الأتراک. و كانت أمّ المستنصر تعين العبيد بالأموال و السّلاح؛ فظفر بعض الأيام أحد الأتراک بذلک، فجمع طائفة الأتراک و دخلوا على المستنصر و قاموا عليه و أغلظوا له فى القول، فحلف لهم أنّه لم يكن عنده خبر.

و صار السيف قائما بينهم. ثمّ دخل المستنصر على والدته و أنكر عليها. و دامت الفتنة بين الأتراک و العبيد إلى أن سعى وزير الجماعة أبو الفرج بن المغربىّ- و أبو الفرج هذا هو أوّل من ولى كتابة الإنشاء بمصر- و لا زال الوزير أبو الفرج هذا يسعى بينهم

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹

حتى اصطلحوا صلحا يسيرا، فآجتمع العبيد و خرجوا إلى شبرى دمنهور. فكانت هذه الواقعة أوّل الاختلاف بديار مصر؛ فإنّه قتل من الأتراک و العبيد خلائق كثيرة، و فسدت الأمور فطمع كلّ أحد. و كان سبب كثرة السودان ميل أمّ المستنصر إليهم؛ فإنّها كانت جارية سوداء لأبى سعد التّسترىّ اليهودىّ. فلمّا ولى المستنصر الخلافة و مات الوزير صفىّ الدين الجرجرائىّ فى سنة ستّ و ثلاثين حكمت والدة المستنصر على الدولة، و استوزرت سيّدها أبا سعد المذكور، و وزر لابنها المستنصر الفلّاحىّ، فلم يمش له مع أبى سعد حال؛ فاستمال الأتراک و زاد فى واجباتهم حتّى قتلوا أبا سعد المذكور؛ فغضبت لذلک أمّ المستنصر و قتلت أبا منصور الفلّاحىّ، و شرعت فى شراء العبيد السّود، و جعلتهم طائفة و استكثرت منهم. فلمّا وقع بينهم و بين الأتراک قامت فى نصرهم.

و قال الشيخ شمس الدين بن قزأوغلى فى المرآة: «و كلّ هذه الأشياء كان ابن حمدان سببها، و وافق ذلک انقطاع النيل؛ و ضاقت يد أبى هاشم محمد أمير مكّة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰

بانقطاع ما كان يأتيه من مصر، فأخذ قناديل الكعبة و ستورها و صفائح الباب و الميزاب، و صادر أهل مكّة فهربوا. و كذا فعل أمير المدينة مهنأ، و قطعا الخطبة للمستنصر، و خطبا لبنى العبّاس الخليفة القائم بأمر اللّه، و بعثا إلى السلطان ألب أرسلان السّلجوقىّ حاكم بغداد بذلک، و أنهما أذّنا بمكّة و المدينة الأذان المعتاد، و تركا الأذان ب «حىّ على خير العمل»؛ فأرسل ألب أرسلان إلى صاحب مكّة أبى هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار، و إلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار. و بلغ الخبر بذلک المستنصر، فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه و رعيّته من عظم الغلاء. و قد كاد الخراب أن يستولى على سائر الإقليم. و دخل ابن الفضل على القائم بأمر اللّه العبّاسىّ ببغداد، و أنشده فى معنى الغلاء الذى شمل مصر قصيدة، منها:

[الطويل]

و قد علم المصرىّ أنّ جنوده سنو يوسف منها و طاعون عمواس

أحاطت به حتى استراب بنفسه و أوجس منها خيفة أىّ إيجاس

قلت: و هذا شأن أرباب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه و لو هلك العالم معه. و هذا البلاء من تلك الأيّام إلى يومنا هذا. ثمّ فی سنة ستّ و ستين سار بدر الجمالیّ أمير الجيوش من عكّا إلی مصر، و معه عبد اللّه بن المستنصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان بمدّة. و اسم ابن حمدان الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبیّ الأمير ناصر الدولة ذو المجدين.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱

ذكر سبب قتل ابن حمدان المذكور

و سببه أنّه كان ابن حمدان اتّفق مع إلدكز التركیّ، و كان إلدكز تزوّج بابنته؛ فاتّفقا اتفاقا كلّيا و تحالفا و أمن أحدهما للآخر. و وصل ناصر الدولة إلی مصر- أعنی بعد توجهه إلی الإسكندرية حسب ما ذكرناه- علی طمأنينة مرتّبا للمواكب و العساكر، فركب إلدكز يوم الجمعة مستهلّ شهر رمضان فی خمسين فارسا، و كان له غلام يقال له: أبو منصور كمشتكين و يلقّب حسام الدولة؛ و كان يثق به. فقال له الدكز: أريد أن أطلعك علی أمر لم أر له أهلا غيرك؛ قال: و ما هو؟ قال: قد علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء و الغلاء و الجلاء، و قد عزمت علی قتله، فهل فيك موافقة و مشاركة و أريح الإسلام منه؟ فقال نعم، و لكن أخاف أن يفلت فتتبرّأ منّی؛ قال لا، و قصدوا ابن حمدان قبل أن يلحقه أصحابه و استأذنوا عليه، فأذن لهم فدخلوا و الفرّاشون ينفّضون البسط ليقعد عليها ابن حمدان، و هو يتمشّی فی صحن الدار، و مشی الدكز معه، ثم تأخّر عنه و ضربه ب «يافروت» كان معه، و هو سكّين مغربیّ فی خاصرته، و ضربه كمشتكين فقطع رجليه، فصاح: فعلتموها! فحزّوا رأسه. و كان محمود بن ذبيان أمير بنی سنبس فی خزانة الشّراب، فدخلوا عليه و قتلوه. ثم خرجوا إلی دار كان فيها فخر العرب ابن حمدان و قد شرب دواء و عنده الأمير شاور فقتلوهما. و خرجوا إلی خيمة الأمير تاج المعالی بن حمدان أخی ناصر الدولة، و كان علی عزم المسير إلی الصعيد، فهرب إلی خراب مقابل خيمته، فكمن فيه فرآه بعض العبيد فأعطاه معضدة فيها مائة دينار، و قال له: اكتم علیّ؛

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲

فأخذها العبد و جاء إلی الدكز و نمّ عليه، فدخل و قتله. و انهزم ابن أخی ابن المدبر فی زیّ المكدّين فأخذ، و كان قد تزوّج بإحدی بنات نزار بن المستنصر الخليفة، فقطع ذكره و جعل فی فمه ثمّ قتل. و قطّع ابن حمدان قطعا، و أنفذ كلّ قطعة إلی بلد. و جاءوا إلی القصر إلی الخليفة المستنصر هذا و معهم الرءوس، و أرسلوا إلی الخليفة و قالوا: قد قتلنا عدوّك و عدوّنا، من أخرب البلاد و قتل العباد، و نريد من المستنصر الأموال. فقال المستنصر: أمّا المال فما نزك ابن حمدان عندی مالا.

و أمّا ابن حمدان فما كان عدوّی، و إنّما كانت الشّحنة بينك و بينه يا إلدكز، فهلكت الدنيا بينكما، و إنّی ما اخترت ما فعلت من قتله و لا رضيته، و ستعلم غبّ الغدر، و نقض العهد. و وقع بينهما كلام كثير. و آل الأمر إلی بيع المستنصر قطع مرجان و عروضا و حمل إلی إلدكز و رفقته مالا من أثمان ذلك و غيره. ثمّ علم المستنصر أنّ أمره يؤول مع إلدكز إلی شرّ حال؛ فلذلك أرسل أحضر بدرا الجمالیّ المقدّم ذكره.

و لما حضر بدر الجمالیّ إلی مصر وجد إلدكز تغلّب عليها. و وصل إلی دمياط و بها ابن المدبّر، و كان قد هرب منه، فقتله و صلبه، و عاد إلی مصر، و اتفق مع بدر الجمالیّ و تحالفا و تعاهدا. فلم يكن إلّا مدّة يسيرة و قبض بدر الجمالیّ علی إلدكز و أهانه و عذّبه و طالبه بالمال؛ فلم يظهر سوی اثنی عشر ألف دينار، و كان له من الأموال و الجواهر شیء كثير إلّا أنّه لم يقرّبه، فقتله بدر الجمالیّ، و قيل: هرب إلی الشام.

و أخذ بدر الجمالیّ فی إصلاح امور الديار المصريّة: انتزع الشرقية من أيدی عرب لواتة، و قتل منهم مقتلة عظيمة و أسر أمراءهم، و أخذ منهم أموالا جمّة. و عمّر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳

الريف فرخصت الأسعار و رجعت إلى عادتها القديمة. ثمّ أخذ الإسكندرية و سلّمها إلى القاضى ابن المحيرق. و أصلح أموال الصعيد و استدعى أكابرهم إليه، فجاءه منهم الكثير. و صلح الحال لهلاك الأضداد، و رفعت الفتن، و انفرد أمير الجيوش بدر الجمالىّ بالأمر إلى أن مات فى خلافة المستنصر. و تولّى بعده ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ المذكور. و يأتى ذكر ذلك و غيره مما ذكرنا من الغلاء و الفناء و الحروب فى الحوادث المتعلّقة بالمستنصر من سنين خلافته على سبيل الاختصار، كما هو عادة هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و دام المستنصر فى الخلافة و هو كالمحجور عليه مع بدر الجمالىّ؛ ثم من بعده مع ولده الأفضل شاهنشاه إلى أن توفّى بالقاهرة فى يوم عيد الفطر، و هو يوم الخميس سنة سبع و ثمانين و أربعمائة. و بايع الناس ابنه أحمد من بعده، و لقّب بالمستعلى بالله. و قام الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بتدبير ملكه. و قد تقدّم مدّة إقامة المستنصر فى الخلافة، و كم عاش من السنين فى أوّل ترجمته فيطلب هناك.

و ممّا رثى به المستنصر قول حظّى الدولة أبى المناقب عبد الباقى بن علىّ التنوخىّ الشاعر:

[الطويل]

و ليس ردى المستنصر اليوم كالرّدى و لا أمره أمر يقاس به أمر

لقد هاب ملك الموت إتيانه ضحّى ففاجأه ليلا و لم يطلع الفجر

فأجرى عليه حين مات دموعنا سماء فقال الناس لا بل هو القطر

و قد بكت الخنساء صخرا و إنّه ليبكيه من فرط المصاب به الصخر

و قلّدها المستعلى الظّهر حسب ما عليه قديما نصّ والده الطّهر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۸]

السنة الأولى من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثمان و عشرين و أربعمائة.

فيها فى المحرّم خلع الخليفة القائم بأمر اللّه على الأفضل أبى تمّام محمد بن محمد ابن علىّ الزينبىّ الحنفىّ العلوىّ و فوّض إليه نقابة الهاشميّين و الصلاة، و أمره باستخلاف أبى منصور محمد على ذلک؛ و أحضر الخليفة القضاة و الأعيان و قال لهم:

قد عوّلنا على محمد بن محمد بن علىّ الزينتى فى نقابة أهله من العباسيّين رعاية لحقوق سالفة. فقبّل أبو تمّام الأرض؛ و خلع عليه السّواد و الطيلسان، و لقّب عميد الرؤساء.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الإمام العلّامة أبو الحسين الحنفىّ الفقيه البغدادى المشهور بالقدورىّ- قال أبو بكر الخطيب: لم يحدّث إلّا شيئا يسيرا؛ كتبت عنه، و كان صدوقا، انتهت إليه بالعراق رياسة أصحاب أبى حنيفة، و عظم [عندهم] قدره و ارتفع جاهه، و كان حسن العبارة فى النظر، جرىء اللسان مديما للتلاوة. قلت: و الفضل ما شهدت به الأعداء، و لو لا أنّ شأن هذا الرجل كان قد تجاوز الحدّ فى العلم و الزّهد ما سلم من لسان الخطيب، بل مدحه مع عظم تعصّبه على السادة الحنفية و غيرهم؛ فإنّ عادته ثلم أعراض العلماء و الزّهّاد بالأقوال الواهية، و الروايات المنقطعة، حتّى أشحن تاريخه من هذه القبائح. و صاحب الترجمة هو مصنّف «مختصر القدّورىّ» فى فقه الحنفية، و «شرح مختصر الكرخىّ»

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵

فى عدّة مجلّدات، و أملى «التجريد فى الخلافيّات» أملاه فى سنة خمس و أربعمائة، و أبان فيه عن حفظه لما عند الدار قطنىّ من أحاديث الأحكام و عللها، و صنّف كتاب «التقريب الأوّل» فى الفقه فى خلاف أبى حنيفة و أصحابه فى مجلد، و «التقريب الثانى» فى عدّة مجلّدات. و كانت وفاته فى منتصف رجب من السنة. و مولده سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة. و قد روينا جزأه المشهور عن الشيخ رضوان بن محمد العقبىّ عن أبى الطاهر بن الكويك عن محمد بن البلوىّ انا عبد اللّه بن عبد الواحد بن علّاق انا فاطمة بنت سعد الخير الأنصارية انا أبو بكر بن أبى طاهر انا العلّامة أبو الحسين القدورىّ رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الحسين بن عبد اللّه بن الحسن بن علىّ بن سينا الرئيس أبو علىّ صاحب الفلسفة و التصانيف الكثيرة. كان إمام عصره فى الحكمة و علوم الأوائل، بل كان إماما فى سائر العلوم. و تصانيفه كثيرة فى فنون العلوم، حتّى قيل عنه: إنّه ليس فى الإسلام من هو فى رتبته. قال أبو عبد اللّه الذهبىّ: كان ابن سينا آية فى الذكاء، و هو رأس الفلاسفة الإسلاميّين الذين مشوا خلف العقول، و خالفوا الرسول- قلت-: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفىّ المذهب، تفقّه على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶

الإمام أبى بكر بن أبى عبد اللّه الزاهد الحنفى- و تاب فى مرض موته، و تصدّق بما كان معه، و أعتق مماليكه، و ردّ المظالم على من عرفه، و جعل يختم فى كلّ ثلاثة أيّام ختمة إلى أن توفّى يوم الجمعة فى شهر رمضان. قلت: و من يمشى حلف العقول، و يخالف الرسول لا يقلّد الأحكام الشرعية، و لا يتقرّب بتلاوة القرآن العظيم.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن أبى موسى أبو علىّ الهاشمىّ البغدادىّ شيخ الحنابلة و عالمهم، و صاحب التصانيف الكثيرة. مات فى شهر ربيع الاخر.

و فيها توفّى مهيار بن مرزويه الدّيلمىّ أبو الحسن الكاتب الشاعر المشهور، كان مجوسيّا فأسلم على يد الشريف الرضىّ، و هو أستاذه فى الأدب و النّظم و التشيع. اشتغل حتّى مهر فى الأدب و الكتابة و التشيّع حتّى صار من كبار الشعراء الروافض. قال أبو القاسم بن برهان النحوىّ: كان مجوسيّا فأسلم فى سنة أربع و تسعين و ثلثمائة؛ فقلت له: يا أبا الحسن، انتقلت [بإسلامك] من زاوية إلى زاوية فى جهنّم؛ قال: و كيف؟

قلت: لأنّك كنت مجوسيّا ثمّ صرت تتعرّض لأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و المجوسىّ و الرافضىّ فى النار. انتهى. قلت:

و أمّا شعر مهيار ففى غاية الجودة. فمن ذلك قوله:

[البسيط]

أستنجد الصبر فيكم و هو مغلوب و أسأل النوم عنكم و هو مسلوب

و أبتغى عندكم قلبا سمحت به و كيف يرجع شىء و هو موهوب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷

و له فى إنجاز وعد:

[الطويل]

أظلّت علينا منك يوما غمامة أضاء لها برق و أبطا رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع و لا غيثها يأتى فيروى عطاشها

و فيها توفّى الحسن بن عبد اللّه بن حمدان ناصر الدولة أبو المطاع التّغلبىّ و يعرف بذى القرنين و وجيه الدولة. ولى إمرة دمشق للحاكم بأمر اللّه ثمّ عزل عنها بلؤلؤ، ثمّ أعيد إليها سنة خمس عشرة و أربعمائة من قبل الظاهر بن الحاكم؛ و مات بها و قيل بمصر. و كان شاعرا أديبا شجاعا فصيحا. و من شعره:

[الرمل]

موعدی بالبین ظنّا أننی بالبین أشقی

ما أری بین مماتی و فراقی لک فرقا

لا تهدّدنی ببین لست منه أنوقّی

إنّما یشقی ببین منک من بعدک یبقی

أمر النیل فی هذه السنهٔ- الماء القدیم أربع أذرع و ثمانی عشرهٔ إصبعا.

مبلغ الزیادهٔ خمس عشرهٔ ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنهٔ ۴۲۹]

السنهٔ الثانیهٔ من ولایهٔ المستنصر معدّ علی مصر و هی سنهٔ تسع و عشرین و أربعمائهٔ.

فیها توفّی عبد الرحمن بن عبد اللّه بن علیّ أبو علیّ العدل، و یعرف بابن أبی العجائز، ولد سنهٔ أربعین و ثلثمائهٔ بدمشق و بها مات فی المحرّم؛ و کان ثقهٔ سمع الحدیث و رواه،

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۵، ص: ۲۸

روی عنه غیر واحد؛ قال: و حدّثنا محمد بن سلیمان الرّبعیّ عن محمد بن تمّام الحرّانی.

عن محمد بن قدامهٔ قال: أتینا سفیان بن عیینهٔ فحجبنا، فجاء خادم لهارون الرشید یقال له حسین فی طلبه فأخرجه، فقمنا إلیه فقلنا: أمّا أهل الدنیا فیصلون إلیک، و أمّا نحن فلا نصل! فنظر إلینا و قال: لا أفلح صاحب عیال؛ ثم أنشد:

[البسیط]

اعمل بعلمی و لا تنظر إلی عملی ینفعک علمی و لا یضررک تقصیری

ثم قال: بم تشبّهون قوله علیه [الصلاهٔ و] السلام إخبارا عن ربّه تعالی:

«ما أشغل عبدی ذکری عن مسألتی إلّا أعطیته أفضل ما أعطی السائلین»؟ فقلنا:

قل یرحمک اللّه؛ فقال قول القائل:

[الکامل]

و فتی خلا من ماله و من المروءهٔ غیر خال

أعطاک قبل سؤاله و کفاک مکروه السؤال

و فیها توفّی أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد اللّه العلویّ الطّلمنکیّ الحافظ، کان إماما حافظا محدّثا. مات فی ذی الحجهٔ و له تسعون سنهٔ.

و فیها توفّی الحسن بن علیّ بن الصّیقر الإمام الکاتب المقرئ صاحب زید بن أبی بلال الکوفیّ، کان فاضلا قرأ القراءات بالرّوایات و برع فی فنون.

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۵، ص: ۲۹

و فیها توفّی أبو الولید یونس بن عبد اللّه بن محمد بن مغیث المقرئ القرطبیّ الفقیه المعروف بابن الصفّار قاضی الجماعهٔ، کان من أوعیهٔ العلم، کان فقیها محدّثا عالما زاهدا. مات فی شهر رجب.

أمر النیل فی هذه السنهٔ- الماء القدیم أربع أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزیادهٔ خمس عشرهٔ ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۰]

السنة الثالثة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثلاثين و أربعمائة.

فيها سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر اللّه أن يلقّب ابنه لقبا، فلقّبه «الملك العزيز» و كان مقيما بواسط. قلت: و هذا أوّل لقب سمعناه من ألقاب ملوك الأتراك و غيرهم من ملوك زماننا.

و فيها استولى بنو سلجوق على خراسان و الجبال، و هرب منهم السلطان مسعود ابن محمود بن سبكتكين إلى غزنة، و اقتسموا البلاد. و هذا أوّل ظهور بنى سلجوق الآتى ذكرهم فى عدّة أماكن. و أصلهم أتراك من [ما] وراء النهر، فزوّج سلجوق ابنته من رجل يعرف بعلىّ تكين، فأفسدوا على محمود بن سبكتكين البلاد بالنهب و الغارات، فقصدهم محمود بن سبكتكين فقبض على سلجوق المذكور و هرب علىّ تكين و طغرلبك، و اسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق، و بقى طغرلبك فى أربعة آلاف خركاه، إلى أن توفّى محمود بن سبكتكين، و اشتغل ابنه مسعود بن محمود

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰

ابن سبكتكين باللهو. فصار أمر طغرلبك ينمو إلى أن واقع مسعودا و هزمه و استولى على خراسان، و ولّى أخاه داود مرو و سرخس و بلخ، و ولّى ابن عمّه الحسن بن موسى هراة و بوشنج و سجستان، و ولّى أخاه لأمّه إبراهيم ينّال دهستان. و عظم أمر طغرلبك إلى أن كان من أمره ما سنذكره فى عدّة أماكن إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفّى أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الحافظ أبو نعيم الأصبهانىّ الصوفىّ و الأحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البنّاء؛ كان أحد الأعلام، جمع بين علوّ الرواية و كثرة الدّراية، و رحل إليه من الأقطار، و ألحق الصغار بالكبار؛ و ولد سنة ستّ و ثلاثين و ثلثمائة بأصبهان. و استجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر حتّى تفرّد فى آخر عمره فى الدنيا عنهم.

و فيها توفّى عبد الملك بن محمد بن عبد اللّه الشيخ أبو القاسم البغدادىّ الواعظ.

كان مسند العراق فى زمانه، سمع الحديث و روى الكثير. قال أبو بكر الخطيب:

كتبنا عنه و كان ثقة ثبتا صالحا؛ ولد فى شوّال سنة تسع و ثلاثين و ثلثمائة.

و فيها توفّى موسى بن عيسى بن أبى حاجّ الفاسىّ المقرئ الإمام أبو عمران، الفاسىّ الدار الغفجومىّ النسب- و غفجوم: قبيلة من زناتة- البربرىّ الفقيه المالكىّ نزيل القيروان و إليه انتهت رياسة العلم بها. تفقّه على أبى الحسن القابسىّ و هو أجل أصحابه؛ و دخل الأندلس فتفقّه على أبى محمد الأصيلىّ، و سمع و حدّث و حجّ غير مرّة، و كان من كبار العلماء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱

و فيها توفّى الفضل بن منصور أبو الرضا البغدادىّ المعروف بابن الظّريف، كان شاعرا أديبا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۱]

السنة الرابعة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة إحدى و ثلاثين و أربعمائة.

فيها توفّى محمد بن علىّ بن أحمد بن يعقوب بن مروان القاضى أبو العلاء الواسطىّ، أصله من فم الصّلح، و نشأ بمدينة واسط. و كان فقيها فاضلا محدّثا، سمع الحديث، و ولى القضاء. و مات ببغداد فى جمادى الآخرة من السنة.

و فيها توفّى محمد بن الفضل بن نظيف أبو عبد اللّه المصرىّ الفرّاء مسند الديار المصريّة فى زمانه، سمع الكثير و تفرّد بأشياء، و روى

عنه خلائق كثيرة. و مات فى شهر ربيع الآخر، و له تسعون سنة.

و فيها شغب الأتراك و خرجوا بالخيم [إلى شاطىء دجلة] و شكوا من تأخّر النفقة و وقوع الاستيلاء على إقطاعاتهم، [فعرف السلطان هذا]، فكاتب دبيس [بن علىّ] ابن مزيد [و] أبا الفتح [بن ورّام] و أبا الفوارس بن سعد؛ ثمّ كتب إلى الأتراك يلومهم. و حاصل الأمر أنّ الناس ماجوا و انزعجوا، و وقع النهب و غلت الأسعار و زاد الخوف، حتّى إنّ الخطيب صلّى صلاة الجمعة بجامع براثا و ليس وراءه إلا ثلاثة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲

أنفس، و نودى فى الجمعة المقبلة من أراد الصلاة بجامع براثا فكلّ ثلاثة أنفس بدرهم خفارة.

و فيها توفّى القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الاستوائىّ الحنفىّ قاضى نيسابور و فقيهها و عالمها، كان إماما فقيها عالما عفيفا و رعا كثير العلم، كان المعوّل على فتواه بنيسابور فى زمانه. و مات فى هذه السنة. قاله الذهبىّ رحمه اللّه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الاستوائىّ الحنفىّ قاضى نيسابور و فقيهها. و القاضى أبو العلاء محمد بن على الواسطى المقرئ. و أبو الحسن محمد بن عوف المزنىّ فى [شهر] ربيع الآخر. و أبو عبد اللّه محمد بن الفضل بن نظيف المصرىّ الفرّاء فى [شهر] ربيع الآخر، و له تسعون سنة. و أبو المعمّر مسدّد بن علىّ الأملوكىّ خطيب حمص.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۲]

السنة الخامسة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة اثنتين و ثلاثين و ثلثمائة.

فيها اتّفق جلال الدولة مع قرواش و تحالفا و سكنت الفتنة بينهما.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳

و فيها توفّى القاضى أبو العلاء صاعد المقدّم ذكره فى السنة الماضية، فى قول صاحب مرآة الزمان.

و فيها توفّى أبو بكر محمد بن عمر بن بكير بن النّجّار، كان إماما عالما محدّثا. مات فى هذه السنة.

و فيها توفّى عبد الباقى بن محمد الحافظ أبو القاسم الطحّان، كان إماما فاضلا فقيها محدّثا. مات ببغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحافظ أبو العبّاس جعفر بن محمد بن المعتزّ المستغفرىّ. و أبو القاسم عبد الباقى بن محمد الطحّان ببغداد فى جمادى الأولى. و أبو بكر محمد بن عمر بن بكير النحّار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشر أصابع مثل الخالية. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۳]

السنة السادسة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائة.

فيها توفّى محمد بن جعفر أبو الحسين البغدادىّ المقرئ، كان فاضلا قارئا أديبا شاعرا محدّثا. و من شعره:

[الكامل]

یا ویح قلبی من تقلّبه أبدا یحنّ إلی معذّبه

قالوا کتمت هواه عن جلد لو کان لی جلد لبحت به

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴

و فیها توفّی السلطان مسعود ابن السلطان محمود بن سبکتکین أبو سعید صاحب خراسان و غزنة و غیرهما. کان ملکا عادلا حسن السّیرة فی الرعیّة، سلک طریق أبیه فی الغزو و فتح البلاد، إلّا أنّه کان عنده محبّة فی اللهو و الطّرب. و کان ولی الملک بعد موت أبیه السلطان محمود فی ذی الحجّة سنة إحدی و عشرین و أربعمائة، فکانت مدّة حکمه علی بلاد الهند و غیرها اثنتی عشرة سنة إلّا أشهرا.

و فیها توفّی الأمیر أنوشتکین الدّزبریّ قسیم الدولة نائب الشام للمستنصر صاحب الترجمة، کان خصیصا عند المستنصر یندبه إلی المهمّات، و کان شجاعا مقداما عظیم الهیبة حسن السیاسة؛ طرد العرب من الشام و أباد المفسدین، و مهّد أمور الشام حتی أمنت السّبل فی أیّامه. و قد قدّمنا من ذکره نبذة فی ترجمة المستنصر فی هذا المحلّ. و لمّا مات ولی دمشق بعده الأمیر ناصر الدولة الحسن بن الحسین ابن عبد اللّه بن حمدان.

و فیها توفّی الأمیر أبو جعفر علاء الدولة بن کاکویه صاحب أصبهان. ولی بعده منصور، و أقام الدعوة و السّکة للملک أبی کالیجار فی جمیع بلاد أبیه.

و فیها توفّی سعید بن العبّاس الحافظ أبو عثمان القرشیّ الهرویّ، کان إماما فاضلا محدّثا فقیها. مات فی المحترم من هذه السنة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۴]

السنة السابعة من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة أربع و ثلاثین و أربعمائة.

فیها ورد الخبر من تبریز أنّ زلزلة عظیمة وقعت بها هدمت قلعتها و سورها و کثیرا من دورها و مساکنها، و نجا أمیرها بنفسه. و أحصی من مات تحت الهدم فکانوا خمسین ألفا، و لبس الناس بها السّواد و جلسوا علی المسوح لعظم هذه المصیبة.

ثمّ زلزلت تدمر أیضا و بعلبک، فمات تحت الهدم معظم أهل تدمر.

و فیها توفّی حمزة بن الحسن بن العبّاس الشریف العلویّ أبو یعلی فخر الدولة ولی قضاء دمشق عن الظاهر العبیدیّ، و هو الذی أجری الفوّارة بجیرون، و بنی قیساریّة الأشراف و تعرف بالفخریّة. قال الشریف أبو الغنائم عبد اللّه بن الحسین:

أنشدنی لقسّ بن ساعدة فی النجوم:

[الکامل]

علم النجوم علی العقول وبال و طلاب شیء لا ینال ضلال

ما ذا طلابک علم شیء أغلقت من دونه الأبواب و الأقفال

افهم فما أحد بغامض فطنة یدری متی الأرزاق و الآجال

إلّا الذی من فوق سبع عرشه فلوجهه الإکرام و الإفضال

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶

و فیها توفّی عبید اللّه بن هشام بن عبد اللّه بن سوار أبو الحسین من أهل داریّا بدمشق، کان إماما فاضلا متدیّنا.

و فيها توفّى عبد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن غفير أبو ذرّ الأنصارىّ الهروىّ المالكىّ الحافظ، كان يعرف فى بلده بابن السمّاک، سمع الحديث و رحل [إلى] البلاد، و كان إماما عالما فاضلا سخيّا صوفيّا. قال القاضى عيّاض: و لأبى ذرّ كتاب كبير مخرّج على الصحيحين [و] «كتاب السنة و الصفات». رحمه اللّه تعالى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۵]

السنة الثامنة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمس و ثلاثين و أربعمائة.

فيها لم يحجّ أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى الحسين بن عثمان بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز أبى دلف أبو سعد العجلىّ، كان إماما محدّثا، سافر إلى خراسان ثمّ عاد إلى بغداد و حدّث بها، ثم انتقل إلى مكّة فتوفّى بها فى شوّال.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷

و فيها توفّى عبيد اللّه بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو القاسم الصّيرفىّ المحدّث، كان صالحا ثقة مكثرا فى الحديث.

و فيها توفّى السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه. ولد سنة ثلاث و ثمانين و ثلثمائة.

و كان ملكا محبّبا للرعيّة حسن السيرة، و كان يحبّ الصالحين. و لقى فى سلطنته من الأتراک شدائد. و مات ليلة الجمعة خامس شعبان، و غسّله أبو القاسم بن شاهين الواعظ و أبو محمد عبد القادر بن السمّاک، و دفن بداره فى دار المملكة فى بيت كان دفن فيه عضد الدولة و بهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة، ثم نقل بعد سنة إلى مقابر قريش. و كان عمره لمّا مات إحدى و خمسين سنة و شهرا؛ و مدّة ولايته على بغداد ستّ عشرة سنة و أحد عشر شهرا. و لمّا مات كان ابنه الملقّب بالملك العزيز بواسط، فكتب إليه الخليفة القائم بأمر اللّه يعزّيه فيه. قلت: و جلال الدولة هذا أحسن بنى بويه حالا إن لم يكن رافضيّا على قاعدتهم النّجسة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۶]

السنة التاسعة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ست و ثلاثين و أربعمائة.

فيها دخل أبو كاليجار بغداد و لم يخرج الخليفة القائم بأمر اللّه إلى لقائه، فنزل فى دار المملكة و أخرج منها عيال جلال الدولة، و ضرب الدّبادب على بابه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸

فى أوقات الصلوات الخمس؛ فروسل بالاقتصار على ثلاثة أوقات، كما كانت العادة، فلم يلتفت إلى رسول الخليفة، و استمرّت الدّبادب فى خمسة أوقات.

و فيها توفّى الحسين بن علىّ بن محمد بن جعفر أبو عبد اللّه الصّيمرىّ العلّامة.

ولد سنة إحدى و خمسين و ثلثمائة، و كان أحد الفقهاء الحنفيّة الأعلام؛ كان جيّد النظر حسن العبارة وافر العقل صدوقا ثقة، انتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد، و ولى القضاء بالمدائن و غيرها؛ و كان فى ولايته نزها عفيفا ديّنا ورعا. مات ليلة الأحد حادى عشرين شوّال

و دفن فى داره بدرب الزرّادين.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد الأصبهانىّ و يعرف بابن اللبّان، كان صائما قائما صدوقا ثقة أحد أوعية العلم، و له التصانيف الحسان.

و فيها توفّى علىّ بن الحسن بن إبراهيم أبو الحسن الصوفىّ الوكيل، كان ديّنا خيّرا، سكن مصر، و بها كانت وفاته فى شعبان.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن بكير أبو بكر التّنوخىّ الخيّاط الدمشقى، كان يؤمّ بمسجد أبى صالح خارج الباب الشرقىّ بدمشق، و كان صالحا ثقة.

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن الطيّب أبو الحسين البصرىّ المتكلم، سكن بغداد و درس بها على مذهب المعتزلة، و له تصانيف كثيرة: منها «المعتمد فى أصول الفقه» لم يصنّف فى فنه مثله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۹

و فيها توفّى محسّن بن محمد بن العبّاس الشريف الحسينىّ، كان نقيب الطالبيّين بدمشق، و ولى القضاء بها بعد أخيه لأمّه فخر الدولة نيابة عن أبى [محمد القاسم بن] النّعمان قاضى قضاة خليفة مصر. و مات بدمشق فى المحرّم.

و فيها توفّى علىّ بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه، الشريف أبو طالب العلوىّ الموسوىّ المعروف بالشريف المرتضى نقيب الطالبيّين ببغداد، و هو أخو الشريف الرضى. قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: و كلّ منهما رافضىّ، و كان المرتضى أيضا رأسا فى الاعتزال كثير الاطلاع و الجدل. ثمّ ذكر كلاما عن ابن حزم فى هذا المعنى، أنّزه الشريف عن ذكره مراعاة لسلفه الطاهر لا لاعتقاده القبيح فى الصحابة. و كان الشريف المرتضى عالما فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره من جملة قصيدة قوله:

[الخفيف]

و التقينا كما اشتهينا و لا عى ب سوى أنّ ذاك فى الأحلام

و إذا كانت الملاقاة ليلا فالليالى خير من الأيام

و كانت وفاة الشريف فى يوم الأحد الخامس و العشرين من شهر ربيع الأوّل.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن أحمد أبو الوليد المرسى يعرف بابن منقذ، حدّث عن سهل بن إبراهيم و غيره، و كان عالما فاضلا و رعا محدّثا صدوقا ثقة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۷]

السنة العاشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة سبع و ثلاثين و أربعمائة.

فيها مات بواسط نصرانىّ يقال له ابن سهل، و أخرجت جنازته نهارا، فثارت العامّة بالنّصارى و جزدوا الميّت و أحرقوه، و مضوا إلى الدّير فنهبوه. و كان الملك العزيز بن جلال الدولة بن بويه بواسطّ، و عمّه الملك أبو كاليجار ببغداد، و لم يكن له تلك الهيبة، و كانوا قد أحسّوا بانقراض دولة بنى بويه بظهور طغرلبك السّلجوقىّ صاحب خراسان، فلم ينتطح فى ذلك شاتان.

و فيها جهّز المستنصر صاحب الترجمة جيشا من مصر إلى حلب، فحصروا ابن مرداس فيها و استظهروا عليه، فاستنجد بالرّوم فلم

ينجدوه. و قد تقدّم ذكر هذه الواقعة فى ترجمة المستنصر.

و فيها لم يحج أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفى الحسن بن محمد بن أحمد أبو محمد الدمشقىّ المعروف بابن السّكن؛ كان عابدا زاهدا صام الدهر و له اثنتا عشرة سنة من العمر، و عاش سبعا و ثمانين سنة. و كان لا يشرب الماء فى الصيف، و أقام سنة و خمسة أشهر لا يشربه.

فقال له طبيب: معدتك تشبه الآبار، فى الصيف باردة و فى الشتاء حارّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۱

و فيها توفّى محمد بن محمد بن علىّ [ابن الحسن بن علىّ بن إبراهيم بن علىّ] بن عبد اللّه ابن الحسين [الأصغر] أبو الحسن العلوىّ الحسينىّ البغدادىّ النسابة شيخ الأشراف.

كان فريدا فى علم الأنساب، و له تصانيف كثيرة، و له شعر.

و فيها توفّى مكّى بن أبى طالب حمّوش بن محمد بن مختار الإمام أبو محمد القيسىّ القيروانىّ ثم القرطبىّ المقرئ شيخ الأندلس فى زمانه، حجّ و سمع بمكة و غيرها. و كان إماما عالما محدّثا ورعا، صنّف الكثير فى علوم القرآن. و مولده بالقيروان سنة خمس و خمسين و ثلثمائة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۸]

السنة الحادية عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثمان و ثلاثين و أربعمائة.

فيها أغارت الترك على ما وراء النهر و استولوا على بخارى و سمرقند و خوارزم، فقطع طغرلبك جيحون. و بعث أخاه إبراهيم إلى العراق فاستولى على حلوان ثم عاد إلى الرىّ. و التقى طغرلبك مع الترك فهزمهم و عاد إلى خراسان.

و فيها زلزلت أخلاط و ديار بكر زلازل هدمت القلاع و الحصون و قتلت خلقا كثيرا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۲

و فيها لم يحجّ أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و الشام.

و فيها توفّى عبد اللّه بن يوسف بن عبد اللّه بن يوسف بن حيّويه الجوينىّ الشافعى والد أبى المعالى الجوينى. و جوين (بضم الجيم): بلدة من أعمال نيسابور.

و أصلهم من العرب من بنى سنبس. سمع الحديث، و تفقّه بمرو على القفّال، و صنّف التصانيف الكثيرة. و مات بنيسابور.

و فيها توفّى محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر. كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيديّة. كان عالما بالقرآن و الفرائض و سمع الحديث. و مات فى شهر رمضان.

قال أبو بكر الخطيب: «كتبت عنه، و كان ثقة».

و فيها توفّى الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو علىّ البغدادىّ المالكىّ المقرئ العالم المشهور، مصنّف «الروضة». كان عالما بالقراءات و غيرها، مفتنّا. مات فى هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۳۹]

السنة الثانية عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة تسع و ثلاثين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۳

فيها وقع الغلاء و الوباء بالموصل و الجزيرة و بغداد، و وصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا الميتة، و صلّى الجمعة أربعمائة نفس، و مات الباقون و كانوا زيادة على ثلثمائة إنسان، و بيعت الزمّانة يقيراطين، و اللّينوفرة بقيراطين أيضا، و الخيارة بقيراط.

قاله صاحب مرآة الزمان.

و فيها توفّى أحمد [بن أحمد] بن محمد أبو عبد اللّه القصرىّ (من قصر ابن هبيرة).

ولد سنة ست و أربعين و ثلثمائة. و سمع الحديث، و كان من أهل العلم و القرآن، يختم القرآن فى كلّ يوم مرّة، و كان معروفا بالسنّة.

و مات فى شهر رجب، و دفن بباب حرب. و كان صدوقا صالحا ثقة.

و فيها توفّى أحمد بن عبد العزيز بن الحسن أبو يعلى الطاهرىّ (من ولد طاهر ابن الحسين الأمير). ولد سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و قرأ الأدب و سمع الحديث.

و مات فى شوّال. و كان فصيحا صدوقا.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن أحمد أبو الفضل الهاشمىّ العباسىّ، من ولد هارون الرشيد. ولى النّضاء بسجستان، و سمع الحديث، و كان له شعر و فضل.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۴

و فيها كان الطاعون العظيم بالموصل و الجزيرة و بغداد، و صلّى بالموصل على أربعمائة نفس دفعة واحدة، و بلغت الموتى ثلثمائة ألف إنسان.

و فيها توفّى عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيّوب أبو القاسم البغدادىّ الشاعر المشهور، كان يعرف بالمطرّز. مات ببغداد فى جمادى الآخرة.

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن علىّ بن عبد الرحيم الوزير أبو سعد وزير جلال الدولة بن بويه. لقى شدائد من المصادرات من الأتراک، حتى آل أمره أنّه خرج من بغداد مستترا و أقام بجزيرة ابن عمر حتّى مات فى ذى القعدة.

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن محمد بن إبراهيم أبو الخطّاب الشاعر الجبّلىّ، أصله من قرية جبّل عند النّعمانيّة ببغداد. كان فصيحا شاعرا. رحل إلى البلاد ثم عاد إلى بغداد، و قد كفّ بصره فمات بها. و كان رافضيّا خبيثا. و من شعره:

[المنسرح]

ما حكم الحبّ فهو ممتثل و ما جناه الحبيب محتمل

تهوى و تشكو الضّنى و كلّ هوّى لا ينحل الجسم فهو منتحل

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۰]

السنة الثالثة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة أربعين و ربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۵

فيها تمت عمارة سور شيراز، و دوره اثنا عشر ألف ذراع، و ارتفاع حائطه عشرون ذراعا، و له عشرة أبواب.

و فيها ولّى المستنصر صاحب الترجمة خليفة مصر القائد طارقا الصّيقلبىّ على دمشق؛ و عزل عنها ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان، و قبض عليه و استقدمه إلى مصر؛ ثمّ صرف المستنصر طارقا عن إمرة دمشق فى سنة إحدى و أربعين، و ولّى مكانه عدة الدولة المستنصرىّ؛ ثمّ صرفه أيضا عنها و بعث به إلى حلب، و ولّى دمشق حيدرة بن الحسين بن مفلح، و يعرف بأبى الكرم المؤيّد؛ فأقام عليها حيدرة تسع سنين.

و فيها فى شعبان ختن الخليفة القائم بأمر اللّه العباسىّ ابنه أبا العبّاس محمدا، و لقبه بذخيرة الدين و ذكر اسمه على المنابر.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى محمد بن جعفر [بن] أبى الفرج الوزير أبو الفرج و يلقّب ذا السعادات.

و زر لأبى كاليجار بفارس و بغداد. و كان وزيرا فاضلا عادلا شاعرا. و مات فى شهر ربيع الآخر، و قيل: فى جمادى الأولى. و من شعره: [الوافر]

أودّعكم و إنى ذو اكتئاب و أرحل عنكم و القلب آبى

و إنّ فراقكم فى كل حال لأوجع من مفارقة الشباب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج‌۵، ص: ۴۶

و فيها توفّى السلطان أبو كاليجار، و اسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فنّا خسرو الدّيلمىّ.

ولد بالبصرة سنة تسع و تسعين و ثلثمائة فى شوّال، و مات ليلة الخميس منتصف جمادى الأولى. و كانت ولايته على العراق أربع سنين و شهرين و أياما، و مدّة ولايته على فارس و الأهواز خمسا و عشرين سنة. و كان شجاعا فاتكا مشغولا بالشرب و اللّهو.

و لمّا مات كان ولده أبو نصر ببغداد فى دار الملك نيابة عن أبيه، فلقّبه الخليفة القائم بأمر اللّه «الملك الرحيم» و خلع عليه خلعة السلطنة. و كانت الخلع سبع جباب كاملة و التاج و الطّوق و السوارين و اللواءين كما كان فعل بعضد الدولة.

و فيها توفّى الفضل- و قيل: فضل اللّه- بن أبى الخير محمد بن أحمد أبو سعيد الميهنىّ العارف بالله صاحب الأحوال و الكرامات. مات بقرية ميهنة من خراسان فى شهر رمضان و له تسع و سبعون سنة بعد أن سمع الحديث، و روى عنه جماعة، و تكلّم فى اعتقاده ابن حزم. و اللّه أعلم بحاله.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد أبو بكر الأصبهانىّ التاجر المعروف بابن ريذة. روى عن الطّبرانىّ معجميه الكبير و الصغير.

و طال عمره، و سار ذكره، و تفرّد بأشياء. ذكره أبو زكريّا بن مندة و قال: «الفقيه الأمين». كان أحد وجوه الناس، وافر العقل، كامل الفضل.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج‌۵، ص: ۴۷

و فيها توفّى محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان بن عبد اللّه بن غيلان بن حكيم أبو طالب الهمذانىّ البغدادىّ البزّاز أخو غيلان المقدّم ذكره. سمع من أبى بكر الشافعىّ أحد عشر جزءا معروفة بالغيلانيّات، و تفرّد فى الدنيا عنه. قال أبو بكر الخطيب: «كتبنا عنه، و كان صدوقا ديّنا صالحا».

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۱]

السنة الرابعة عشرة من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة إحدی و أربعین و أربعمائة.

فیها کانت فتنة بین أهل السنّة و الرافضة. قال القاضی أبو القاسم علیّ بن المحسّن التنوخیّ: «أهل الکرخ طائفة نشأت علی سبّ الصحابة، و لیس للخلافة علیها أمر». قلت: و عدم أمر الخلیفة علیهم لمیل بنی بویه إلیهم فی الباطن، فإنهم أیضا من کبار الشیعة، و هم یوم ذلک سلاطین بغداد؛ غیر أنهم کانوا لا یظهرون ذلک خوفا علی الملک.

و فیها هبّت ریح سوداء ببغداد أظلمت الدنیا و قلعت رواشن دار الخلافة و دار المملکة و دور الناس، و اقتلعت من الشجر و النخل شیئا کثیرا.

و فیها نزل طغرلبک السّلجوقیّ الرّیّ و لم یتحقّق موت أبی کالیجار بن بویه، ثمّ فحص عن ذلک حتّی تحقّق وفاته.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۸

و فیها دخل السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبکتکین بلاد الهند، و وصل إلی الأماکن التی کان وصل إلیها جدّه محمود.

و فیها توفّی أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزیمة أبو إسماعیل الهرویّ الصوفیّ. کان یعرف بعمّویه و کان شیخ الصوفیة بهراة. سمع الکثیر بالعراق و الشام.

و مات بهراة فی شهر رجب.

و فیها توفّی محمد بن علیّ بن عبد اللّه أبو عبد اللّه الصّوریّ الحافظ. ولد بصور سنة ست و سبعین و ثلثمائة و قدم بغداد، و سمع الحدیث علی کبر السنّ و عنی به.

و کان إماما صحیح النقل دقیق الخطّ صائما قائما لا یفطر إلّا فی العیدین و أیام التشریق. و کان حسن المحاضرة. و له شعر علی طریق القوم؛ فمن ذلک من قصیدة:

[المجتث]

نعم الأنیس کتاب إن خانک الأصحاب

تنال منه فنونا تحظی بها و تثاب

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع سواء. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۲]

السنة الخامسة عشرة من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة اثنتین و أربعین و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۴۹

فیها کان من العجائب أنّه وقع الصلح بین أهل السّنّة و الرافضة و صارت کلمتهم واحدة. و سبب ذلک أنّ أبا محمد النّسویّ ولّی شرطة بغداد و کان فاتکا، فاتّفقوا علی أنّه متی رحل إلیهم قتلوه، و اجتمعوا و تحالفوا، و أذّن بباب البصرة ب «- حیّ علی خیر العمل» و قریء فی الکرخ فضائل الصحابة، و مضی أهل السّنة و الشّیعة إلی مقابر قریش، فعدّ ذلک من العجائب؛ فإنّ الفتنة کانت قائمة و الدماء تسکب، و الملوک و الخلفاء یعجزون عن ردّهم، حتّی ولیّ هذا الشرطة، فتصالحوا علی هذا الأمر الیسیر.

فللّه الأمر من قبل و من بعد.

و فیها توفّی علیّ بن عمر بن محمد بن الحسن أبو الحسن الزاهد المعروف بابن القزوینیّ. ولد بالحربیّة ببغداد فی المحرّم سنة ستّین و

ثلثمائة؛ و كـان إماما فاضـلا زاهـدا، قرأ النّحو و سـمع الحـديث الكثير؛ و كان صاحب كرامات و صلاح، يقصد للزيارة. و مات فى شعبان.

و فيها توفّى الأمير قرواش بن المقلّد أبو المنيع صاحب الموصل و الكوفة و الأنبار.

و قرواش بفتح القاف و الراء المهملة و الواو و بعد الألف شين معجمة ساكنة.

و معناه باللغة التركية عبد أسود. و كان قرواش هذا قد خلع عليه الخليفة القادر بالله و لقّبه معتمد الدولة. و كان قد جمع بين أختين، فلامه النّاس على ذلك؛ فقال لهم: خبّرونى، ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة! فهذا من ذاك. و كان الحاكم بأمر اللّه استماله فحطب له ببلاده ثمّ رجع عن ذلك. و لمّا مات قرواش ولى مكانه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۰

ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلّد المقدّم ذكره فى ترجمة المستنصر أنّه كان مع البساسيرىّ. و يأتى ذلك أيضا فى محلّه مختصرا.

و فيها توفّى السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، و غيرها من بلاد الهند و غيره. و مات بغزنة، و قام مقامه عمّه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين؛ اختاره أهل المملكة فأقاموه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۳]

السنة السادسة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثلاث و أربعين و أربعمائة.

فيها فى صفر عادت الفتنة بين أهل السّنّة و الرافضة ببغداد، و كتب أهل الكرخ على برج الباب: «محمد و علىّ خير البشر، فمن رضى فقد شكر، و من أبى فقد كفر».

و ثارت الفتنة بينهم، و لم يقدر على منعهم الخليفة و لا السلطان. و استنجد الخليفة بعيّار من أهل درب ريحان، فأحضر إلى الديوان و استتيب عن الحرام، و سلّط على أهل الكرخ فقتل منهم جماعة كثيرة.

و فيها أقام ابن المعزّ بن باديس الصنهاجىّ ملك الغرب الدعوة بالمغرب للقائم بأمر اللّه العباسىّ، و أبطل دعوة بنى عبيد خلفاء مصر من الغرب. و كان المعزّ لدين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۱

اللّه معدّ لمّا خرج من المغرب و قصد الديار المصريّة سلّمها إلى المعزّ بن باديس.

فأقام بها سنين إلى أن توفّى، و ملكها ابنه من بعده؛ فأقام مدّة سنين يخطب لبنى عبيد إلى هذه السنة؛ فأبطل الدعوة لهم و خطب لبنى العبّاس، و دعا للقائم بأمر اللّه و هو ببغداد. فلم تزل دعوة العباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر محمد بن تومرت بالمغرب و تلقّب بالمهدىّ، و قام بعده عبد المؤمن بن علىّ فقطع الدعوة لبنى العبّاس فى أيام المقتفى العبّاسىّ، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق. و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن عثمان بن عيسى أبو نصر الجلّاب، كان محدّثا ثقة؛ و أخرج له أبو بكر الخطيب حديثا عن ابن عمر: أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قرئت عنده سورة الرحمن فقال: «مالى أرى الجنّ أحسن جوابا لردّها منكم». قالوا: و ما ذاك يا رسول اللّه؟ قال: «ما أتيت على قول اللّه تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلّا قالت الجنّ و لا بشىء من نعمك يا ربّنا نكذّب».

و فيها توفّى إسماعيل بن علىّ بن الحسين زنجويه أبو سعد الحافظ الرازىّ الحنفىّ؛ كان إماما فاضلا طاف الدنيا و لقى الشيوخ و أثنى عليه العلماء؛ و كان ورعا زاهدا فاضلا، إمام أهل زمانه [بغير مدافعة]، [و] ما رأى مثل نفسه [فى كلّ فنّ]،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۲

و کـان یقال له: شـیخ العدلیّـة و مات بالرّیّ، و دفن بجنب الإمام محمـد بن الحسن صاحب أبی حنیفـة. و کان قرأ علی ألف و ثلثمائة شیخ، و قرأ علیه ثلاثة آلاف.

قال ابن عساکر: سمع نحوا من أربعة آلاف شیخ، و مات و له أربع و تسعون سنة.

و فیها توفّی محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البصرویّ؛ کان شاعرا فصیحا فاضلا ظریفا صاحب نوادر. و من شعره:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة؛ ج۵؛ ص۵۲

الوافر]

تری الدنیا و زهرتها فتصبو و ما یخلو من الشّبهات قلب

فضول العیش أکثرها هموم و أکثر ما یضرّک ما تحبّ

و فیهـا توفّی المفضّل بن محمـد بن مسـعود أبو المحاسن التّنوخیّ المعزی الفقیه الحنفی. تفقّه علی القـدوریّ، و أخـذ الأدب عن أبی عیسی الرّبعیّ و برع فی فنون، و ناب فی القضاء بدمشق، و ولی قضاء بعلبکّ؛ و صنّف تاریخ النحاة و أهل اللغة.

و مات بدمشق، و لم یخلف بعده مثله.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع سواء. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۴]

السنة السابعة عشرة من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة أربع و أربعین و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۳

فیها برز محضـر من دیوان الخلیفـة القائم بأمر اللّه العبّاسـیّ بالقـدح فی أنساب خلفاء مصـر و أنّهم دیصانیّة خارجون عن الإسـلام، من جنس المحضر الذی برز فی أیام للقادر بالله، و قد ذکرناه فی وقته، و أخذ فیه خطوط القضاة و الشهود و الأشراف و غیرهم.

و فیها کانت فی مدینة أرّجان و الأهواز زلازل عظیمة ارتجّت منها الأرض، و قلّعت الجبال و خرّبت القلاع، و امتدّت هذه الزلازل إلی بلاد کثیرة.

و فیها استولی طغرلبک محمد بن میکائیل السّلجوقیّ علی همذان و نواحیها، و طمع فی قصد العراق.

و فیهـا توفّی الحسن بن علیّ بن محمـد بن علیّ أبو علیّ التمیمیّ الواعـظ، سـمع الحـدیث الکـثیر و روی عنه مسـند الإمـام أحمـد عن القطیعیّ.

و فیها توفّی سـهل بن محمد بن الحسن أبو الحسن الفاسـیّ الصوفیّ، سـمع الکثیر و حدّث بالعراق و دمشق و صور، و توجه إلی مصـر فمات بها. و کان أدیبا شاعرا علی طریق القوم. فمن ذلک قوله:

[الطویل]

إذا کنت فی دار یهنیک أهلها و لم تک محبوبا بها فتحوّل

و أیقن بأن الرّزق یأتیک أینما تکون و لو فی قعر بیت مقفّل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۴

و فیهـا توفّی عثمـان بن سـعید بن عثمـان بن سـعید بن عمر الإمـام أبو عمرو الأـموی مولاـهم القرطبیّ المقرئ الحافـظ المعروف بآبن الصـیرفیّ أوّلا، ثم بأبی عمرو الـدّانی؛ صاحب التصانیف. کان أحد الأئمة فی علم القرآن و روایاته و تفسـیره و معانیه و طرقه، و جمع

فى ذلك كلّه تواليف حسانا مفيدة يطول تعدادها. قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: و بلغنى أن مصنّفاته مائة و عشرون مصنفا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۵]

السنة الثامنة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمس و أربعين و أربعمائة.

فيها وقف طغرلبك السّلجوقىّ على مقالات الأشعرىّ، و كان طغرلبك حنفيّا، فأمر بلعن الأشعرىّ على المنابر، و قال: هذا يشعر بأن ليس للّه فى الأرض كلام.

فعزّ ذلك على أبى القاسم القشيرىّ، و عمل رسالة سمّاها «شكاية أهل السّنّة ما نالهم من المحنة». و وقع بعد ذلك أمور، حتّى دخل القشيرىّ و جماعة من الأشعريّة إلى السلطان طغرلبك المذكور و سألوه رفع اللّعنة عن الأشعرىّ. فقال طغرلبك:

الأشعرىّ عندى مبتدع يزيد على المعتزلة، لأنّ المعتزلة أثبتوا أنّ القرآن فى المصحف و هذا نفاه. قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزىّ رحمه اللّه: لو أنّ القشيرىّ لم يعمل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۵

فى هذه رسالة كان أستر للحال، لأنّه إنّما ذكر فيها أنّه وقع اللعن على الأشعرىّ، و أنّ السلطان سئل أن يرفع ذلك فلم يجب؛ ثمّ لم يذكر له حجّة، و لا دفع للخصم شبهة.

و ذكر ابن الجوزىّ من هذا النوع أشياء كثيرة، حتّى قال: و ذكر مثل هذا نوع تغفّل. انتهى.

و فيها توفّى إبراهيم بن عمر بن أحمد أبو إسحاق الفقيه الحنبلىّ و يعرف بالبرمكىّ، لأنّ أهله كانوا يسكنون بالبرمكيّة؛ كان إماما عارفا بمذهبه، و له حلقة للفتوى بجامع المنصور، و سمع خلقا كثيرا، و روى عنه الخطيب و غيره؛ و كان صالحا زاهدا ورعا ديّنا صدوقا ثقة.

و فيها توفّى أحمد بن عمر بن روح أبو الحسين النّهروانىّ؛ كان فاضلا شاعرا قال: كنت على شاطئ دجلة، فمرّبى إنسان فى سفينة و هو يقول:

[الوافر]

و ما طلبوا سوى قتلى فهان علىّ ما طلبوا

فقلت له: قف، ثم قلت بديها: أضف إليه:

على قلبى الأحبّة بالت مادى فى الجفا غلبوا

و بالهجران طيب النّو م من عينىّ قد سلبوا

و ما طلبوا سوى قتلى فهان على ما طلبوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۶

و فيها توفّى مطهّر بن محمد بن إبراهيم أبو عبد اللّه الصوفىّ الشّيرازىّ أحد أعيان مشايخ الصوفيّة، جاور بمدينة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أربعين سنة، و رحل إلى بغداد، ثمّ عاد إلى دمشق فمات بها فى شهر رجب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۶]

السنة التاسعة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ستّ و أربعين و أربعمائة.

فيها استوحش الخليفة القائم بأمر اللّه من الأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرىّ و استوحش البساسيرىّ منه. و هذا أوّل الفتنة التى ذكرناها فى ترجمة المستنصر هذا من أنه خطب له على منابر بغداد. و كتب الخليفة القائم بأمر اللّه إلى طغرلبك السّلجوقىّ فى الباطن يستنهضه إلى السير إلى العراق، و كان بنواحى خراسان.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن إبراهيم أبو علىّ الأهوازىّ المقرئ، كان إماما فى القراءات، و صنّف فى علوم القرآن كتبا كثيرة، و انتهت إليه الرياسة بالشام فى القراءة، و سمع الحديث الكثير، و كان يكره مذهب الأشعرىّ و يضعفه، و من أجله صنّف ابن عساكر كتابه المسمّى «تبيين [كذب] المفترى، [فيما نسب] إلى أبى الحسن الأشعرىّ».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۷

و فيها توفّى الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود أبو عبد اللّه السّلماسىّ الفقيه الصالح، كان مشهورا بأفعال البرّ و الصدقات، ينفق ماله على الفقراء و الصالحين، و أخذ منه السلطان عشرة آلاف دينار قرضا، ثمّ أراد ردّها فلم يقبلها، و قال: إننى رجل يأكل من مالى قوم لو علموا أنّنى أخذت من مال السلطان لأمتنعوا.

و فيها توفى عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهانىّ الفقيه المحدّث، كان زاهدا عالما و رعا، و كنيته أبو محمد، و يعرف بابن اللبّان. أثنى على علمه و فضله جماعة من العلماء. و كانت وفاته فى جمادى الآخرة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۷]

السنة العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة سبع و أربعين و أربعمائة.

فيها دخل طغرلبك السّلجوقىّ بغداد، و هرب منها أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ إلى الرّحبة، و كاتب البساسيرىّ المستنصر صاحب مصر، و مشت الرّسل بينهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۸

و فيها استولى أبو كامل علىّ بن محمد الصّليحىّ على اليمن، و انتمى إلى المستنصر صاحب مصر، و خطب له باليمن، و أزال دعوة بنى العبّاس منها، و كان يدعى بها للقائم بأمر اللّه، فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة.

و فيها توفّى الحسين [بن علىّ] بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف أبو عبد اللّه العجلىّ القاضى، و كان يعرف بآبن ماكولا، ولى قضاء البصرة و بغداد، و كان قاضيا نزها عفيفا ديّنا أديبا شاعرا.

و فيها توفّى على بن المحسّن بن علىّ بن محمد بن أبى الفهم أبو القاسم التّنوخىّ القاضى، تقلّد القضاء فى عدّة بلاد، و سمع الحديث الكثير، و صنف الكتب المفيدة؛ و مات فى بغداد فى المحرّم. و كان صدوقا محتاطا فى الحديث. و قيل:

إنّه كان معتزليّا يميل إلى الرّفض.

و فيها توفّى محمد ابن الخليفة القائم بأمر اللّه العباسىّ فى حياة والده، كان قد نشأ نشوءا حسنا، و رشّحه أبوه القائم بأمر اللّه للخلافة، و لقّبه «ذخيرة الدين». و كانت وفاته فى ذى القعدة، و حزن عليه أبوه القائم حزنا شديدا، و خرج حتّى صلّى عليه بنفسه، فصلّى عليه و

بينه و بين النـاس سـرادق و هم يصـلّون خلفه بصـلاته؛ و جلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثـة أيّام، و منع من ضـرب الطّبول ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع حضـر عميـد الملك وزير السـلطان بين يـدى القائم بأمر اللّه، و أدّى عن السـلطان رسالـة تتضـمّن التعزيـة و السؤال بقيام الوزير و الجماعة من مجلس التّعزية فقاموا، ثم حمل تابوته بعد ذلك إلى الرّصافة فدفن هناک.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۵۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۸]

السنة الحادية و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثمان و أربعين و أربعمائة.

فيها عم الوباء و القحط بغـداد و الشام و مصـر و الدنيا، و كان الناس يأكلون الميتة. و بلغت الرّمانة و السـفرجلة دينارا، و كذا الخيارة و اللّينوفرة، و انقطع مـاء النيـل بمصـر، و كـان يموت بهـا فى كلّ يوم عشـرة آلاف إنسان. و باع عطّار واحـد فى يوم واحـد ألف قارورة شراب. و وقع بمصـر أنّ ثلاثـة لصوص نقبوا نقبا فوجـدوا عنـد الصّباح موتى: أحدهم على باب النقب، و الثانى على رأس الدرجة، و الثـالث على الكـارة التى سـرقها. و هـذا الوبـاء و الغلاء خلاف الغلاء الـذى ذكرناه فى ترجمـة المستنصـر؛ و يأتى ذكر ذلک أيضا فى محلّه. غير أنّه كان ينذر عن ذاک بأمور استرسلت إلى أن عظم الأمر.

و فيهـا أقيم الأـذان فى مشـهد موسـى بن جعفر و مساجـد الكرخ ب «الصـلاة خير من النوم» على رغم أنف الشّـيعة، و أزيـل مـا كـانوا يقولونه فى الأذان من «حىّ على خير العمل».

و فيها توفّى جعفر بن محمد بن عبد الواحد أبو طالب الجعفرىّ الشـريف الطّوسـىّ شيخ الصوفية، كان محدّثا فاضلا، سافر [إلى] البلاد فى طلب الحديث، و سمع بالعراقين و الشام و خراسان و غيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۰

و فيها توفّى علىّ بن أحمـد بن علىّ أبو الحسن المؤدّب. أصـله من قريـة ببلاد خوزسـتان يقال لها «فالة» (بفاء) ثم قدم البصـرة و سـمع الحديث، ثم قدم بغداد و مات بها، و كان محدّثا شاعرا أديبا فصيحا ثقة.

و فيها توفّى هلال بن المحسّن بن إبراهيم بن هلال أبو الحسين الكاتب الصابئ صاحب التاريخ- قلت: نقلنا عنه كثيرا فى هذا التاريخ- و كان مولـده فى سـنة تسع و خمسـين و ثلثمائة، و جدّه إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدّم ذكر وفاته، و أن الشـريف الرضـى رثاه، و عيب عليه من كونه من الأشـراف ورثى صابئـا. و كـان أبو هلال هـذا المحسّن صابئـا، و أسـلم هو متأخرا؛ و كان قبل أن يسلم سـمع جماعة من النحاة، منهم أبو علىّ الفارسىّ و علىّ بن عيسى الرّمّانىّ و غيرهما.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۴۹]

السنة الثانية و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة تسع و أربعين و أربعمائة.

فيها استعفى ابن النّسوىّ من ولاية الشّرطة ببغداد لأستيلاء الحراميّة و اللصوص عليها بحيث إنه أقيم جماعة لحفظ قصر الخليفة و الطّيّار

الذى للخليفة من الحريق، لأنّ اللصوص كانوا إذا امتنع عليهم موضع حرّقوه.

و فيها كان الطاعون العظيم ببخارى، حتّى إنه خرج منها فى يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان. و حصر من مات فيه فكان ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۱

شخص. ثمّ وقع فى أذربيجان و الأهواز و واسط و البصرة، حتّى كانوا يحفرون التّربة الواحدة و يلقون فيها العشرين و الثلاثين. ثمّ وقع بسمرقند و بلخ، فكان يموت فى كلّ يوم ستة آلاف و أكثر. و ذكر صاحب المرآة فى هذا الطاعون أشياء مهولة يطول الشرح فى ذكرها، منها أن مؤدّب أطفال كان عنده تسعمائة صغير فلم يبق منهم واحد. و مات من عاشر شوّال إلى سلخ ذى القعدة بسمرقند خاصّة مائتا ألف و ستة و ثلاثون ألفا. و كان ابتداء هذا الطاعون من تركستان إلى كاشغر و فرغانة انتهى.

و فيها توفّى أحمد بن عبد اللّه بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة [بن الحارث] بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النّعمان بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم اللّه بن أسد بن و برة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعرّىّ التّنوخىّ اللغوىّ الأعمى الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة. قال الذهبىّ:

و صاحب الزندقة المأثورة. و قال أبو المظفّر فى مرآة الزمان: و تنوخ قبيلة من اليمن. و توفّى أبو العلاء بمعرّة النّعمان فى يوم الجمعة ثالث عشر [شهر] ربيع الأوّل.

و مولده يوم الجمعة لثلاث بقين من [شهر] ربيع الأوّل سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة.

و أصابه جدرىّ بعد ثلاث سنين من عمره فعمى منه. و قال الشعر و هو ابن إحدى عشرة سنة. قلت: و قد اختلف الناس فى أبى العلاء المذكور، فمن الناس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۲

من جعله زنديقا و هم الأكثر، و من الناس من أوّل كلامه و دفع عنه. و ممّا يستشهد عليه من المقالة الأولى قوله:

[الوافر]

عقول تستخفّ بها سطور و لا يدرى الفتى لمن الثّبور

كتاب محمد و كتاب موسى و إنجيل ابن مريم و الزّبور

و له فى غير هذا المعنى أشياء كثيرة، و تصانيف مشهورة، منها «سقط الزّند» و شرحه بنفسه و سماه «ضوء السقط». و له غير ذلك.

و فيها توفّى إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر أبو عثمان الواعظ المفسر الصّابونىّ النيسابورىّ شيخ الإسلام. قال أبو عبد اللّه المالكىّ: أبو عثمان ممن شهد له أعيان الرجال بالكمال فى الحفظ و التفسير و غيرهما.

و قال البيهقىّ: أنبأنا إمام المسلمين حقّا، و شيخ الإسلام صدقا أبو عثمان الصابونىّ.

و فيها توفّى علىّ بن هندىّ القاضى أبو الحسن قاضى حمص. ولد سنة أربعمائة.

كان عالما فاضلا نزها عفيفا فصيحا، مات بدمشق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة دراعا و ثلاث أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۰]

السنة الثالثة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمسين و أربعمائة.

فيها أقام أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ الدعوة للمستنصر ببغداد و خطب له على منابرها. و قد استوعبنا واقعته مع الخليفة القائم بأمر اللّه العباسىّ فى أوّل ترجمة المستنصر هذا، فيطلب هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۳

و فيها ولّى المستنصر الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان على دمشق، فدام بها إلى أن أمره المستنصر أن يتوجّه إلى حلب فى سنة اثنتين و خمسين لقتال العرب الذين استولوا عليها؛ فتوجّه إليها و دافع العرب بظاهرها فكانت بينهم وقعة هائلة انكسر فيها ناصر الدولة المذكور و عاد جريحا، و استولت العرب على أثقاله و ما كان معه.

و فيها توفّى داود جغرى بک أخو السلطان طغرلبک السّلجوقى، و داود كان الأكبر. و لم يقدم بغداد، و كان مقيما بخراسان بإزاء أولاد محمود بن سبكتكين. و هو حمو الخليفة القائم بأمر اللّه. و كان ملكا شجاعا عاقلا جوادا مدبّرا حكيما. مات ببلخ.

و توجّه ولداه ياقوتى بک و قاورد بک إلى عند أخيهما متملّک الأمر بعد أبيهما، و اسمه ألب أرسلان، و قرّر عمّهما السلطان طغرلبک أمورهما، و كان بأصبهان و قد عزم على قصد العراق.

و فيها توفّى طاهر بن عبد اللّه بن طاهر أبو الطيّب الطّبرىّ القاضى الشافعىّ.

تفقّه بخراسان و بالعراق، و ولى القضاء بربع الكرخ. و مولده سنة ثمان و أربعين و ثلثمائة، و مات يوم السبت عشرين [شهر] ربيع الأوّل، و قد بلغ مائة سنة و سنتين و هو صحيح العقل ثابت الفهم سليم الأعضاء و الحواسّ.

و فيها توفّى عبد اللّه بن علىّ بن عياض أبو محمد الصّورىّ، كان يلقّب بعين الدولة، كان جليلا- نبيلا، ولى القضاء بصور، و سمع الكثير، و خرّج له أبو بكر الخطيب فوائد فى أربعة أجزاء و قرأها عليه بصور. و هو الذى أخذ الخطيب مصنّفاته و ادّعاها لنفسه. و مات فجأة فى الزّيب (قرية بين عكّا و صور) فى شوّال. و كان صدوقا ثقة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۴

و فيها قتل الوزير رئيس الرؤساء علىّ بن الحسين بن أحمد بن محمد الوزير ابو القاسم، كان من بيت رياسة و مكانة، استكتبه القائم بأمر اللّه العبّاسىّ، ثمّ استوزره و لقّبه «رئيس الرؤساء شرف الوزراء». و مولده فى شعبان سنة تسع و تسعين و ثلثمائة. و كان عالما بفنون كثيرة مع سداد رأى و وفور عقل. قتله أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ. حسب ما ذكرناه فى أوّل ترجمة المستنصر صاحب الترجمة.

و فيها توفّى علىّ بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردىّ البصرىّ الإمام الفاضل الفقيه الشافعىّ صاحب التصانيف الحسان، منها «التفسير» و «كتاب الحاوى» و «الأحكام السلطانية» و «قوانين الوزارة» و «الأمثال». و ولى القضاء ببلدان كثيرة. و كان محترما عند الخلفاء و الملوک.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۱]

السنة الرابعة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة إحدى و خمسين و أربعمائة.

فيها انصرف أبو الأغرّ دبيس بن مزيد عن بغداد على غضب من البساسيرىّ.

و فيها كان بمكة رخص لم يعهد مثله، حتّى بلغ البرّ و التمر مائتى رطل بدينار.

و فيها قتل أبو الحارث أرسلان التركىّ المعروف بالبساسيرىّ صاحب الدعوة للمستنصر ببغداد، كان يلقّب بالمظفّر. و كان فى مبدأ أمره مقدّما على الأتراک

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۵

خصيصا عند القائم بأمر اللّه العباسىّ، لا يقطع القائم أمرا دونه. فتجبّر و طغى، فجفاه القائم و استنصر عليه بالسلطان طغرلبك السّلجوقىّ حتّى خرج من بغداد على غضب.

و صار يسعى فى زوال الخلافة عن القائم، و لا زال يدبّر عليه حتى فعل تلك الأمور، و دخل بغداد و قاتل الخليفة القائم و قطع خطبته و خطب للمستنصر صاحب الترجمة، و قتل الوزير رئيس الرؤساء المقدّم ذكره- و قد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستنصر هذا- و ملك بغداد و دام بها حتّى ظفره السلطان طغرلبك السّلجوقىّ و قتله شرّ قتلة. و أعاد الخليفة القائم بأمر اللّه من حديثة عانة إلى بغداد، و أعيدت الخطبة باسمه، و أبطل طغرلبك اسم المستنصر هذا من بغداد و العراق، و مهّد أمورها (أعنى العراق) حتّى عادت كما كانت عليه، و كان قتله فى آخر السنة.

و فيها توفّى الحسن بن أبى الفضل الإمام أبو علىّ الشّرمقانىّ - و الشّرمقان:

قرية من قرى نيسابور- كان إماما فاضلا حافظا للقرآن و وجوه القراءات، زاهدا عابدا ورعا سليم الصدر. و كان لا يقبل من أحد، و يقنع بورق الخسّ. فاتفق أنّ ابن العلّاف خرج يوما متوجّها على دجلة فرأى الشّرمقانىّ هذا يأخذ ما يرمى به أصحاب الخسّ فيأكله، فشقّ عليه ذلك، فحكى أمره للوزير رئيس الرؤساء؛ فقال:

نبعث له شيئا؛ فقال: لا يقبل. فقال الوزير: تحيّل فيه. فقال لغلام له: اذهب إلى مسجد الشّرمقانىّ و اعمل لغلقه مفتاحا من حيث لا يشعر ففعل. فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۶

احمل له فى كلّ يوم ثلاثة أرطال خبز، و دجاجة مشوية، و قطعة حلوى سكّر.

فكان الغلام يرصده، فإذا خرج من المسجد فتح الباب و ترك ذلك فى خلوته و خرج؛ فيقول الشّرمقانىّ: المفتاح معىّ، من أين ذلك! و ما هو إلّا من الجنّة! و سكت و لم يخبر أحدا خوفا من أن ينقطع، فأخصب جسمه و سمن؛ فقال له ابن العلّاف:

قد سمنت، فإيش تأكل؟ فأنشد الشّرمقانىّ يقول: [البسيط]

من أطلعوه على سرّ فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

و أخذ يورّى و لم يصرّح بما يقع له، فقال: هذا كرامة. فقال له بعضهم: ينبغى أن تدعو للوزير؛ ففهم و انكسر قلبه و امتنع من أكل ذلك. و توفّى بعد ذلك بمدّة يسيرة.

و فيها توفّى سعيد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو عثمان النّجيرمىّ النيسابورىّ العدل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۲]

السنة الخامسة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة اثنتين و خمسين و أربعمائة.

فيها فى صفر دخل عطيّة صاحب بالس إلى الرّحبة و حصرها و افتتحها. فلمّا دخلها أحسن معاملة أهلها، و خطب بها للمستنصر هذا صاحب الترجمة، بعد أن كانوا خطبوا فيها بأمر السلطان طغرلبك السّلجوقىّ للقائم بأمر اللّه العبّاسىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۷

و فيها دخل السلطان طغرلبك بغداد و فى خدمته أبو كاليجار من ملوك بنى بويه، و اسمه هزارسب، و الأمير أبو الأغرّ بن مزيد، و الأمير أبو الفتح بن ورّام، و صدقة ابن منصور بن الحسين؛ و نزل بدار الملك ببغداد. و انقرضت دولة بنى بويه من بغداد بسلطنة

طغرلبک السلجوقیّ هذا.

و فيها توفّى أحمد بن عبد اللّه بن فضالهٔ أبو الفتح الموازينىّ الحلبىّ الشاعر.

كان يعرف بالماهر. سكن دمشق و بها توفّى. و من شعره: [الكامل]

يا من توقّد فى الحشا بصدوده نار بغير وصاله لا تنطفى

و ظننت جسمى أن سيخفى بالضّنا عن عاذلىّ فقد ضنيت و ما خفى

و فيها توفّيت الترنجان زوجهٔ السلطان طغرلبک السّلجوقىّ و أمّ أنو شروان التى تزوّجها خوارزم شاه؛ كانت أمّ ولد، و فيها دين وافر، و معروف ظاهر، و صدقات كثيرهٔ، و كانت صاحبهٔ رأى و تدبير و حزم و عزم؛ و كان زوجها السلطان طغرلبک سامعا لها و مطيعا، و الأمور مردودهٔ إلى عقلها، و كانت تسير بالعساكر و تنجده و تقاتل أعداءه.

و فيها توفّيت أمّ الخليفهٔ القائم بأمر اللّه العباسىّ، و هى أرمينيّهٔ أمّ ولد. تسمّى قطر الندى- و قيل بدر الدجى، و قيل علم- و هى التى حبسها البساسيرىّ لمّا ملک بغداد. و كانت وفاتها فى شهر رجب ببغداد، و صلّى عليها ابنها الخليفهٔ القائم بأمر اللّه.

و قد جاوزت التسعين سنهٔ من العمر.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۸

و فيها توفّى الحسن بن أبى الفضل الأمير أبو محمد النّسوىّ صاحب شرطهٔ بغداد الذى اصطلح أهل السنّهٔ و الرافضهٔ خوفا منه فيما تقدّم ذكره. و كان صار ما فاتكا ظالما، يقتل الناس و يأخذ أموالهم. و شهد عليه الشهود عند القاضى أبى الطيب فحكم بقتله، فصالح بمال فسلم، و عزل من الشّرطهٔ ثم أعيد؛ فاتّفقت أهل السّنهٔ و الرافضهٔ عليه فقتلوه.

و فيها وقع الطاعون بالحجاز و اليمن، و خربت قرى كثيرهٔ، و صار من يدخلها هلک من ساعته.

و فيها توفّى محمد بن عبيد اللّه بن أحمد أبو الفضل المالكىّ المعروف بابن عمروس، انتهت إليه رياسهٔ المالكيهٔ ببغداد فى زمانه، و كان من القرّاء المجوّدين ثقهٔ دينّا؛ أخرج له الخطيب حديثا عن معاذ بن جبل رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتّى يعمله».

أمر النيل فى هذه السنهٔ- الماء القديم خمس أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادهٔ ستّ عشرهٔ ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنهٔ ۴۵۳]

السنهٔ السادسهٔ و العشرون من ولايهٔ المستنصر معدّ على مصر و هى سنهٔ ثلاث و خمسين و أربعمائهٔ.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۶۹

فيها توفّى الأمير أحمد بن مروان بن دوستک نصر الدولهٔ الكردىّ صاحب ميّافارقين و ديار بكر، ملک البلاد بعد أن قتل أخوه أبو سعيد منصور. و كان نصر الدولهٔ هذا عالى الهمّهٔ، قوىّ الحرمهٔ، مقبلا على اللّذّات، عادلا فى الرعيّهٔ. قيل:

لم تفته صلاهٔ الصبح مع الجماعهٔ مع انهما كه فى اللهو. و كان له ثلثمائهٔ و ستّون جاريهٔ، يخلو كلّ ليلهٔ بواحدهٔ على عدد أيّام السنهٔ. و خلّف عدّهٔ أولاد. و قد وزر له أبو القاسم الحسين بن على المغربىّ صاحب الرسائل. و كان أوّلا وزير صاحب مصر، فقدم عليه فوزر له مرّتين. و مات نصر الدولهٔ فى شوّال بظاهر ميّافارقين و له سبع و سبعون سنهٔ. و كانت سلطنته إحدى و خمسين سنهٔ. و ملک بعده ولده نظام الدين أبو القاسم نصر بن أحمد.

و فيها توفّى علىّ بن رضوان بن علىّ بن جعفر أبو الحسن المصرىّ صاحب المصنّفات. كان من كبار الفلاسفهٔ فى الإسلام، و كان له دار بمدينهٔ مصر على قصر الشّمعهٔ تعرف بدار ابن رضوان. و قد تهدّمت الآن. كان إماما فى الطّبّ و الحكمهٔ، كثير الردّ على أرباب

فنّه. و كان فيه سعة خلق عند بحثه، و له مصنّفات كثيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۰

و فيها توفّى علىّ بن محمد بن يحيى بن محمد أبو محمد و أبو القاسم السلمىّ الدّمشقىّ المعروف بالسّميساطىّ واقف خانقاه دمشق و غيرها. سمع الحديث، و كان مقدّما فى علم الهندسة و الهيئة، و روى عنه أبو بكر الخطيب و غيره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۴]

السنة السابعة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة أربع و خمسين و أربعمائة.

فيها قبض المستنصر على وزيره أبى الفرج ابن المغربىّ، و استوزر أبا الفرج البابلىّ، ثمّ ردّ ابن المغربىّ إلى كتابة الجيش، و هى كانت رتبته قبل الوزارة؛ و لم يكن قبله وزير يعزل فيعود إلى قديم تصرفه.

و فيها كانت وقعة بين أبى المكارم مسلم بن قريش بن بدران و بين عمّه مقبل ابن بدران. و كان مقبل قد طلب الأمر لنفسه و اجتمع إليه خلق من الأكراد و غيرهم، و التقيا على الخابور فانهزم مسلم، و ملك مقبل الجزيرة. فبذل مسلم المال و جمع و عاد إلى عمّه مقبل فهزمه. ثمّ اتّفقا و اجتمعا و اصطلحا على أمر مشى بينهما.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن محمد بن الحسن أبو محمد الجوهرىّ ثم الشّيرازىّ ثمّ البغدادىّ، مسند العراق فى عصره. ولد فى شعبان سنة ثلاث و ستّين و ثلثمائة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۱

و سمع الكثير و تفرّد بأشياء عوال. و كان يعرف بالمقنّعى لأنّه كان يتطيلس و يلتفّ بها تحت حنكه. و مات فى ذى القعدة، و كان له شعر. فمن ذلك قوله:

[السريع]

يا موت ما أجفاك من زائر تنزل بالمرء على رغمه

و تأخذ العذراء من خدرها و تسلب الواحد من أمّه

و فيها توفّى عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار أبو الفضل العجلىّ الرّازىّ المقرئ الإمام الزاهد. أصله من الرّىّ، و ولد بمكّة، و كان يتنقّل من بلد إلى بلد.

و كان مقرئا، جليل القدر، كثير التصانيف، حسن السّيرة، زاهدا متعبّدا.

و فيها توفّى المعزّ بن باديس بن منصور بن بلكّين الحميرىّ الصّنهاجىّ سلطان إفريقيّة و ما والاها من الغرب. كان الحاكم صاحب مصر قد لقبّه شرف الدولة، و أرسل إليه خلعة فى سنة سبع و أربعمائة، و عاش المعزّ إلى هذا الوقت. و كان ملكا رئيسا جليلا عالى الهمّة، و هو الّذى حسم مادّة الخلاف ببلاد الغرب. و كان مذهب أبى حنيفة ظاهرا بإفريقيّة، فحمل أهل مملكته بالاشتغال بمذهب مالك و ترك ما دونه من المذاهب. و كان المعزّ شيخا جوادا ممدّحا. و هو الذى خلع طاعة خلفاء مصر من بنى عبيد، و أبطل دعوتهم من الغرب، و خطب للقائم بأمر اللّه العبّاسىّ، فكتب إليه المستنصر هذا يتهدّده، فما التفت إلى ذلك. ثمّ وقع بين عساكره و عساكر المستنصر حروب بسبب ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۲

و فيها توفّى سبكتكين [بن عبد اللّه] التّركى أبو منصور تمام الدولة. تولى إمارة دمشق من قبل المستنصر صاحب الترجمة، و مات بها فى شهر ربيع الأول.

و كان صالحا عفيفا، سمع الحديث و رواه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۵]

السنة الثامنة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمس و خمسين و أربعمائة.

فيها دخل الصّليحىّ إلى مكّة، و استعمل الجميل مع أهلها، و أظهر العدل و الإحسان، و طابت قلوب الناس له و رخصت الأسعار؛ و كان شابّا أشقر اللّحية أزرق العينين، و ليس كان باليمن أشقر أزرق غيره. و كان متواضعا، إذا اجتاز بقوم سلّم عليهم بيده؛ و كسا البيت الحرام بثياب بيض، و ردّ بنى شيبة عن قبيح أفعالهم.

و فيها كانت واقعة بين قاورد بك بن داود و بين فضلويه الشونكارىّ على فرسخين من شيراز، فانهزم فضلويه و غنم قاورد بك أمواله.

و كان فضلويه فى عشرين ألفا من الدّيلم و غيرهم؛ و كان قاورد بك فى أربعة آلاف من الترك لا غير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۳

و فيها ثار أهل همذان على العميد فقتلوه مع سبعمائة رجل من أصحاب السلطان، و قتلوا أيضا شحنة البلد.

و فيها قصد قتلمش الرّىّ و معه خمسون ألفا من التركمان، فدفعه عميد الملك عنها.

و فيها توفّى السّلطان طغرلبك. و اسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق أبو طالب السّلجوقىّ. قدم بغداد سنة سبع و أربعين و أربعمائة، و خلع عليه الخليفة القائم بأمر اللّه العباسىّ، و خاطبه بملك المشرق و المغرب. قلت: و هذا أوّل ملوك السلجوقيّة، و هو الذى مهّد لهم الدولة، و ردّ ملك بنى العباس بعد أن كان اضمحلّ و زالت دعوتهم من العراق، و خطب لبنى عبيد خلفاء مصر لمّا استولى أبو الحارث أرسلان البساسيرىّ على بغداد. و قد تقدّم ذكر ذلك. فما زال طغرلبك هذا حتّى ردّ الخليفة القائم بأمر اللّه من الحديثة إلى بغداد، و أعاد الخطبة باسمه، و قتل البساسيرىّ.

و كان شجاعا مقداما حليما، عصى عليه جماعة فظفر بهم و عفا عنهم. و هو الذى أزال ملك بنى بويه من العراق و غيره. و كانت وفاته بالرّىّ فى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان من هذه السنة. و كانت مدّة ملكه خمسا و عشرين سنة؛ و قيل ثلاثون سنة. و مات و عمره سبعون سنة- و قيل جاوز الثمانين- و الأول أشهر. و طغرلبك (بضم الطاء المهملة و كسر الراء المهملة و سكون اللام و فتح الباء ثانية الحروف و سكون الكاف).

و فيها توفّى مسلم بن إبراهيم أبو الفضل السلمىّ البزّاز، و يعرف بابن الشّويطر، كان أديبا فاضلا. و من شعره:

[البسيط]

ما فى زمانك من ترجو مودّته و لا صديق إذا خان الزمان وفا

فعش فريدا و لا تركن إلى أحد فقد نصحتك فيما قلته و كفى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۴

و فيها توفّى منصور بن إسماعيل بن أبى قرّة القاضى أبو المظفّر الفقيه الهروىّ الحنفىّ قاضى هراة و خطيبها و مسندها، سمع الكثير و حدّث. و هو أحد أعيان فقهاء الحنفيّة فى زمانه. كان إماما حافظا مفتّنا. مات فى ذى القعدة عن قريب تسعين سنة.

و فيها كان الطاعون العظيم بمصر و قراها فمات بمصر فى عشرة أشهر كلّ يوم ألف إنسان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۶]

السنة التاسعة و العشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ستّ و خمسين و أربعمائة.

فيها وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر و التّرك؛ و وصل ناصر الدولة بن حمدان إلى الإسكندرية، و التقى مع العبيد بموضع يعرف بالكرم؛ فقتل من العبيد ألف رجل، و هرب من بقى. ثم تردّدت الرسل فى إصلاح ذات البين فتمّ. و قد تقدّم شىء من ذلك فى ترجمة المستنصر هذا.

و فيها جرت مراسلة بين قاورد بك ابن [أخى] طغرلبك السّلجوقىّ و بين أخيه ألب أرسلان، و سببه أن ألب أرسلان لمّا ملك الرىّ و استولى على الأموال.

كان قاورد بك على أصبهان فرجع إلى كرمان و خطب لألب أرسلان المذكور و لنفسه من بعده؛ فلم يحصل له إنصاف من ألب أرسلان؛ فوقع بسبب ذلك ما وقع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۵

و فيها توفّى الحسن بن عبد اللّه بن أحمد أبو الفتح الحلبىّ الشاعر المعروف بآبن أبى حصينة. كان فاضلا شجاعا فصيحا، يخاطب بالأمير.

و فيها توفّى عبد الواحد بن علىّ بن برهان أبو القاسم النحوىّ. كان إماما فاضلا نحويّا و فيه شراسة خلق؛ و لم يلبس سراويل قطّ و لا غطّى رأسه أبدا. و مات ببغداد فى جمادى الأولى.

و فيها توفّى علىّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أميّة الأموى الفارسىّ الأصل، ثمّ الأندلسىّ القرطبىّ أبو محمد المعروف بآبن حزم المحدّث صاحب التصانيف المشهورة. كان ظاهرىّ المذهب. و قد تكلّم فيه كلّ أحد ما خلا أهل الحديث، فإنّهم أثبتوا على حفظه. كان إماما عارفا بفنون الحديث، إلا أنّه كان صاحب لسان خبيث، و يقع فى حقّ العلماء الأعلام حتّى صار مثلا، فيقال:

«نعوذ بالله من سيف الحجّاج و لسان ابن حزم». و كان له شعر جيّد. فمن ذلك قوله:

[الوافر]

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى فقلبى عندكم أبدا مقيم

و لكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۶

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۷]

السنة الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة سبع و خمسين و أربعمائة.

فيها توفّى محمد بن منصور أبو نصر عميد الملك الكندرىّ وزير السلطان طغرلبك السّلجوقى. كان فاضلا مدبّرا حازما عاقلا. و كان طغرلبك فى مبدأ أمره قد بعثه ليخطب له امرأة فتزوّجها هو، فحصاه طغرلبك ثم أقرّه على خدمته، فآستولى عليه إلى أن مات. و وزر بعد موت طغرلبك لابنه ألب أرسلان و هو الذى قتله. و ولى الوزارة بعده نظام الملك الذى نشر مذهب الإمام الشافعى بالعجم. و كان عميد الملك المذكور فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره لمّا تحقّق قتله، و أجاد إلى الغاية:

[البسيط]

إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتى فالموت قد وسّع الدنيا على الناس

قضيت و الشامت المغرور يتبعنى إنّ المنية كاس كلّنا حاسى

و فيها توفّى عبيد اللّه بن عمر القاضى أبو زيد الدّبوسىّ الحنفىّ شيخ الحنفيّة بما وراء النهر. كان إماما عالما فقيها نحويّا بارعا فى فنون عفيفا مشكور السّيرة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۷

انتهت إليه رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمانه بما وراء النهر، و مات و المعوّل على فتواه بها.

و فيها توفّى عبد الملك بن محمد بن عبد اللّه بن بشران أبو القاسم الواعظ الفقيه المحدّث فى شهر ربيع الآخر. و كان له لسان حلو فى الوعظ مع دين و زهد و عفّة.

و فيها توفّى موسى بن عيسى بن أبى حاجّ أبو عمران الفقيه المالكىّ القابسىّ، شيخ المالكيّة فى زمانه. كان فقيها نحويّا إماما فاضلا بارعا فى فنون من العلوم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۸]

السنة الحادية و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثمان و خمسين و أربعمائة.

فيها شرع أهل الكرخ فى عمل مأتم الحسين فى يوم عاشوراء، فثار عليهم أهل السنّة. فقال القائم بأمر اللّه: هذا شىء قد كان فلا تعاودوه، و نهى عنه. فانكفّت الرافضة بغيظهم إلى لعنة اللّه.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن علىّ بن عبد اللّه الحافظ أبو بكر البيهقىّ؛ مولده سنة أربع و ثمانين. كان أوحد زمانه فى الحديث و الفقه، و له تصانيف كثيرة، جمع نصوص الإمام الشافعىّ- رضى اللّه عنه- فى عشرة مجلّدات. و مات بنيسابور فى جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۸

الآخرة، و نقل تابوته إلى بيهق. و قد روينا سننه الكبرى عن الشيخ أبى النعيم رضوان العقبىّ ثنا التقىّ بن حاتم انا علىّ بن عمر الأرموىّ انا ابن البخارىّ انا منصور بن عبد المنعم الفراوىّ انا محمد بن إسماعيل الفارسىّ انا أبو بكر البيهقىّ.

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفرّاء أبو يعلى القاضى الحنبلىّ. ولد سنة ثمانين و ثلثمائة فى المحرّم، و سمع الكثير و تفقّه على جماعة من العلماء، و انتهت إليه رياسة الحنابلة فى زمانه، و مات يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان، و كانت جنازته مشهورة مشى فيها الأعيان مثل القاضى الدّامغانىّ الحنفىّ و نقيب الهاشميّين أبى الفوارس طرّاد و غيرهما.

و فيها توفّى محمد بن الفضل بن نظيف أبو عبد اللّه المصرىّ الفرّاء فى شهر ربيع الآخر و له تسعون سنة، و كان إماما عالما زاهدا و رعا.

و فيها توفّى المسدّد بن علىّ أبو المعمّر الأملوكىّ الإمام المحدّث البارع خطيب حمص. كان إماما فقيها فصيحا، سمع الحديث و رواه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۷۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أربع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۵۹]

السنة الثانية و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة تسع و خمسين و أربعمائة.

فيها بعث المستنصر صاحب الترجمة إلى محمود بن الرّوقلية المتغلّب على حلب يطالبه بحمل المال و غزّو الروم، و صرف ابن خاقان و من معه من الغزّ إن كان على طاعته. فأجاب بأنّنى التزمت على أخذ حلب من عمّى أموالا افترضتها و أنا مطالب بها، و ليس فى يدى ما أقضيها فضلا عمّا أصرفه لغيره. و أمّا الرّوم فقد هادنتهم مدّة و أعطيتهم ولدى رهينة على مال اقترضته منهم، فلا سبيل إلى محاربتهم. و أمّا ابن خاقان و الغزّ معه فيدهم فوق يدى. فلمّا وصل الجواب إلى المستنصر كتب المستنصر أيضا إلى بدر الجمالىّ أمير الجيوش المقيم بدمشق: إنّ ابن الرّوقلية خلع الطاعة و مال إلى جهة العراقية. ثم ندب بدر الجمالىّ المذكور عطيّة و هو بالرّحبة لقتاله؛ فدخل القاضى ابن عمّار المقيم بطرابلس بينهم و أصلح الحال.

و فيها كان بمصر الغلاء و القحط المتواتر الذى خرج عن الحدّ- و قد تقدّم ذكره- و لا زال فى زيادة فى هذه السنة و التى قبلها إلى أن أخذ أمره فى نقص فى سنة إحدى و ستّين و أربعمائة. و أبيع القمح فى هذه السنة بثمانين دينارا الإردبّ.

و فيها توفّى سعيد بن محمد بن الحسن أبو القاسم إمام جامع صور. كان فاضلا سمع الحديث و رواه، و من رواياته عن الحسن البصرىّ أنه قال: «لا تشتروا مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۰

و فيها توفّى علىّ بن الخضر أبو الحسن العثمانىّ الدمشقىّ الحاسب. كان له تصانيف فى علم الحساب. و مات بدمشق فى شوّال.

و فيها كان بالرملة الزّلزلة الهائلة التى أخربتها حتّى طلع الماء من رءوس الآبار، و هلك من أهلها- كما نقل ابن الأثير- خمسة و عشرون ألفا. و قال ابن الصابئ:

حدّثنى علوىّ كان بالحجاز: أنّ الزلزلة كانت عندهم فى الوقت المذكور، و هو يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الأولى، فرمت شرفتين من مسجد النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و انشقّت الأرض فبان فيها كنوز ذهب و فضّة، و انفجرت فيها عين ماء، و أنها أهلكت أيلة و من فيها؛ و ذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة. و أمّا ابن الأثير فإنّه قال: و انشقّت صخرة بيت المقدس و عادت بإذن اللّه، و أبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل النّاس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۰]

السنة الثالثة و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ستّين و أربعمائة.

فيها ولّى المستنصر دمشق للأمير بارزطغان قطب الدولة، و وصل معه الشريف أبو طاهر حيدرة، و نزل بدار العقيقىّ، و انهزم بدر الجمالىّ أمير الجيوش من دمشق، فنهب أهلها خزائنه لأنّه كان مسيئا إليهم؛ ثم ظفر بدر الجمالى بالشريف حيدرة بعد أمور صدرت و

سلخه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۱

و فيها جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالقاهرة- و قيل: بالساحل- و زحف المذكورون إلى باب وزيره ابن كدينة فطالبوه بالمال؛ فقال: و أىّ مال بقى عندى بعد أخذكم الأموال و اقتسامكم الإقطاعات! فقالوا: لا بدّ أن تكتب إلى المستنصر. فكتب إليه بما جرى. فكتب المستنصر الجواب على الرّقعة بخطه يقول:

[السريع]

أصبحت لا أرجو و لا أتّقى إلّا إلهى و له الفضل

جدّى نبيّى و إمامى أبى و قولى التوحيد و العدل

المال مال اللّه، و العبد عبد اللّه، و الإعطاء خير من المنع وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عقيل الشّهرزورىّ الشاعر الفاضل فى القدس الشريف. و كان إماما فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره:

[البسيط]

وا حسرتا مات حظّى من قلوبكم و للحظوظ كما للناس آجال

و فيها توفّى الحسن بن أبى طاهر بن الحسن أبو على الختّلىّ. كان يسكن دمشق و بها توفّى. و من رواياته عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن» فالحسن الأوّل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۲

ابن حسّان التميمىّ، و الثانى ابن دينار، و الثالث البصرىّ، و الرابع ابن علىّ ابن أبى طالب، رضى اللّه عنهما.

و فيها توفّيت خديجة بنت محمد بن علىّ بن عبد اللّه الواعظة الشّاهجانيّة. كانت عظيمة مشهورة بالصدق و الورع و الزهد و الدّين المتين. ولدت سنة ستّ و سبعين و ثلثمائة. و كانت تسكن قطيعة الربيع. و صحبت ابن سمعون الواعظ. و لمّا ماتت دفنت إلى جانبه.

و فيها توفّى عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور البغدادىّ، كان إماما بارعا لم يكن فى زمانه من يخاطب بالشيخ الأجلّ سواه. ولد سنة خمس و تسعين و ثلثمائة، و كان أوحد زمانه فى فعل المعروف، و القيام بأمور العلماء، و قمع أهل البدع.

و فيها توفّى أبو جعفر الطّوسىّ فقيه الإماميّة الرافضة و عالمهم. و هو صاحب «التفسير الكبير» و هو عشرون مجلّدا، و له تصانيف أخر. مات بمشهد علىّ- رضى اللّه عنه- و كان مجاورا بضريحه. كان رافضيّا قوىّ التشيّع.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال أبو عمر القرطبىّ المعروف بابن القطّان المالكىّ المغربىّ شيخ المالكيّة فى زمانه و عالمهم. مات فى هذه السنة و له سبعون سنة.

و فيها توفّى أحمد بن الفضل أبو بكر الباطرقانىّ المقرئ فى صفر و له ثمان و ثمانون سنة. كان إماما عالما بالقراءات رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۱]

السنة الرابعة و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة إحدى و ستّين و أربعمائة.

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبى عبد اللّه [الماسكىّ] وزير المستنصر بمصر؛ فوثب عليه رجل صيرفىّ و ضربه بسكّين؛ فأمسك الصيرفىّ و شنق فى الحال، و حمل ناصر الدولة بن حمدان إلى داره جريحا، فعولج فبرىء بعد مدّة.

و قيل: إنّ المستنصر و والدته كانا دسّا الصيرفىّ عليه. و فى هذه الأيام اضمحلّ أمر المستنصر بالديار المصريّة لتشاغله باللّهو و الشرب و الطّرب. فلمّا عوفى ابن حمدان اتّفق مع مقدّمى المشارقة، مثل سنان الدولة و سلطان الجيوش و غيرهما، فركبوا و حصروا القاهرة. فاستنجد المستنصر و أمّه بأهل مصر، و أذكرهم حقوقه عليهم، و وعدهم بالإحسان؛ فقاموا معه و نهبوا دور أصحاب ابن حمدان و قاتلوهم. فخاف ابن حمدان و أصحابه، و دخلوا تحت طاعة المستنصر، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين.

و فيها أبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردبّ، ثمّ عدم وجوده. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستنصر مفصّلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۴

و فيها توفّى عبد الرحيم بن أحمد بن نصر الحافظ أبو زكريّا البخارىّ التميمىّ، سمع الحديث و طاف البلاد فى طلب الحديث، و سمع بعدّة أقطار و اتّفقوا على صدقه و ثقته. و كانت وفاته فى المحرّم بمصر.

و فيها توفّى محمد بن مكّى بن عثمان الحافظ أبو الحسين الأزدىّ المصرىّ فى جمادى الأولى، و كان إماما فاضلا محدّثا، سمع الحديث و رحل البلاد.

و فيها توفّى نصر بن عبد العزيز أبو الحسين الشّيرازىّ الفارسىّ المقرئ، كان إماما فى علم القراءات، و له سماع و رواية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و أربع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۲]

السنة الخامسة و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة اثنتين و ستّين و أربعمائة.

فيها كان معظم الغلاء بالديار المصريّة حتّى خربت و خرب غالب أعمالها. و أبطل صاحب مكّة و [صاحب] المدينة خطبة المستنصر، و خطبا للقائم بأمر اللّه العبّاسىّ؛ فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه و رعيّته من عظم الغلاء.

و فيها وقف الوزير نظام الملك الأوقاف على مدرسته النظاميّة ببغداد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۵

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن محمد أبو الجوائز الواسطىّ الكاتب، ولد سنة اثنتين و خمسين و ثلثمائة؛ و سكن بغداد دهرا طويلا. و كان شاعرا ماهرا. و من شعره- رحمه اللّه تعالى-:

[الرجز]

و احربا من قولها: خان عهودى ولها

و حقّ من صيّرنى وقفا عليها و لها

ما خطرت بخاطرى إلا كستنى ولها

و فيها توفّى الشريف حيدرة بن إبراهيم أبو طاهر بن أبى الجنّ، الشريف العلوىّ. كان عالما قارئا محدّثا و كان عدوّا لبدر الجمالىّ؛ فلمّا دخل بدر الجمالىّ دمشق هرب منها حيدرة المذكور إلى عمّان البلقاء؛ فغدر به بدر بن حازم و بعث به إلى بدر الجمالىّ بعد أن أعطاه بدر الجمالىّ اثنى عشر ألف دينار و خلعا كثيرة؛ فقتله بدر الجمالىّ أقبح قتله ثمّ سلخ جلده. و قيل: سلخه حيّا. و أظنّ القاضى شهاب الدين أحمد قاضى دمشق و كاتب مصر فى زماننا هذا كان من ذرّيّة ابن أبى الجنّ هذا. و اللّه أعلم.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب بن بشران النحوىّ الواسطىّ الحنفىّ و يعرف بابن الخالة. كان إماما عالما فاضلا عارفا بالأدب و النّحو و اللّغة و الحديث و للفقه، و كان شيخ العراق و رحلته. و ابن بشران جدّه لأمّه. و مات بواسط.

و من شعره:

[المتقارب]

يقول الحبيب غداة الوداع كأن قد رحلنا فما تصنع

فقلت أواصل سفح الدموع و أهجر نومى فما أهجع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۶

و له أيضا:

[البسيط]

لمّا رأيت سلوّى غير متّجه و أنّ عزم اصطبارى عاد مفلولا

دخلت بالرّغم منّى تحت طاعتكم ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا

و فيها توفّى هزار سب بن تنكر بن عياض أبو كاليجار تاج الملوك الكردىّ. كان قدم على السلطان ألب أرسلان السلجوقىّ بأصبهان ثمّ عاد إلى خوزستان، و نزل بموضع يعرف بخرندة. و كان قد تجبّر و تكبر و تسلط و تفرعن و تزوّج بأخت السلطان ألب أرسلان، فلحقه مرض الذّرب حتى مات منه.

و فيها توفّى محمد بن عتّاب الإمام الفقيه أبو عبد اللّه القرطبىّ المالكىّ مفتى قرطبة و عالمها، انتهت إليه رياسة مذهبه فى زمانه ببلاد قرطبة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۳]

السنة السادسة و الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هذه سنة ثلاث و ستين و أربعمائة.

فيها كانت الواقعة العظيمة بين السلطان ألب أرسلان بن طغرلبك السّلجوقىّ و بين ملك الرّوم، و انتصر المسلمون و للّه الحمد. ثم سار ألب أرسلان إلى ديار بكر و افتتح بها عدّة حصون، ثم نزل على الفرات؛ و لم يخرج إليه محمود صاحب حلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۷

فغاظه ذلك، فقدم حلب فسار إليها و وصلها، و أخربت عساكره حلب و نهبوها، و وصلت عساكره إلى القريتين من أعمال حمص؛ ثم شفع فيه الخليفة القائم بأمر اللّه، فقبل ألب أرسلان الشّفاعة و اصطلحا.

و فيها ملكت الفرنج جزيرة صقلّيّة. و سببه أنّه كان بها وال، فبعث إليه المستنصر صاحب مصر يطلب منه المال، و كان عاجزا عمّا طلب منه، فبعث إلى الفرنج و فتح لهم باب البلد فدخلوا و قتلوا و ملكوا الجزيرة.

و فيها ظهر أتسز بن أوق مقدّم الأتراك، و فتح الرّملة و بيت المقدس، و ضايق دمشق، و أخرب الشام.

و فيها توفّى أحمد بن علىّ بن ثابت بن أحمد بن مهدى أبو بكر الخطيب البغدادىّ.

ولد سنة إحدى و تسعين و ثلثمائة بدرزيجان (قرية من قرى العراق) ثمّ انتقل إلى بغداد، و رحل و سمع الحديث، و صنّف الكتب الكثيرة. و يروى عن أبى الحسين ابن الطيورىّ أنه قال: أكثر كتب الخطيب مستفادة من كتب الصورىّ (يعنى أخذها برقتها). منها: «تاريخ بغداد» الذى تكلّم فيه فى غالب علماء الإسلام بالألفاظ القبيحة بالرّوايات الواهية الأسانيد المنقطعة، حتى امتحن فى دنياه بأمور قبيحة- نسأل اللّه السلامة و حسن العاقبة- و رمى بعظائم. و أمر صاحب دمشق بقتله لو لا [أنه] استجار بالشريف ابن أبى الجنّ فأجاره.

و قصته مع الصبىّ الذى عشقه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۸

مشهورة. و من أراد شیئا من ذلک فلینظر فی تاریخ الإمام الحافظ الحجة أبی الفرج ابن الجوزی المسمّی ب «المنتظم»؛ و أیضا ینظر فی تاریخ العلّامة شمس الدین یوسف ابن قزأوغلی (أعنی مرآة الزمان) و ما وقع له من الأمور و المحن. و ما ربّک بظلّام للعبید. أضربت عن ذکر [ذلک] کلّه لکونه متخلّقا بأخلاق الفقهاء، و أیضا من حملة الحدیث الشریف. غیر أنّنی أذکر من شعره ما تغزّل به فی محبوبه المذکور. فمن ذلک قوله من قصیدة أوّلها:

[البسیط]

تغیّب الناس عن عینی سوی قمر حسبی من الناس طرّا ذلک القمر

و کلّه علی هذه الکیفیّة.

و فیها توفّی أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن غالب بن زیدون أبو الولید المخزومیّ الأندلسیّ القرطبیّ الشاعر المشهور المعروف بابن زیدون، حامل لواء الشعراء فی عصره. کانت وفاته فی شهر رجب بمدینة إشبیلیة. و من شعره:

[السریع]

أیّتها النفس إلیه اذهبی فما لقلبی عنه من مذهب

مفضّض الثغر له نقطة من عنبر فی خدّه المذهب

أنسانی التّوبة من حبّه طلوعه شمسا من المغرب

و له القصیدة التی سارت بها الرکبان الموسومة بالزیدونیة التی أوّلها:

[البسیط]

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إلیکم و لا جفّت مآقینا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۸۹

و فیها توفّی محمد بن علیّ بن محمد بن حباب أبو عبد اللّه الصّوریّ الشاعر المشهور.

کان فاضلا فصیحا. مات بطرابلس. و من شعره أوّل قصیدة:

[الکامل]

صبّ جفاه حبیبه فحلا له تعذیبه

و فیها توفّی محمد بن وشاح بن عبد اللّه أبو علیّ. ولد سنة تسع و سبعین و ثلثمائة.

و کان فاضلا کاتبا شاعرا فصیحا مترسّلا. رحمه اللّه.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

*** ا

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۴]

لسنة السابعة و الثلاثون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة أربع و ستین و أربعمائة.

فیها بعث الخلیفة القائم بأمر اللّه الشریف أبا طالب الحسن بن محمد أخا طرّاد الزّینبیّ إلی أبی هاشم محمد أمیر مکّة بمال و خلع، و قال له: غیّر الأذان و أبطل «حیّ علی خیر العمل». فناظره أبو هاشم المذکور مناظرة طویلة، و قال له: هذا أذان أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب. فقال له أخو الشریف: ما صحّ عنه، و إنّما عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب روی عنه أنه أذّن به فی بعض أسفاره، و ما أنت و ابن عمر! فأسقطه من الأذان.

و فیها توفّی عبد اللّه بن محمد بن عثمان القاضی أبو طالب أمیر الدولة، الحاکم علی طرابلس الشأم و المتولّی علیها. و کان کریما، کثیر الصدقة، عظیم المراعاة للعلویّین.

مات فی نصف شهر رجب.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۰

و فیها توفّی عیسون بن علیّ الشیخ أبو بکر الصّقلّی الزاهد المشهور. کان کثیر العبادة و الزّهد و الورع. صنّف کتابا سماه «دلیل القاصدین» فی اثنی عشر مجلدا.

و فیها توفّی محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الصّمد ابن الخلیفة المهتدی بالله أبو الحسین الهاشمیّ العبّاسیّ، خطیب جامع المنصور ببغداد. کان صالحا عالما زاهدا ثقة.

و فیها توفّی المعتضد بالله عبّاد بن محمد بن إسماعیل بن عبّاد الملک الجلیل صاحب إشبیلیة من بلاد الغرب، فی قول الذهبیّ. کان من أجلّ ملوک المغرب و أعظمهم؛ و کان محبّا للعلماء و الشعراء، و عنده فضیلة و مشارکة. و کان ابن زیدون الشاعر- المقدّم ذکره- عنده فی صورة وزیر. رحمه اللّه تعالی.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۵]

السنة الثامنة و الثلاثون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة خمس و ستین و أربعمائة.

فیها قتل الحسن بن الحسین بن حمدان الأمیر أبو محمد ناصر الدولة التّغلبیّ ذو المجدین المقدّم ذکره فی أوّل ترجمة المستنصر هذا. وقع له أمور آل أمره بعدها إلی أن تزوج ببنت إلدکز، و اتّفق معه. و اتفق لهما أمور کثیرة مع المستنصر صاحب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۱

الترجمة. و لما اتّفقا قوی أمر ناصر الدولة هذا و دخل إلی مصر و استولی علیها، و لقّب نفسه بسلطان الجیوش، و أمن إلدکز و ناصر الدولة هذا کلّ منهما إلی الآخر.

و وقع لهما أمور، إلی أن دخل ناصر الدولة مصر ثالث مرّة، فغدر إلدکز به و قتله، حسب ما ذکرناه مفصّلا فی ترجمة المستنصر. ثمّ خرج إلدکز بمن معه إلی محمود بن ذبیان أمیر بنی سنبس فقتلوه، و کان عنده الأمیر شاور فقتلوه أیضا، و خرجوا إلی خیمة تاج المعالی بن حمدان أخی ناصر الدولة فقتلوه بعد أن هرب منهم. ثم قطع ابن حمدان المذکور قطعا و أنفذ کلّ قطعة إلی بلد. قلت: و هذا ناصر الدولة آخر من بقی من أولاد بنی حمدان ملوک حلب و غیرها.

و فیها توفّی عبد الکریم بن هوازن بن عبد الملک بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشیریّ النیسابوریّ. ولد سنة ستّ و سبعین و ثلثمائة فی شهر ربیع الأوّل؛ و ربّی یتیما فقرأ و اشتغل بالأدب و العربیة. و کان أوّلا من أبناء الدنیا، فجذبه أبو علیّ الدّقّاق فصار من الصوفیّة. و تفقّه علی بکر بن محمد الطّوسیّ، و أخذ الکلام عن ابن فورک، و صنّف «التفسیر الکبیر» و «الرسالة». و کان یعظ و یتکلّم بکلام الصوفیّة.

و مات بنیسابور. و من شعره:

[السریع]

إن نابک الدهر بمکروهه فقل بتهوین تخاویفه

فعن قریب ینجلی غمّه و تنقضی کلّ تصاریفه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۲

و قد روينا رسالته عن حافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدّين أحمد بن علىّ ابن حجر انا أبو الحسن بن أبى المجد شفاها انا أبو محمد القاسم بن مظفّر بن عساكر إجازة إن لم يكن سماعا انا محمد بن على بن محمود العسقلانىّ سماعا انا أمّ المؤيّد زينب بنت عبد الرحمن الشّعريّة سماعا انا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الكرمانىّ انا المؤلّف رحمه اللّه.

و فيها توفّى السلطان ألب أرسلان عضد الدولة أبو شجاع محمد الملقّب بالملك العادل ابن جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقىّ التركىّ، ثانى ملوك بنى سلجوق، كان اسمه بالعربىّ محمدا. و بالتركىّ ألب أرسلان. و أصل هؤلاء السّلجوقية من الأتراك فيما وراء النهر، فى موضع بينه و بين بخارى مسافة عشرين فرسخا، و كانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان حتّى صار من أمرهم ما صار. و هو ابن أخى السلطان طغرلبك محمد، و بعده تولّى السلطنة. و ألب أرسلان هذا هو أوّل من أسلم من إخوته، و أوّل من لقّب بالسلطان من بنى سلجوق، و ذكر على منابر بغداد. و كانت سلطنته بعد عمّه طغرلبك فى سنة سبع و خمسين و أربعمائة.

و نازعه أخوه قاورد بك فلم يتمّ [له] أمر. و كان ملكا مطاعا شجاعا. مات و هو أجلّ ملوك بنى سلجوق و أعد لهم فى الرعيّة. و هو الذى أنشأ وزيره نظام الملك. و تولّى السلطنة من بعده ولده ملكشاه. و مات ألب أرسلان و عمره أربعون سنة قتلا؛ و كان سبب موته أنه سار فى سنة خمس و ستّين و أربعمائة فى مائتى ألف فارس إلى نحو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۳

بلاد الروم، ثم عاد إلى ديار بكر، ثمّ إلى جهة حلب و قصد شمس الملك تكين. فلمّا دخل إليه أتاه أعوانه بوالى قلعة من قلاع شمس الملك، و اسم الوالى يوسف الخوارزمى، و قرّبوه إلى سرير السلطان ألب أرسلان، فأمر ألب أرسلان أن يضرب له أربعة أوتاد و تشدّ أطرافه الأربعة إليها. فقال يوسف المذكور للسلطان: يا مخنّث، مثلى يقتل هذه القتلة! فغضب السلطان و أخذ القوس و النّشّاب و قال: خلّوه، فرماه فأخطأه، و لم يكن يخطئ له سهم قبل ذلك، فأسرع يوسف المذكور و هجم على السلطان على السرير، فنهض السلطان و نزل فعثر و خرّ على وجهه؛ فوصل يوسف إليه و برك عليه و ضربه بسكّين فى خاصرته؛ و قتل يوسف فى الحال، و حمل السلطان فمات بعد أيّام يسيرة- و قيل فى يومه- و كان ذلك فى جمادى الآخرة من السنة. و ألب أرسلان بفتح الهمزة و سكون اللام و بعدها باء موحدة و بقية الأسم معروف.

و فيها توفّى قاوردبك بن داود بن ميكائيل السّلجوقىّ أخو السلطان ألب أرسلان المقدّم ذكره. و لمّا مات أخوه ألب أرسلان نازع ابن أخيه ملكشاه و قاتله، فظفر به ملكشاه بعد حروب و أسره و أمر بقتله؛ فخنقه رجل أرمنىّ بوترقوس، و تولّى سعد الدولة كوهرائين على قتله، و كان ذلك فى شعبان بهمذان. و أمر قاورد بك المذكور من العجائب؛ فإنّه كان يتمنّى موت ألب أرسلان و يتصوّر أنّه يملك الدنيا بعده، فكان هلاكه مقرونا بهلاكه. قلت: و كذلك كان أمر قتلمش مع أخيه طغرلبك عمّ ألب أرسلان و قاورد بك؛ فإنّه كان ينظر فى النجوم و يتحقّق أنه يملك بعده، و كان هلاكه أيضا مقرونا بهلاكه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۴

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن المسلمة الحافظ أبو جعفر. كان إماما حافظا محدّثا عالما. مات ببغداد فى جمادى الأولى من السنة.

و فيها توفّى علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الرئيس أبو منصور الكاتب المعروف بصرّدرّ الشاعر المشهور. كان أحد نجباء الشّعراء فى عصره، جمع بين جودة السّبك و حسن المعنى. و من شعره:

[البسيط]

أكلّف القلب أن يهوى و ألزمه صبرا و ذلك جمع بين أضداد

و أكتم الركب أو طارى و أسأله حاجات نفسى لقد أتعبت روّادى

و له أيضا:

[الکامل]

لم أبک أن رحل الشباب و إنّما أبکی لأن یتقارب المیعاد

شعر الفتی أوراقه فإذا ذوی جفّت علی آثاره الأعواد

و له أیضا فی جاریة سوداء:

[السریع]

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبی صفة فیها

ما انکسف البدر علی تمّه و نوره إلا لیحکیها

لأجلها الأزمان أوقاتها مؤرّخات بلیالیها

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ثلاث أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۶]

السنة التاسعة و الثلاثون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة ستّ و ستّین و أربعمائة.

فیها خرج عساکر غزنة و تعرّضوا لبلاد السلطان ملکشاه السّلجوقی؛ فخرج إلیهم إلیاس بن ألب أرسلان أخو ملکشاه، فقاتلهم و استأمن إلیه سبعمائة منهم، و انهزم من بقی إلی غزنة، و أوغل خلفهم إلیاس. و کان سلطان غزنة یوم ذاک إبراهیم بن مسعود بن محمود بن سبکتکین. ثم عاد إلیاس من الوقعة و قد کفی ملکشاه أمر الغزنویّة. و لمّا وصل إلیاس إلی بلخ مات بعدها بثلاثة أیّام، و سرّ أخوه ملکشاه بموته، فإنّه کان منحرفا علی ملکشاه. فقال له وزیره نظام الملک: لا تظهر الشماتة و اقعد فی العزاء؛ ففعل و أظهر الجزن علیه.

و فیها بنی حسّان بن مسمار الکلبیّ قلعة صرخد، و کتب علی بابها: أمر بعمارة هذا الحصن المبارک الأمیر الأجلّ مقدّم العرب عزّ الدّین فخر الدولة عدّة أمیر المؤمنین (یعنی المستنصر صاحب مصر) و ذکر علیها اسمه و نسبه.

و فیها قال ابن الصابئ: ورد إلی مکّة إنسان عجمیّ یعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملکشاه، و دخل و هو علی بغلة بمرکب ذهب، و علی رأسه عمامة سوداء، و بین یدیه الطّبول و البوقات، و معه للبیت کسوة دیباج أصفر، و علیها اسم محمود بن سبکتکین و هی من استعماله؛ و کانت مودعة بنیسابور من عهد محمود ابن سبکتکین عند إنسان یعرف بأبی القاسم الدّهقان، فأخذها الوزیر نظام الملک منه و أنفذها مع المذکور.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۶

و فیها توفّی أحمد بن محمد بن عقیل أبو العباس الشّهرزوریّ. کان محدّثا و سمع الکثیر، و کان فاضلا فقیها شاعرا. مات ببیت المقدس فی ذی القعدة. و من شعره من قصیدة طویلة قوله:

[البسیط]

سألت طیفک عن تلفیق إفکهم فقال معتذرا لا کان ما قالوا

سعی الوشاة بقطع الودّ بینکما و للمودّات بین الناس آجال

و فیها توفّی عبد اللّه بن محمد بن سعید بن سنان أبو محمد الخفاجیّ الحلبیّ الشاعر المشهور. کان فصیحا فاضلا. أخذ الأدب عن أبی العلاء المعرّی و غیره، و سمع الحدیث و برع فیه. و مات بقلعة اعزاز من أعمال حلب. و من شعره قوله:

[الرمل]

أ ترى طيفكم لمّا سرى أخذ النّوم و أعطى السّهرا

يا عيونا بالغضا راقدة حرّم اللّه عليكن الكرى

و منها:

سل فروع البان عن قلبى فقد و هم البارق فيما ذكرا

قال فى الرّبع و ما أحسبه فارق الأظعان حتّى انفطرا

و فيها توفّى عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علىّ بن سليمان أبو محمد الكتّانىّ الصوفىّ الحافظ الدّمشقىّ أحد الرّحّالين فى طلب العلم. كان من المكثرين فى الحديث كتابة و سماعا مع الصدق و الأمانة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۷

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن علىّ الحافظ أبو بكر العطار الأصبهانىّ. كان عظيم الشأن ببلده، عارفا بالرجال و المتون، و كان إماما ثقة.

و فيها توفّى محمد بن عبيد اللّه بن أحمد [بن محمد] بن أبى الرّعد الفقيه الحنفىّ قاضى عكبرا. كان إماما فقيها صادقا ثقة. مات بعكبرا يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر.

و فيها توفّيت الماورديّة البصرية. كانت زاهدة عابدة صالحة، تجتمع إليها النساء فتعظهنّ و تؤدّبهنّ، قاربت الثمانين سنة، أقامت منها خمسين سنة لا تفطر النهار و لا تنام الليل، و لا تأكل خبزا و لا رطبا و لا تمرا، و إنّما يطحن لها الباقلاء فتتقوّت به. و ماتت بالبصرة فلم يبق بالبلد إلّا من شهد جنازتها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

و لمّا كان ليلة النّوروز نقص أصابع، ثم زاد حتى أوفى. و نودى عليه فى سابع عشرين توت: إصبع من سبع عشرة ذراعا. و انتهت زيادته فى هذه السنة إلى ستّ عشرة ذراعا و ثلاث أصابع (أعنى أنه زاد بعد الوفاء إصبعين لاغير).

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۷]

السنة الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة سبع و ستين و أربعمائة.

فيها أعيدت الخطبة بمكّة للمستنصر صاحب الترجمة.

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۵؛ ص۹۷

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۸

ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدى بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر.

المنصور عبد اللّه بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن عباس، أمير المؤمنين أبو جعفر الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. و أمّه أمّ ولد روميّة تسمّى قطر النّدى. ماتت فى خلافته، حسب ما ذكرناه فى هذا الكتاب فى محلّه. و مولده فى سنة إحدى و تسعين و ثلثمائة.

و بويع بالخلافة بعد موت أبيه و عمره إحدى و ثلاثون سنة فى ذى الحجة سنة اثنتين و عشرين و أربعمائة. و كان جميلا مليح الوجه

أبيض اللّون مشربا بحمرة أبيض الرأس و اللّحية، متديّنا و رعا زاهدا عالما، فى وجهه أثر صفار من قيام اللّيل، و كان يسرد الصوم، و كان قليل الجماع، و لهذا قلّ نسله. و كان سبب تركه الجماع أنّه جامع ليلة و بين يديه شمعة فصار صورته على الحائط صورة شنيعة، فقام عنها و قال:

لاعدت إلى مثلها. و كانت وفاته فى يوم الخميس ثالث عشر شعبان من هذه السنة، و له خمس و سبعون سنة و ثمانية أشهر و أربعة و عشرون يوما، و قيل غير ذلک.

و أقام فى الخلافة أربعا و أربعين سنة. قلت: و من الغرائب أن القائم هذا كان معاصرا للمستنصر العبيدى صاحب الترجمة و هو خليفة مصر، و كلاهما مكث فى الخلافة ما لم يمكثه غيره من آبائه و أجداده من طول المدّة؛ فالقائم هذا كانت مدّته أربعا و أربعين سنة، و المستنصر ستّين سنة؛ فما وقع للقائم لم يقع لأحد من العباسيّين، و ما وقع للمستنصر لم يقع لأحد من الفاطميّين. و بويع بالخلافة بعد القائم حفيده عبد اللّه بن محمد الذّخيرة بن القائم المذكور. و مولده بعد وفاة أبيه الذخيرة بستّة أشهر، و تولّى تربيته جدّه القائم، و لقّب بالمقتدى بالله.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۹۹

و فيها توفّى عبد الرحمن بن محمد بن المظفّر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداووديّ الحافظ. ولد سنة أربع و سبعين و ثلثمائة، و سمع الحديث و قرأ الفقه و درس و أفتى، و وعظ و صنّف، و كان له حظّ من النظم و النثر. و من شعره:

[الخفيف]

كان فى الاجتماع للناس نور فمضى النّور و ادلهمّ الظلام

فسد الناس و الزمان جميعا فعلى الناس و الزمان السلام

و فيها توفّى أبو الحسن علىّ بن الحسن بن علىّ بن أبى الطيّب الباخرزىّ. كان إماما فاضلا شاعرا، صنّف «دمية القصر فى شعراء أهل العصر». و العماد الكاتب حذا حذوه. و كان الباخرزىّ فريد عصره، و ديوان شعره مشهور بأيدى الناس.

و من شعره قوله:

[الطويل]

زكاة رءوس الناس فى عيد فطرهم بقول رسول اللّه صاع من البرّ

و رأسک أغلى قيمة فتصدّقى بفيک علينا فهو صاع من الدّرّ

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۰

و فيها توفّى علىّ بن الحسين بن أحمد بن الحسين أبو الحسن الثّعلبى، و يعرف بابن صصرى. ذكره الحافظ ابن عساكر و أثنى عليه. حدّث عن تمّام بن محمد و غيره، و كان ثقة. و أصل بنى صصرى من قرية بالموصل. و مات بدمشق.

و فيها توفّيت كوهر خاتون عمّة السلطان ملكشاه السّلجوقىّ أخت السلطان ألب أرسلان. كانت ديّنة عفيفة، صادرها نظام الملک لمّا مات أخوها ألب أرسلان و أخذ منها أموالا عظيمة. فخرجت إلى الرىّ لتمضى إلى المباركيّة تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملک، فأشار نظام الملک على ملكشاه بقتلها فقتلها. فلما وصل خبر قتلها إلى بغداد ذمّ الناس نظام الملک و قالوا: ما كفاه بناء هذه المدرسة النظاميّة و غصبه لأراضى الناس و أخذ أنقاضهم حتى دخل فى الدماء من قتله هذه المرأة! و أيضا أنّه أشار على ملكشاه بقتل عمّه قاورد بک المقدّم ذكره، ثم أشار على ملكشاه بكحل أولاد عمّه. و هجا نظام الملک جماعة من أهل العراق؛ فلمّا بلغ نظام الملک قال: ما أقام هذه الشناعة علىّ إلّا فخر الدولة بن جهير.

و فيها توفّى محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب و يعرف بابن الروقليّة. كان عمّه عطيّة قد أخذ حلب منه، فتجهّز محمود هذا و أتاه و حصره حتّى استعادها منه.

و مات بها فی لیلة الخمیس ثالث عشر شعبان، و هی اللیلة التی مات فیها الخلیفة القائم بأمر اللّه العباسیّ. و سبب موته أنه عشق جاریة لزوجته، و کانت تمنعه منها، فماتت الجاریة فحزن علیها حتّی مات بعد یومین. و لمّا مات وقع بین العسکر الخلاف.

و کان محمود هذا قد أوصی إلی ولده أبی المعالی شبل و أسکنه القلعة و الخزائن عنده؛

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۱

و أسکن ولده نصرا البلد، و کان یکره نصرا و یحبّ شبلا، و العساکر تحب نصرا؛ فلا زالوا حتّی ملک نصر و خلع شبل.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ثلاث أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۸]

السنة الحادیة و الأربعون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة ثمان و ستین و أربعمائة.

فیها خرج مؤیّد الملک بن نظام الملک الوزیر من بغداد یرید والده، و کان أبوه قد مرض، و خرج معه أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن محمد البیضاویّ الشاهد رسولا من الدیوان إلی السلطان إبراهیم بن مسعود بن محمود بن سبکتکین صاحب غزنة، یخبره بوفاة الخلیفة القائم بأمر اللّه و إقامة ولده المقتدی بعده فی الخلافة.

و فیها لبس بدر الجمالیّ أمیر الجیوش من المستنصر خلعة الوزارة بمصر، و کانت منزلته قبل ذلک أجلّ من الوزارة، و لکن لبسها حتّی لا یترتّب أحد فی الوزارة فینازعه فی الأمر.

و فیها أیضا قبض بدر الجمالیّ علی قاضی الإسکندریة ابن المحیرق و علی جماعة من فقهائها و أعیانها، و أخذ منهم أموالا عظیمة.

و فیها استولی أتسز التّرکمانیّ علی دمشق و خطب بها للمقتدی العباسیّ، و کتب إلی المقتدی یذکر له تسلیمها إلیه و غلوّ الأسعار بها و موت أهلها، و أنّ الکارة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۲

الطعام بلغت فی دمشق نیّفا و ثمانین دینارا مغربیّة، و بقیت علی ذلک أربع سنین.

و الکارتان و نصف غرارة بالشامیّ. فتکون الغرارة بمائتی دینار. و هذا شیء لم یعهد مثله فی سالف الأعصار. قلت: و لا بعده. و قد تقدّم ذکر هذا الغلاء بمصر و الشام فی ترجمة المستنصر هذا.

و فیها توفّی أحمد بن علیّ بن محمد القاضی أبو الحسین جلال الدولة الشریف العلویّ، کان ولی قضاء دمشق للمستنصر، و هو آخر قضاة المصریّین الرافضة، و هو الذی أجار الخطیب البغدادیّ لمّا أمر أمیر دمشق بقتله. قال یوما و عنده [أبو] الفتیان بن حیّوس: وددت أنّی فی الشجاعة مثل جدّی علیّ، و فی السخاء مثل حاتم. فقال له [أبو] الفتیان بن حیّوس: و فی الصدق مثل أبی ذرّ- [الغفاریّ].

فخجل الشریف، فإنّه کان یتزیّد فی کلامه.

و فیها توفّی إسماعیل بن علیّ أبو محمد العین زربیّ الشاعر الفصیح. کان یسکن دمّشق و بها مات. و من شعره:

[الطویل]

و حقّکم لا زرتکم فی دجنّة من اللیل تخفینی کأنّی سارق

و لا زرت إلّا و السیوف شواهر علیّ و أطراف الرماح لواحق

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۳

و له أیضا:

[الطویل]

ألا یا حمام الأیک عیشک آهل و غصنک میّال و إلفک حاضر

أتبکی و ما امتدّت الیک ید النّوی ببین و لم یذعر جناحک ذاعر

قلت: و هذا یشبه قول القائل فی أحد معانیه:

[الخفیف]

نسب الناس للحمامة حزنا و أراها فی الحزن لیست هنالک

خضبت کفّها و طوّقت الجی د و غنّت و ما الحزین کذلک

و فیها توفّی مسعود [بن عبد العزیز] بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البیاضیّ الشاعر البغدادیّ. کان أدیبا فاضلا شاعرا. مات ببغداد فی ذی القعدة. و من شعره:

[الخفیف]

لیس لی صاحب معین سوی اللّی ل إذا طال بالصدود علیّا

أنا أشکو همّ الحبیب إلیه و هو یشکو بعد الصّباح إلیّا

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و إصبعان. مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا. و أوفی یوم نصف توت.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۶۹]

السنة الثانیة و الأربعون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة تسع و ستّین و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۴

فیها فی صفر غلب علی المدینة النبویّة محیط العلویّ و أعاد خطبة المستنصر هذا بها، و طرد عنها أمیرها الحسین بن مهنّا فقصد الحسین ملکشاه السّلجوقیّ.

و فیها توفّی- و الصحیح فی التی قبلها- علیّ بن أحمد بن محمد بن علیّ أبو الحسن الواحدیّ النیسابوریّ. کان من أولاد التجار من ساوة، و کان أوحد عصره فی التفسیر. کان إماما عالما بارعا محدّثا، صنف التفاسیر الثلاثة: «البسیط» و «الوجیز» و «الوسیط». و الغزالیّ أخذ هذه الأسماء برمّتها و سمّی بها تصانیفه.

و صنّف الواحدیّ أیضا «أسباب النزول» فی مجلّد و «شرح الأسماء الحسنی» و کتبا کثیرة غیر ذلک. و کان له أخ اسمه عبد الرحمن قد تفقّه و حدّث أیضا.

و فیها توفّی إسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الدّیلمیّ الشاعر. کان أوّلا یهجو الصحابة- رضی اللّه عنهم- و الناس، ثم تاب و حسنت توبته.

و قال فی ذلک قصیدة طنّانة أولها:

[الکامل]

لاح الهدی فجلا عن الأبصار کاللّیل یجلوه ضیاء نهار

و رات سبیل الرشد عینی بعد ما غطّی علیها الجهل بالأستار

و منها:

و عدلت عما كنت معتقدا له فى الصحب صحب نبيّك المختار

السيد الصدّيق و العدل الرّضى عمر و عثمان شهيد الدار

و هى طويلة جدّا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۵

و فيها توفّى طاهر بن أحمد بن باب شاذ أبو الحسن النحوىّ المصرىّ صاحب «المقدّمة» المشهورة. كان عالما فاضلا و له تصانيف فى النحو. سمع الحديث و رواه، و قرئ عليه الأدب بجامع مصر سنين. تردّى من سطح جامع مصر فى شهر رجب فمات من ساعته.

و فيها توفّى عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة- و اسم مندة إبراهيم بن الوليد- الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبى عبد اللّه العبدىّ الأصبهانىّ. كان كبير الشأن، جليل القدر، حسن الخطّ واسع الرّواية. ولد سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و هو أكبر إخوته- رحمه اللّه- و مات فى شوّال.

و قال الذهبىّ: مات فى سبعين و أربعمائة.

و فيها كان الطاعون العظيم بالشام، و مات خلائق لا تحصر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا. و أوفى بأواخر توت.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۰]

السنة الثالثة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة سبعين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۶

فيها ورد كتاب أرتق بك على الخليفة المقتدى العباسىّ بأخذه بلاد القرامطة.

و فيها توفّيت بنت الوزير نظام الملک و زوجة الوزير عميد الدولة، و جلس الوزير و ولده للعزاء. و نظام الملک وزير السلطان ملكشاه، و عميد الدولة وزير الخليفة المقتدى بالله؛ و كان عميد الدولة فى المحلّ أعظم، و نظام الملک فى المال أكثر.

و فيها توفّى أحمد بن عبد الملک بن علىّ الحافظ أبو صالح النيسابورىّ المؤذّن.

ولد سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة، و سمع الحديث الكثير، و صنّف الأبواب و الشيوخ؛ و كان يؤذّن و يعظ، و كان شيخ الصوفيّة فى وقته علما و عملا و صدقا و ثقة و أمانة.

و فيها توفّى عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد أبو جعفر ابن أبى موسى، الشريف الهاشمى، إمام الحنابلة و عالمهم فى زمانه. ولد سنة إحدى عشرة و أربعمائة. و كان عالما ورعا فاضلا، تفقّه على القاضى أبى يعلى.

و كان يشهد ثمّ ترک الشهادة. و كان صدوقا ثقة زاهدا عابدا مصنّفا. مات بنيسابور فى شهر رمضان.

و فيها توفّى أحمد بن محمد [بن أحمد] بن عبد اللّه بن النفور الحافظ أبو الحسن البزّاز. مات ببغداد فى شهر رجب و له تسعون سنة. و كان إماما محدّثا فاضلا بارعا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۷

و فيها توفّى الحسين بن محمد [بن أحمد] بن طلّاب أبو نصر خطيب دمشق فى صفر بها و له إحدى و تسعون سنة. و كان إماما بارعا محدّثا فصيحا خطيبا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. و فتح الخليج فى سابع عشر مسرى، و الماء على اثنتى عشرة

إصبعا من ست عشرة ذراعا. و أوفى فى رابع أيام النسىء، و بلغ سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

و نقص فى ثالث عشر بابة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۱]

السنة الرابعة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة إحدى و سبعين و أربعمائة.

فيما توفّى إبراهيم بن علىّ بن الحسين أبو إسحاق شيخ الصوفيّة بالشام. سمع الحديث، و كان صاحب رياضات و مجاهدات. أقام بصور أربعين سنة، و مات بدمشق.

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن عبد اللّه أبو علىّ بن البنّاء الحنبلىّ. ولد سنة سبع و تسعين و ثلثمائة. و برع فى الفقه و غيره، و صنّف فى كلّ فنّ. و كان يقول: صنّفت خمسين و مائة مصنّف. و كانت وفاته فى شهر رجب هذه السنة.

و فيها توفّى الحسين بن أحمد بن عقيل بن محمد أبو علىّ بن ريش الدمشقىّ. مات بدمشق فى جمادى الآخرة. و كان ثقة صدوقا فاضلا أديبا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۸

و فيها توفّى سعد بن علىّ بن محمد بن علىّ بن الحسين الحافظ أبو القاسم الزّنجانىّ الصّوفىّ. ولد سنة ثمانين و ثلثمائة، و طاف البلاد و سمع الكثير. و انقطع فى آخر عمره بمكّة و صار شيخ الحرم.

و فيها توفّى عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجانىّ النحوىّ اللغوىّ شيخ العربيّة فى زمانه. كان إماما بارعا مفتّنا. انتهت إليه رياسة النّحاة فى زمانه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع و عشرون إصبعا. و فتح الخليج فى سابع عشرين مسرى و الماء على ثمانى عشرة إصبعا من ست عشرة ذراعا. و كان الوفاء فى ثالث توت بعد ما توقّف و لم يزد إلى عاشر مسرى. و كان مبلغ الزيادة فى هذه السنة سبع عشرة ذراعا و عشرين إصبعا، و نقص فى خامس بابة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۲]

السنة الخامسة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة اثنتين و سبعين و أربعمائة.

فيها توفّى منصور بن بهرام الأمير نظام الملك صاحب ميّافارقين من ديار بكر، و ملك بعده ابنه ناصر الدولة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۰۹

و فيها توفّى هيّاج بن عبيد بن الحسين أبو محمد الحطّينىّ الزاهد- و حطّين: قرية غربىّ طبريّة. و يقال: إن قبر شعيب عليه السلام بها، و بنته صفوراء زوجة موسى عليه السلام أيضا بها. و حطّين بكسر الحاء المهملة و فتحها- و كان هيّاج المذكور إماما زاهدا. سمع الحديث و برع، و جاور بمكّة و صار فقيه الحرم و مفتى مكّة.

و كان يصوم يوما و يفطر يوما، و يأكل فى كلّ ثلاثة أيام مرّة، و يعتمر فى كلّ يوم ثلاث مرّات على قدميه. و أقام بالحرم أربعين سنة لم يحدث فيه، و كان يخرج إلى الحلّ و يقضى حاجته. و كان يزور النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى كلّ سنة ماشيا، و كان يزور عبد اللّه بن عبّاس فى كلّ سنة مرّة بالطائف؛ و يأكل أكلة بالطائف و أخرى بمكة، و ما كان يدّخر شيئا، و لم يكن له غير ثوب واحد. و فيه قال بعضهم:

[الوفر]

أقول لمكّة ابتهجي و تيهى على الدنيا بهيّاج الفقيه

إمام طلقّ الدنيا ثلاثا فلا طمع لها من بعد فيه

و كان سبب موته أنّ بعض الرافضة شكا إلى صاحب مكّة محمد بن أبى هاشم، قال: إنّ أهل السّنة يستطيلون علينا بهيّاج، و كان صاحب مكّة المذكور رافضيا خبيثا، فأخذه و ضربه ضربا عظيما على كبر سنّة، فبقى أيّاما و مات، و قد نيّف على الثمانين سنة، و دفن إلى جانب الفضيل بن عياض، رحمة اللّه عليهما. و لمّا مات قال بعض العلماء: لو ظفرت النصارى بهيّاج لما فعلوا فيه ما فعله به صاحب مكة هذا الخبيث!. قلت: و هم الآن على هذا المذهب سوى أنّ اللّه تعالى قمعهم بالدولة التركيّة و نصر أهل السنّة عليهم، و جعلهم رعايا ليس لهم بمكّة الآن غير مجرّد الاسم.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۰

و فيها توفّى الحسن بن عبد الرحمن أبو علىّ الفقيه المكىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، و كان من الفضلاء.

و فيها توفّى أبو عبد اللّه يحيى بن أبى مسعود عبد العزيز بن محمد الفارسىّ بهراة فى شوّال، و كان إماما فقيها نحويّا محدّثا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يتحرّر، فإنّه زاد فى بؤونة خمس أذرع، ثم نقص ثلاث أذرع؛ و لم يزد إلى ثانى عشرين أبيب. و فتح الخليج فى عشرين مسرى و الماء على تسع عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا. و كثرت زيادته فى توت، و انتهى إلى خمس عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا، ثم نقص فى ثانى بابة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۳]

السنة السادسة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة.

فيها وصل السلطان ملكشاه السّلجوقىّ إلى الرّىّ لقتال ابن عمّه سلطان شاه بن قاورد بك؛ فخرج إليه سلطان شاه مستأمنا و قبّل الأرض بين يديه. فقام السلطان ملكشاه له و أجلسه بجانبه و تحالفا و زوّجه ابنته، و عاد السلطان ملكشاه إلى أصبهان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۱

و فيها ملك جلال الملك أبو الحسن بن عمّار قاضى طرابلس و صاحبها حصنّ جبلة، و كان ابن عمّار هذا قاضى طرابلس و صاحبها، غلب على تلك البلاد سنين، و عجز بدر الجمالىّ أمير الجيوش عن مقاومته.

و فيها عزل المقتدى بالله العباسىّ وزيره عميد الدولة و استوزر أبا شجاع محمد ابن الحسين الرّوذراورىّ، و كان صالحا عفيفا دينا. فهجاه الموصلىّ فقال:

[الكامل]

ما استبدلوا ابن جهير فى ديوانهم بأبى شجاع لرفعة و جلال

لكن رأوه أشحّ أهل زمانه فاستوزروه لحفظ بيت المال

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن عبد اللّه بن أحمد بن يوسف بن الشّبلى أبو علىّ الشاعر البغدادىّ، كان شاعرا مجيدا؛ و مات فى المحرّم. و من شعره:

[الكامل]

لا تظهرنّ لعاذل أو عاذر حاليك فى السرّاء و الضرّاء

فلرحمة المتوجّعين مرارة فى القلب مثل شماته الأعداء

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج‌۵، ص: ۱۱۲

و فیها توفّی محمد بن سلطان بن محمد بن حیّوس الأمیر الشاعر. کان أحد شعراء الشامیّین و فحولهم المجیدین، و کان له دیوان شعر. و مات بدمشق فی شعبان و قد جاوز الثمانین سنة. و أنشد له ابن عساکر قصیدة أولها:

[الطویل]

أسکّان نعمان الأراک تیقّنوا بأنکم فی ربع قلبی سکّان

و فیها توفّی علیّ بن محمد بن علیّ أبو کامل الصّلیحیّ الخارج بالیمن. قال ابن خلّکان: کان أبوه قاضیا بالیمن سنّیّ المذهب، ثمّ ذکر عنه فضیلة و أشیاء أخر تدلّ علی أنّه کان رافضیا خبیثا، إلی أن قال: ثمّ إنه صار یحجّ بالناس علی طریق السّراة و الطائف خمس عشرة سنة. انتهی کلام ابن خلّکان. قلت: و تغلّب علی الیمن حتّی ملکه، و جعل کرسیّ ملکه بصنعاء، و بنی عدّة قصور، و طالت أیامه، و دخل سنة خمس و خمسین و أربعمائة إلی مکّة و استعمل الجمیل مع أهلها، و رخصت الأسعار، و أحبّه الناس لتواضع کان فیه. و دخل معه مکّة زوجته الحرّة التی کان خطب لها علی منابر الیمن؛ و أقام بمکّة شهرا ثمّ رحل. و کان یرکب فرسا بألف دینار، و علی رأسه العصائب. و إذا رکبت زوجته الحرّة رکبت فی مائتی جاریة بالحلیّ و الجواهر، و بین یدیها الجنائب بالسروج الذهب.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و إحدی و عشرون إصبعا. و فتح الخلیج فی خامس توت و الماء علی خمس عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا. و کان الوفاء فی خامس عشرین توت. و کان مبلغ الزیادة فی هذه السنة ست عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا. و نقص فی ثالث بابة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج‌۵، ص: ۱۱۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۴]

السنة السابعة و الأربعون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة أربع و سبعین و أربعمائة.

فیها توفّی داود ولد السلطان ملکشاه السّلجوقیّ فی یوم الخمیس حادی عشرین ذی الحجة بأصبهان، و حزن علیه والده ملکشاه حزنا جاوز الحدّ، و فعل فی مصابه ما لم یسمع بمثله، و رام قتل نفسه دفعات و خواصّه تمنعه من ذلک، و لم یمکّن من أخذه و غسله لقلّة صبره علی فراقه، حتّی تغیّر و کادت رائحته تظهر، فحینئذ مکّن منه.

و امتنع عن الطعام و الشراب. و اجتمع الأتراک و الترکمان فی دار المملکة و جزّوا شعورهم، و اقتدی بهم نساء الحواشی و الحشم و الأتباع و الخدم، و جزّت نواصی الخیول و قلبت السروج، و أقیمت الخیول مسوّدات، و کذا النساء المذکورات؛ و أقام أهل البلد المأتم فی منازلهم و أسواقهم. و بقیت الحال علی هذا سبعة أیام، حتی کلّمه أرباب الدولة فی منع ذلک؛ و أرسل إلیه الخلیفة یحثّه علی الجلوس بالدیوان.

و فیها سار تنش صاحب دمشق فافتتح أنطرطوس و غیرها.

و فیها أخذ شرف الدولة صاحب الموصل حرّان من بنی وثّاب النّمیریین، و صالحه صاحب الرّهاء و خطب له بها.

و فیها تملّک الأمیر سدید الملک أبو الحسن علیّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ الکنانیّ حصن شیزر، و انتزعه من الفرنج، بعد أن نازلها و تسلّمها بالأمان و بمال

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج‌۵، ص: ۱۱۴

للأسقف. فلم تزل شیزر بیده و بید أولاده إلی أن هدمتها الزلزلة و قتلت أکثر من کان بها؛ فعند ذلک أخذها السلطان الملک العادل نور الدین محمود الشهید و أصلحها و جدّدها. و أمّا سدید الملک فلم یحیی بعد أن تملّکها إلّا نحو السنة و مات. و کان شجاعا فارسا

شاعرا. و ملكها بعده ابنه أبو المرهف نصر.

و فيها توفّى سليمان بن خلف بن سعد بن أيّوب بن وارث الإمام أبو الوليد التّجيبىّ القرطبىّ الباجىّ صاحب التصانيف. أصله بطليوسىّ، و انتقل آباؤه إلى باجة، و هى مدينة قريبة من إشبيلية. و ولد فى ذى القعدة سنة ثلاث و أربعمائة.

و رحل البلاد و حجّ و سافر إلى الشام و بغداد، و سمع بهما الكثير. قال القاضى عياض: و ولى قضاء مواضع من الأندلس، و ذكر مصنّفاته و أثنى على علمه و فضله.

و فيها توفّى نور الدولة دبيس بن علىّ بن مزيد أبو الأغرّ صاحب الحلّة. عاش ثمانين سنة، كان فيها أميرا نيّفا و ستّين سنة؛ و كان الطبول تضرب على بابه فى أوقات الصلوات، و كان جوادا ممدّحا، كان محطّ رحال الرافضة- أخزاهم اللّه- و ملك بعده ابنه أبو كامل بهاء الدولة منصور.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى عشرة إصبعا. و فتح الخليج فى خامس عشرين مسرى، و الماء على ثمانى عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا. و كان الوفاء أوّل أيّام النسىء. و بلغ ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا. و نقص فى ثالث بابة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۵]

السنة الثامنة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمس و سبعين و أربعمائة.

فيها شفع أرتق بك إلى تاج الدولة تتش صاحب الشام فى مسمار الكلبىّ فأفرج عنه، و سار الأمير أرتق بك إلى القدس.

و فيها فتح ابن قتلمش حصن أنطرطوس من الروم، و بعث إلى ابن عمّار قاضى طرابلس و صاحبها يطلب منه قاضيا و خطيبا.

و فيها سار مسلم بن قريش صاحب حلب إلى دمشق و حصر بها صاحبها تتش، ثم عاد عنها و لم يظفر بطائل.

و فيها توفّى ابن ماكولا- علىّ بن هبة اللّه بن علىّ بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دلف ابن الأمير أبى دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلىّ.

و عجل: بطن من بكر بن وائل من أمة ربيعة أخى مضر ابنى نزار بن معدّ بن عدنان.

قال شيرويه فى طبقاته: و كان يعرف بالوزير سعد الملك بن ماكولا، و ولد بعكبرا فى سنة إحدى و عشرين و أربعمائة فى شعبان، و كنيته أبو نصر. قال صاحب مرآة الزمان: «الأمير الحافظ أبو نصر العجلىّ». قال أبو عبد اللّه الحميدىّ: ما راجعت الخطيب فى شىء إلّا و أحالنى على كتاب و قال: حتّى أبصره؛ و ما راجعت أبا نصر ابن ماكولا فى شىء إلّا و أجابنى حفظا، كأنّه يقرأ من كتاب. قلت: و هو الذى صنّف عن أوهام الخطيب كتابا سماه «مستمرّ الأوهام». و مات فى هذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۶

السنة. و قيل سنة تسع و سبعين، و قيل سنة سبع و ثمانين. و من شعره- رحمه اللّه-:

[الطويل]

و لمّا توافينا تباكت قلوبنا فمسك دمع يوم ذاك كساكبه

فيا كبدى الحرّى البسى ثوب حسرة فراق الذى تهوينه قد كساك به

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن عيسى الإمام أبو بكر السّمسار. مات فى شوّال.

كان إماما فاضلا بارعا، سمع الحديث و برع فى فنون.

و فيها وقع الطاعون ببغداد ثم بمصر و ما والاهما، فمات فيه خلق كثير.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم ثمانی عشرة ذراعا. ثم زاد حتّی كان مبلغ الزيادة فی هذه السنة خمس عشرة ذراعا و عشر أصابع. ثم نقص فی خامس بابة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۶]

السنة التاسعة و الأربعون من ولاية المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة ستّ و سبعين و أربعمائة.

فيها عزل المقتدی بالله العباسیّ عميد الدولة عن الوزارة.

و فيها سلّم ابن صقيل قلعة بعلبكّ إلی تاج الدولة تتش صاحب الشام، و كان مقيما فيها من قبل المستنصر العبيدیّ صاحب الترجمة، و كان ذلک فی صفر.

و فيها عزم تتش صاحب دمشق علی مصاهرة أمير الجيوش بدر الجمالیّ وزير مصر و صاحب عقدها و حلها [علی ابنته]، فأشار ابن عمّار قاضی طرابلس و صاحبها علی تتش بألّا يفعل، فثنی عزمه عن ذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۷

و فيها توفّی سلطان شاه بن قاورد بک بن داود بن ميكائيل السّلجوقیّ صاحب كرمان و ابن عمّ السلطان ملكشاه؛ فقدمت أمّه علی ملكشاه بهدايا و أموال، فأكرمها و أقرّ ولدها الآخر مكانه.

و فيها تغيّرت نيّة السلطان ملكشاة علی وزيره نظام الملک، ثمّ أصلح نظام الملک أمره معه.

و فيها توفّی إبراهيم بن علیّ بن يوسف أبو إسحاق الفيروزابادیّ الشيرازیّ الشافعیّ. ولد سنة ثلاث و تسعين و ثلثمائة، و تفقّه بفارس علی أبی عبد اللّه البيضاویّ، و ببغداد علی أبی الطّيب الطّبریّ. و سمع الحديث، و كان إماما فقيها عالما زاهدا.

و لما قدم خراسان فی الرسالة تلقّاه الناس و خرجوا إليه من نيسابور، فحمل إمام الحرمين أبو المعالی الجوينیّ غاشيته و مشی بين يديه كالخدم و قال: أنا أفتخر بهذا.

قال أبو المظفر فی المرآة: و ما عيب عليه شیء إلّا دخوله النّظاميّة، و ذكره الدروس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۱۸

[بها]، لأنّ حاله فی الزهد و الورع خلاف ذلک. ثم ساق له أشعارا كثيرة. منها فی غريق فی الماء:

[الطويل]

غريق كأنّ الموت رقّ لأخذه فلان له فی صورة الماء جانبه

أبی اللّه أن أنساه دهری فإنّه توفّاه فی الماء الذی أنا شاربه

و له:

[الوافر]

سألت الناس عن خلّ وفی فقالوا ما إلی هذا سبيل

تمسّک إن ظفرت بود حرّ فإنّ الحرّ فی الدنيا قليل

و كانت وفاته ببغداد من الجانب الشرقی.

و فيها توفّی محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو طاهر بن أبی الصقر الأنباریّ، كان محدّثا فاضلا ثقة صدوقا صاحب صيام و قيام. و له شعر. و أنشد لابن الرومیّ:

[الكامل]

يا دهر صافيت اللئام مواليّا أبدا و عاديت الأكارم عامدا

فغدرت كالميزان ترفع ناقصا أبدا و تخفض لا محالهٔ زائدا

أمر النيل فى هذه السنهٔ- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرهٔ إصبعا.

و فتح الخليج فى ثانى النسىء. و كان الوفاء فى ثامن توت. و كان مبلغ الزيادهٔ سبع عشرهٔ ذراعا و تسع أصابع. و نقص فى تاسع بابهٔ.

***

[ما وقع من الحوادث سنهٔ ۴۷۷]

السنهٔ الخمسون من ولايهٔ المستنصر معدّ على مصر و هى سنهٔ سبع و سبعين و أربعمائهٔ.

النجوم الزاهرهٔ فى ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۵، ص: ۱۱۹

فيها بنى أمير الجيوش بدر الجمالىّ جامع العطّارين بالإسكندريهٔ. و سببه أنّ ولد بدر الجمالىّ عصى عليه و تحصّن بالإسكندريهٔ. فسار إليه أبوه بدر الجمالىّ حتى نزل على الإسكندريهٔ و حاصرها شهرا حتّى طلب أهلها الأمان و فتحوا له الباب، فدخلها و أخذ ابنه أسيرا ثم بنى هذا الجامع.

و فيها توفّى عبد السعيد بن محمد بن عبد الواحد أبو نصر بن الصبّاغ الفقيه الشافعىّ. ولد سنهٔ أربعمائهٔ، و تفقّه و برع حتّى صار فقيه العراق، و كان يقدّم على أبى إسحاق الشيرازىّ فى معرفهٔ مذهبه. و صنّف الكتب فى الفقه، منها: «الشامل» و «الكامل» و «تذكرهٔ العالم» و «الطريق السالم». و ولى تدريس النّظاميّهٔ قبل أبى إسحاق عشرين يوما. و مات فى جمادى الأولى.

و فيها توفّى مسلم بن قريش بن بدران الأمير أبو البركات شرف الدولهٔ أمير بنى عقيل صاحب الموصل و الجزيرهٔ و حلب. و زوّجه السلطان ألب أرسلان السلجوقى أخته. و كان شجاعا جوادا ذا همّهٔ و عزم، احتاج إليه الخلفاء و الملوک و الوزراء، و خطب له على المنابر من بغداد إلى العواصم و الشام. و أقام حاكما على البلاد نيّفا و عشرين سنهٔ. و لمّا مدحه ابن حيّوس بقصيدته التى أوّلها:

[الكامل]

ما أدرک الطّلبات مثل مصمّم إن أقدمت أعداؤه لم يحجم

فأعطاه الموصل جائزهٔ له، فأقامت فى حكمه ستهٔ أشهر. و قتل مسلم هذا فى وقعهٔ كانت بينه و [بين سليمان بن] قتلمش فى هذه السنهٔ.

النجوم الزاهرهٔ فى ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۵، ص: ۱۲۰

أمر النيل فى هذه السنهٔ- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرهٔ إصبعا.

و فتح الخليج فى رابع عشرين مسرى، و الماء على اثنتى عشرهٔ إصبعا من ست عشرهٔ ذراعا. و كان الوفاء آخر أيام النسىء. و وقف مدّهٔ ثم نقص فى العشرين من توت بعد ما بلغ سبع عشرهٔ ذراعا و ثلاث عشرهٔ إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنهٔ ۴۷۸]

السنهٔ الحاديهٔ و الخمسون من ولايهٔ المستنصر معدّ على مصر و هى سنهٔ ثمان و سبعين و أربعمائهٔ.

فيها وقع طاعون عظيم بالعراق ثم عمّ الدنيا؛ فكان الرجل قاعدا فى شغله فتثور به الصفراء فتصرعه فيموت من وقته. ثم هبّت ريح سوداء ببغداد، أظلمت الدنيا، و لاحت نيران فى أطراف السماء و أصوات هائلهٔ، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس و البهائم. فكان أهل الدرب يموتون فيسدّ الدرب عليهم. قاله صاحب مرآهٔ الزمان- رحمه اللّه-.

و فيها اتّفق جماعهٔ بمصر مع ولد أمير الجيوش بدر الجمالىّ على قتل والده و ينفرد الولد بالملک، ففطن به أبوه فقتل الجماعهٔ و عفّى

أثر ولده؛ و يقال: إنّه دفنه حيّا، و قيل: غرّقه، و قيل: جوّعه حتى مات. و كان بدر الجماليّ أرمنيّ الجنس، فاتكا جبّارا، قتل خلقا كثيرا من العلماء و غيرهم، و أقام الأذان ب «حيّ على خير العمل»، و كبر على الجنائز خمسا، و كتب سبّ الصحابة على الحيطان. قلت: و بالجملة إنّه كان من مساوئ الدنيا، جزاه اللّه. و غالب من كان بمصر فى تلك الأيام كان رافضيّا خبيثا بسبب ولاة مصر بنى عبيد إلّا من ثبّته اللّه تعالى على السنّة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۱

و فيها توفّى أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو بكر سبط ابن فورك و ختن أبى القاسم القشيريّ على ابنته، و كان يعظ فى النّظاميّة، و كان قبيح السّيرة.

و فيها توفّى عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف أبو المعالى الجوينيّ الفقيه الشافعيّ المعروف بإمام الحرمين. و جوين: قرية من قرى نيسابور. ولد سنة سبع عشرة و أربعمائة، و تفقّه على والده فأقعد مكانه و له دون العشرين من العمر، فأقام الدرس، و سمع بالبلاد، و حجّ و جاور؛ ثم عاد إلى نيسابور، و درّس بها ثلاثين سنة، و إليه المنبر و المحراب، و يجلس للوعظ، و تخرّج به جماعة، و صنّف «نهاية المطلب [فى رواية المذهب]». و صنّف فى الكلام الكتب الكثيرة: «الإرشاد» و غيره. قال صاحب مرآة الزمان: و قال محمد بن علىّ تلميذ أبى المعالى الجوينيّ: دخلت عليه فى مرضه الذى مات فيه و أسنانه تتناثر من فيه و يسقط منها الدود، لا يستطاع شمّ فيه؛ فقال:

هذه عقوبة اشتغالى بالكلام فاحذروه! و كانت وفاته ليلة الأربعاء الخامس و العشرين من شهر ربيع الأوّل عن تسع و خمسين سنة.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن الوليد أبو علىّ المتكلّم المعتزليّ شيخ المعتزلة و الفلاسفة و الداعية إلى مذهبهم. و هو من أهل الكرخ، و كان يدرّس هذه العلوم، فآضطرّه أهل السّنة إلى أنّه لزم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر.

و مات فى ذى الحجة.

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الوهّاب بن حمويه، الإمام أبو عبد اللّه الدّامغانىّ القاضى الحنفيّ. ولد بالدامغان فى شهر ربيع الآخر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۲

سنة ثمان و تسعين و ثلثمائة، و تفقّه ببلده، ثم قدم بغداد و تفقّه أيضا بالصّيمرىّ و القدورىّ، و سمع منهما الحديث، و برع فى الفقه، و خصّ بالفضل الوافر و التواضع الزائد، و ارتفع و شيوخه أحياء، و انتهت إليه رياسة المذهب فى زمانه. و كان فصيح العبارة مليح الإشارة غزير العلم سهل الأخلاق معظّما عند الخلفاء و الملوك. ولى قضاء القضاة ببغداد سنة سبع و أربعين، و صار رأس علماء عصره فى كلّ مذهب.

و حسنت سيرته فى القضاء حتّى أقام فيه ثلاثين سنة. و مات ليلة السبت الرابع و العشرين من شهر رجب. و كانت جنازته عظيمة، نزع العلماء طيالستهم و مشوا فيها، و كثر أسف الناس عليه. رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى منصور بن دبيس بن علىّ بن مزيد الأمير الرافضىّ أبو كامل بهاء الدولة صاحب الحلّة. مات فيها فى شهر رجب، و كانت ولايته ستّ سنين. و قام بعده ولده سيف الدولة صدقة. قلت: و الجميع رافضة، كلّ واحد أنجس من الآخر، عاملهم اللّه بما يستحقّونه.

و فيها توفّى هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد أبو الحسن السّيبيّ البغداديّ. سمع الحديث و تفقّه، و كان أديبا شاعرا فصيحا. مات فى المحرّم. و من شعره:

[المتقارب]

رجوت الثمانين من خالقى لما جاء فيها عن المصطفى

فبلّغنيها و شكرا له و زاد ثلاثا بها أردفا

و هأنا منتظر وعده لينجزه فهو أهل الوفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۳

و فيها توفّى يحيى بن محمد بن طباطبا الشريف أبو المعمّر بقيّة شيوخ الطالبيّين.

كان هو و أخوه من نسّابيهم، و كان فاضلا شاعرا فقيها فى مذهب الشّيعة. و مات فى شهر رمضان. و هو آخر من بقى من أولاد طباطبا بالعراق و لم يعقب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة يأتى ذكره؛ لأنّ النيل لم يزد فى هذه السنة إلى أوّل مسرى إلا ثلثى ذراع فقط، ثم زاد فى ثانى عشرين مسرى أذرعا حتى صار فى يوم النوروز على ثلاث عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا. ثم نقص إصبعين ثم ثمانيا، ثم زاد فى خامس توت ستّ أصابع؛ و خرج الناس إلى الجبل و استسقوا، فزاد حتّى بلغ ثلاث عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا، ثم نقص سبع أصابع- و قيل: ثمانيا- ثم زاد فى عيد الصليب حتّى صار على أربع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا. و نقص تسع أصابع، ثم زاد فى أوّل بابة حتّى بلغ خمس عشرة ذراعا و خمس أصابع. و كان ذلك منتهى زيادته فى هذه السنة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۷۹]

السنة الثانية و الخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة تسع و سبعين و أربعمائة.

فيها صاد السلطان ملكشاه أربعة آلاف غزال- و قيل: عشرة آلاف و بنى بقرونها منارة سمّاها أمّ القرون.

و فيها توفّى ختلغ بن كنتكين الأمير أبو منصور أمير الكوفة و الحاج. ذمّه محمد ابن هلال الصابئ و ذمّ سيرته فى تاريخه، إلّا أنّه كان شجاعا، و له وقائع مع العرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۴

فى البرّيّة. و كان محافظا على الصلوات فى الجماعة، و يختم القرآن فى كلّ يوم، و يختصّ بالعلماء و القرّاء، و له آثار جميلة بطريق الحجاز و المشاهد و المساجد. و مكث فى إمارة الحاج اثنتى عشرة سنة.

و فيها قتل سليمان بن قتلمش، هو ابن عمة السلطان ملكشاه السّلجوقىّ. كان أميرا شجاعا، فتح عدّة بلاد، و آخر ما فتحه أنطاكية، و كان قد حاصر حلب و رجع.

و قتل مسلم بن قريش فى حربه؛ فجاءه تاج الدولة تتش و الأمير أرتق بك من دمشق، و التّقوا معه و اقتتلوا فجاء سليمان هذا سهم فى وجهه فوقع عن فرسه ميتا، فدفن إلى جانب مسلم بن قريش الذى قتل فى محاربته قبل ذلك بأيام.

و فيها توفّى علىّ بن فضّال بن علىّ أبو الحسن المغربىّ الفيروانىّ. كان فاضلا أديبا، له نظم و نثر. و مات بغزنة فى شهر ربيع الأوّل. و من شعره قوله:

[السريع]

إن تلقك الغربة فى معشر قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت فى دارهم و أرضهم ما دمت فى أرضهم

و فيها توفّى علىّ بن المقلّد بن نصر بن منقذ بن محمد بن مالك الأمير أبو الحسن الكنانىّ. كان بينه و بين ابن عمّار قاضى طرابلس و صاحبها مودّة، و كان شجاعا فاضلا نحويّا لغويّا شاعرا، و كان صاحب شيزر و بها توفّى. و تولّى شيزر بعده ابنه نصر بن علىّ. و كان له ديوان شعر مشهور. و من شعره:

[البسيط]

إذا ذكرت أياديك التى سلفت و سوء فعلى و زلّاتى و مجترمى

أكاد أقتل نفسى ثم يمنعنى علمى بأنّك مجبول على الكرم

و فيها توفى أبو سعيد أحمد بن محمد بن دوست النيسابورىّ الفقيه المحدّث الصوفىّ شيخ الشيوخ ببغداد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و تسع عشرة إصبعا.

و زاد فى نصف بشنس، ثم نقص نصف ذراع، ثم زاد فى أوانه حتى أوفى فى ثالث أيام النسىء. و كان مبلغ الزيادة فى هذه السنة سبع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۰]

السنة الثالثة و الخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثمانين و أربعمائة.

فيها بعث تتش أخو السلطان ملكشاه يقول لأخيه: قد استولى المصريّون على الساحل و ضايقوا دمشق، و أسأل السلطان أن يأمر آق سنقر و بوزان أن ينجدانى.

فكتب ملكشاه إليهما أن ينجداه. و كان الأمير بوزان بالرّهاء و آق سنقر بحلب.

و سبب ذلك أنّ أمير الجيوش بدرا الجمالىّ لمّا قوى أمره بمصر، و صار هو المتحدّث عن المستنصر صاحب الترجمة بهذه البلاد، و استرجع كثيرا مما كان ذهب من ممالكهم، جهّز جيشا إلى الساحل. فعظم ذلك على تتش صاحب دمشق.

و فيها بنى تاج الملك أبو الغنائم ببغداد المدرسة التاجيّة بباب أبرز و ضاهى بها النّظاميّة. قلت: و من باب أبرز هذا أصل بنى البارزى كتّاب سرّ زماننا هذا.

كان جدّهم مسلم يسكن فى بغداد بباب أبرز المذكور، ثم خرج من بغداد فى جفلة التتار إلى حلب فسمّى الأبرزىّ، ثم خفّف فسمّى البارزىّ. و يأتى ذكر جماعة منهم فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۶

و فيها توفّى شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الفقيه الحنبلىّ. كان إماما عالما، تفقّه على أبى يعلى، و مات فى صفر و دفن بباب حرب، و كان صالحا زاهدا ثقة.

و فيها توفّى محمد بن هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ أبو الحسن الملقّب بغرس النعمة صاحب التاريخ المسمّى ب «عيون التواريخ» ذيّله على تاريخ أبيه، و أبوه ذيّله على تاريخ ثابت بن سنان، و ثابت ذيّل على تاريخ محمد بن جرير الطّبرىّ. و كان تاريخ الطبرىّ انتهى إلى سنة اثنتين أو ثلاث و ثلثمائة. و تاريخ ثابت انتهى إلى سنة ستين و ثلثمائة. و تاريخ هلال انتهى إلى سنة ثمان و أربعين و أربعمائة. و تاريخ غرس النعمة هذا انتهى إلى سنة تسع و سبعين و أربعمائة. و كان غرس النعمة هذا فاضلا أديبا مترسّلا، و له صدقة و معروف، محترما عند الخلفاء و الملوك و الوزراء.

و جدّ أبيه إبراهيم الصابئ هو صاحب «الرسائل» فى أيام عضد الدولة بن بويه.

و قد تقدّم ذكره فى محلّه من هذا الكتاب.

و فيها توفّى أمير الملثّمين بمرّاكش و غيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر. أصله من ولد تاشفين. كان أميرا جليلا يجاهدا فى سبيل اللّه تعالى. ركب فى بعض غزواته فى خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان و المطّوّعة. و كان يخطب فى بلاده للدولة

العباسیّة، و کان یصلّی بالناس الصلوات الخمس، و یقیم الحدود، و یلبس الصوف، و ینصف المظلوم، و یعدل فی الرعیّة، و کان بین رعیّته کواحد منهم. رحمه اللّه تعالی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۷

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و خمس أصابع.

و کان الوفاء فی آخر أیّام النسیء. و کان مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و سبع أصابع.

و نقص فی رابع بابة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۱]

السنة الرابعة و الخمسون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة إحدی و ثمانین و أربعمائة.

فیها توفّی أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر الحافظ أبو طاهر الجوالیقیّ والد أبی منصور موهوب. کان شیخا صالحا متعبّدا، من أهل البیوتات القدیمة ببغداد، و کان جدّه صاحب دنیا واسعة. و مات هو فجأة فی شهر رجب.

و فیها توفّی عبد اللّه بن محمد بن علیّ بن محمد بن متّ بن أحمد بن علیّ بن جعفر ابن منصور بن متّ الحافظ شیخ الإسلام أبو إسماعیل الأنصاریّ الهرویّ. هو من ولد أبی أیّوب الأنصاریّ رضی اللّه عنه. سمع الکثیر و روی عنه جماعة. و کان إماما حافظا بارعا فی اللغة إمام وقته. قال المؤتمن: و کان یدخل علی الأمراء و الجبابرة فما کان یبالی بهم. و مات فی ذی الحجة و قد جاوز أربعا و ثمانین سنة.

و فیها توفّی محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن ماجة أبو بکر الأبهریّ الأصبهانیّ الإمام العالم المشهور. مات بأصبهان عن خمس و تسعین سنة، و قد انتهت إلیه ریاسة العلم بها.

و فیها توفّی عثمان بن محمد بن عبید اللّه أبو عمرو المحمیّ. مات فی صفر. و کان إماما عالما مفتّنا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۸

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و أربع أصابع. فهلکت الزروع و الغلّات و المخازن من کثرة الماء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۲]

السنة الخامسة و الخمسون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة اثنتین و ثمانین و أربعمائة.

فیها جهّز بدر الجمالیّ أمیر الجیوش عسکرا من مصر مع نصیر الدولة الجیوشیّ، فنزل علی صور و بها القاضی عین الدولة بن أبی عقیل، فسلّمها إلیه لمّا لم یکن له به طاقة. و فتح نصیر الدولة صیداء و عکّا. و کان لتتش بهذه البلاد ذخائر و أموال، فأخذها نصیر الدولة المذکور، ثم نزل علی بعلبکّ، و جاءه ابن ملاعب و خطب للمستنصر صاحب الترجمة (أعنی أنه دخل تحت طاعة المصریّین).

و بعث تتش إلی آق سنقر و بوزان و قال لهما: هذه البلاد کان لی فیها ذخائر و قد أخذت، و طلب منهما النجدة، فبعثا له عسکرا.

و فیها توفّی طاهر بن برکات بن إبراهیم الحافظ أبو الفضل القرشیّ الخشوعیّ.

کان عظیم الشأن، من أکابر شیوخ دمشق. قال ابن عساکر: سألت ولده إبراهیم ابن طاهر: لم سمّیتم الخشوعیّین؟ فقال: لأنّ جدّنا الأعلی کان یؤمّ الناس فمات بالمحراب. انتهی. و کانت وفاة طاهر هذا بظاهر دمشق. و کان ثقة صدوقا عالما.

و فيها توفى عاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم أبو الحسين. كان ظريفا أديبا شاعرا فصيحا حافظا للشعر.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۲۹

و فيها توفّى علىّ بن أبى يعلى بن زيد الشيخ أبو القاسم الدّبوسىّ من أهل دبوسية، و هى بلدة بين بخارى و سمرقند. كان إماما عالما. أقدمه الوزير نظام الملك إلى بغداد للتدريس [فى] مدرسته النظاميّة. و كان عارفا بالفقه و الجدل و المناظرة.

و مات ببغداد فى شعبان.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن صاعد رئيس نيسابور و عالمها و قاضيها أبو نصر النيسابورىّ الحنفىّ. كان إمام وقته و وحيد دهره علما و زهدا و فضلا و رياسة و عفّة. انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة فى زمانه.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد السّرخسىّ الشّجاعىّ البلخىّ الفقيه العالم المشهور. كان إماما عالما فاضلا، سمع الحديث الكثير و تفقّه و برع فى فنون.

و فيها توفّى إبراهيم بن سعيد الحافظ أبو إسحاق النّعمانىّ مولاهم الحبّال. كان إماما فاضلا حافظا، سمع الكثير و رحل البلاد و حدّث و سمع منه خلائق، ثمّ سكن مصر، و بها كانت وفاته، و مات و له تسعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۳]

السنة السادسة و الخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۰

فيها نزل تتش على حصن بعلبكّ و بها ابن ملاعب و مع تتش آق سنقر و بوزان فقاتلوه مدّة، و قالوا له: أنت توجّهت إلى مصر و خطبت للمستنصر. فلمّا أخافوه طلب الأمان فأعطوه؛ فنزل من القلعة و توجّه إلى مصر؛ و ملك تتش بعلبكّ. و أقام ابن ملاعب بمصر مدّة، و أحسن إليه المستنصر صاحب الترجمة، ثمّ عاد إلى الشام و دبّر الحيلة على حصن فامية حتّى ملكه.

و فيها توفّى الشيخ الإمام علىّ بن محمد القيروانىّ. كان فقيها عالما شاعرا. و من شعره- و أجاد إلى الغاية-:

[الكامل]

ما فى زمانک ماجد لو قد تأمّلت الشواهد

فاشهد بصدق مقالتى أو لا فكذّبنى بواحد

قلت: للّه درّه! لقد عبّر عن زماننا هذا كأنّه قد رآه.

و فيها توفّى محمد بن محمد بن جهير الوزير أبو نصر فخر الدولة. أصله من الموصل و بها ولد، و قدم ميّافارقين. و كتب للخليفة القائم بأمر اللّه العبّاسىّ يسأله أن يستوزره، فأجابه ثم نقم عليه و نفاه إلى الحلّة ثم أعاده. و لما تولّى المقتدى الخلافة و زرله، ثم عزل و نفى؛ فمضى إلى السلطان ملكشاه و انتمى إليه، و فتح له ديار بكر و أتحفه بالأموال. ثم تغيّر عليه السلطان؛ فاستأذن فى الإقامة بالموصل فأذن له؛ فتوجّه إليه فلم يقم به إلّا اليسير، و مرض و مات و دفن بالموصل. و كان سخيّا كريما شجاعا مدبّرا عارفا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۱

و فيها توفّى الشيخ المسند أبو الحسين عاصم بن الحسن العاصمىّ الكرخىّ. كان إماما محدّثا، سمع الكثير و روى عنه خلق كثير، و كان أديبا شاعرا ثقة.

و فیها توفّی الحافظ أبو نصر عبد العزیز بن محمد بن علیّ التّریاقیّ. مات بمدینة هراة و له أربع و تسعون سنة. و کان عالما محدّثا فقیها فاضلا.

و فیها توفّی الشیخ الإمام العارف بالله أبو بکر محمد بن إسماعیل التّفلیسیّ الصوفیّ النّیسابوریّ. مات فی شوّال بنیسابور، و کان إماما محدّثا فقیها صوفیا معدودا من أعیان الصوفیّة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و ست و عشرون إصبعا. مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۴]

السنة السابعة و الخمسون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة أربع و ثمانین و أربعمائة.

فیها فی صفر کتب الوزیر أبو شجاع إلی الخلیفة یعرّفه باستطالة أهل الذمّة علی المسلمین، و أنّ الواجب تمییزهم عنهم؛ فأمره الخلیفة أن یفعل ما یراه. فألزمهم الوزیر لبش الغیّار و الزّنانیر و تعلیق الدراهم الرّصاص فی أعناقهم مکتوب علی الدراهم [ذمیّ]، و تجعل هذه الدراهم أیضا فی أعناق نسائهم فی الحمّامات لیعرفن بها، و أن یلبسن الخفاف فردا أسود و فردا أحمر، و جلجلا فی أرجلهنّ. فذلّوا و انقمعوا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۲

بذلک. و أسلم حینئذ أبو سعد بن الموصّلایا، کاتب الإنشاء للخلیفة و ابن أخته أبو نصر هبة اللّه.

و فیها فی جمادی الأولی قدم أبو حامد الطّوسیّ الغزالیّ إلی بغداد مدرّسا بالنظامیّة و معه توقیع نظام الملک.

و فیها وقع بالشام زلزلة عظیمة و وافق ذلک تشرین الأوّل، و خرج الناس من دورهم هاربین، و انهدم معظم أنطاکیة و وقع من سورها نحو من تسعین برجا.

و فیها نزل آق سنقر علی فامیة فأخذها من ابن ملاعب.

و فیها فی شهر رمضان خرج توقیع الخلیفة المقتدی بالله العبّاسیّ بعزل الوزیر أبی شجاع من الوزارة؛ و کان له أسباب، منها أنّ نظام الملک وزیر السلطان ملکشاه السلجوقیّ کان یسعی علیه لابنه. فلمّا أتاه الخبر بعزله قام من الدیوان و لم یتأثر؛ و أنشد:

[الوافر]

تولّاها و لیس له عدوّ و فارقها و لیس له صدیق

و فیها حاصر تتش أخو السلطان ملکشاه طرابلس و معه آق سفر و بوزان و بها قاضیها، و هو صاحبها، و اسمه جلال الملک بن عمّار، و نصب علیها المجانیق. فاحتجّ علیهم ابن عمّار بأن معه منشور السلطان ملکشاه بإقراره علی طرابلس؛ فلم یقبل منه تتش ذلک، و توقّف آق سنقر عن قتاله. فقال له تتش: أنت تبع لی، فکیف تخالفنی فقال: أنا تبع لک إلّا فی عصیان السلطان. فغضب تاج الدولة تتش

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۳

و رجع إلی دمشق، و مضی آق سنقر إلی حلب، و مضی بوزان إلی الرّهاء (أعنی کلّ واحد إلی بلده).

و فیها ملک یوسف بن تاشفین الأندلس و نفی ابن عبّاد عنها.

و فیها توفّی محمد بن أحمد بن علیّ بن حامد أبو نصر المروزیّ. کان إماما فی القراءات، و صنّف فیها التصانیف، و انتهت إلیه الریاسة فیها. و کانت وفاته فی ذی القعدة.

و فیها توفّی محمد بن علیّ بن محمد أبو عبد اللّه التّنوخیّ الحلبیّ، و یعرف بابن العظیمیّ. کان إماما شاعرا فصیحا بلیغا. و من شعره

قوله:

[البسيط]

يلقى العدا بجنان ليس يرعبه خوض الحمام و متن ليس ينقصم

فالبيض تكسر و الأوداج دامية و الخيل تعرم و الأبطال تلتطم

و النقع غيم و وقع المرهفات به لمع البوارق و الغيث الملثّ دم

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۵]

السنة الثامنة و الخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر و هى سنة خمس و ثمانين و أربعمائة.

فيها ورد الأمير تاج الدولة تتش على السلطان ملكشاه شاكيا من آق سنقر فلم يلتفت السلطان إليه؛ فترك ابنه عند السلطان و عاد إلى دمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۴

و فيها فى يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأوّل وقت الظهر، و هو السادس من نيسان، اقترن زحل و المرّيخ فى برج السّرطان، و ذكر أهل صناعة النجوم أن هذا القران لم يحدث مثله فى هذا البرج منذ بعث النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إلى هذه السنة. قال صاحب مرآة الزمان: و كان تأثير هذا القران هلاك ملكشاه السلجوقىّ سيّد الملوك، و مقتل نظام الملك سيّد الوزراء. انتهى.

و فيها فى شهر رمضان توجّه السلطان ملكشاه من أصبهان إلى بغداد بنيّة غير مرضيّة فى حقّ الخليفة المقتدى بالله و عزم على تغييره، و كان معه وزيره نظام الملك، فقتل فى شهر رمضان فى الطريق، على ما سيأتى ذكره؛ إن شاء اللّه.

و وصل ملكشاه إلى بغداد فى ثامن عشر شهر رمضان. فأوّل ما وصل بعث يقول للخليفة: لا بدّ أن تترك لى بغداد و تذهب إلى أىّ بلد شئت. فانزعج الخليفة و بعث إليه يقول: أمهلنى شهرا؛ فقال: و لا ساعة. فأرسل الخليفة إلى تاج الملك أبى الغنائم، و كان السلطان ملكشاه استوزره بعد قتل نظام الملك، فقال: سله بأن يؤخّرنا عشرة أيّام. فدخل تاج الملك على السلطان و قال له: لو أنّ بعض العوامّ أراد أن ينتقل من دار إلى دار لم يقدر على النّقلة فى أقلّ من عشرة أيام، فكيف بالخليفة! فأمر السلطان له بالمهلة عشرة أيام. ثم اشتغل بنفسه من مرض حصل له و مات منه بعد أيام.

ذكر وفاته- هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان [بن] محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقمان التركىّ السلجوقىّ. تسلطن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۵

بعد موت أبيه بوصية منه إليه فى سنة خمس و ستين و أربعمائة، و جعل وزيره نظام الملك وزيرا له و متكلّما فى الدولة، و فرّق البلاد على أولاده و جعل مرجعهم إلى ملكشاه هذا. فلمّا تسلطن ملكشاه خرج عليه عمّه قاورد بك صاحب كرمان؛ فواقعه فأخذه ملكشاه أسيرا. فلمّا مثل بين يدى ملكشاه قال: أمراؤك كاتبونى، و أظهر مكاتبات. فأخذها ملكشاه و أعطاها للوزير نظام الملك، فأخذها نظام الملك و ألقاها فى موقد نار كان بين يدى ملكشاه فاحترقت. فسكنت قلوب الأمراء، و بذلوا الطاعة؛ و ثبت ملكه بهذه الفعلة. ثم خنق عمّه قاورد بك المذكور بوتر، و تمّ له الأمر. و ملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين؛ فكان فى مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، و بلاد الهياطلة، و باب الأبواب، و بلاد الروم و الجزيرة و الشام؛ حتّى إنّه ملك من مدينة كاشغر، و هى أقصى مدينة للترك،

إلى بيت المقدس طولا، و من القسطنطينيّة إلى بلاد الخزر و بحر الهند عرضا. و كان من أحسن الملوك سيرة، و لذلك كان يلقّب بالسلطان العادل. و كان منصورا فى حروبه، مغرى بالعمائر، حفر الأنهار و عمّر الأسوار و القناطر و عمّر جامع السلطان ببغداد و لم يتمّه، و أبطل المكوس فى جميع بلاده، و صنع بطريق مكة مصانع الماء، غرم عليها أموالا كثيرة. و كان مغرى بالصيد، حتى إنّه صاد مرّة فى حلقة واحدة عشرة آلاف صيد؛ و قد تقدّم ذكر ذلك. و كانت وفاته فى شوّال. قيل: إنّه سمّ فى خلال تخلّل به. و لم يشهده الدولة و لا عمل له عزاء. و حمل فى تابوت إلى أصبهان فدفن بها. و قام فى السلطنة بعده أكبر أولاده بركياروق، و لقّب بركن الدولة. و خالفه عمّه، و وقع له معه وقائع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۶

و فيها توفّى الوزير نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقىّ المقدّم ذكره.

و اسمه الحسن بن إسحاق بن العبّاس الوزير أبو على الطّوسىّ. كان من أولاد الدّهاقين بناحية بيهق، و كان فقيرا مشغولا بسماع الحديث، ثم بعد حين اتّصل بداود بن ميكائيل السلجوقىّ، فأخذه بيده و سلّمه إلى ولده ألب أرسلان، و قال له: يا محمد، هذا حسن الطوسىّ اتّخذه والدا و لا تخالفه. فلمّا وصل الملك إلى ألب أرسلان استوزره، فدبّر ملكه عشر سنين. و مات ألب أرسلان، فازدحم أولاده على الملك، فقام بأمر ملكشاه حتّى تمّ أمره و تسلطن. و لمّا دخل نظام الملك على الخليفة المقتدى أمره بالجلوس، و قال له: يا حسن، رضى اللّه عنك لرضا أمير المؤمنين عنك.

و كان نظام الملك عالى الهمّة، وافر العقل، عارفا بتدبير الأمور، محبّا للعلماء و الصلحاء، على ظلم و جور كان عنده، على عادة الوزراء.

و لمّا خرج من أصبهان بعد مخدومه ملكشاه قاصدا بغداد نزل قرية من قرى نهاوند مكان الوقعة التى كانت فى زمان عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- فقال:

هذا موضع مبارك؛ قتل فيه جماعة من الصحابة، طوبى لمن كان منهم. و كان جالسا و الأمراء بين يديه، و كان صائما، فإنّه كان يوم الخميس؛ فقدّم الأكل فأكل الناس؛ ثم ركب محفّته إلى خيمة النساء، و كان به مرض النّقرس، فاعترضه صبىّ ديلمىّ فى زىّ الصوفيّة و بيده قصّة، فدعا له و سأله أن يناوله إيّاها من يده إلى يده؛ فقال: هات؛ فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكّين فى فؤاده، فحمل الى مضربه و مات؛ فهرب الديلمى فعثر بطنب خيمة فقطّع قطعا. و كانت وزارة نظام الملك لبنى سلجوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۷

أربعا و ثلاثين سنة- و قيل أربعين سنة- و كان عمره ستا و سبعين سنة. و من شعره:

[البسيط]

بعد الثمانين ليس قوّه لهفى على قوّة الصّبوّه

كأنّنى و العصا بكفّى موسى و لكن بلا نبوّه

و فيها توفّى مالك بن أحمد الإمام أبو عبد اللّه البانياسىّ ثم البغدادىّ المعروف بالفرّاء فى جمادى الآخرة شهيدا فى الحريق. و كان معدودا من العلماء الفضلاء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا. و أوفى فى سابع توت، و نقص فيه أيضا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۶]

السنة التاسعة و الخمسون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة ستّ و ثمانین و أربعمائة.

فیها خطب تاج الدولة تتش السلجوقیّ لنفسه بعد موت أخیه ملکشاه، و أرسل إلی الخلیفة بأن یخطب له و یوعده؛ فما التفت إلیه فی الجواب، غیر أنّه أرسل یقول له: إنما تصلح للخطبة إذا حصلت الدنیا بحکمک، و الخزائن التی بأصبهان معک، و تکون صاحب الشرق و خراسان، و لم یبق من أولاد أخیک ملکشاه من یخالفک؛ و أمّا فی هذا الحال فلا سبیل إلی ما التمسته. فلمّا وقف تتش علی ذلک سار إلی الموصل و بها إبراهیم بن قریش؛ فخرج إلیه فی بنی عقیل و التقوا معه فقتل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۸

إبراهیم و قتل علیه أعیان بنی عقیل. و کان علیّ بن مسلم بن قریش عند برکیاروق ابن ملکشاه، فأخبره بمصاب عمّه، فعزّ علیه فکتب إلی تتش یلومه.

و فیها فتح عسکر مصر صور و حمل صاحبها إلی مصر و معه أصحابه. فضرب بدر الجمالیّ رقاب الجمیع، و قطع علی أهل صور ستین ألفا عقوبة لهم.

و فیها بطل مسیر الحاجّ من العراق خوفا علیهم، و سار حجّاج دمشق، و لم یوصّلوا إلی أمیر مکة ما یرضیه. فلمّا رحلوا خرج و نهبهم، و عاد من سلم منهم علی أقبح حال، و تخطّفهم العرب فی الطریق.

و فیها توفّی عبد القادر بن عبد الکریم بن الحسین أبو البرکات. کان شیخا صالحا، خطّب بدمشق لبنی العباس و للمصریّین؛ و أنشد لبعضهم:

[الطویل]

یعدّ رفیع القوم من کان عاقلا و إن لم یکن فی قومه بحسیب

فإن حلّ أرضا عاش فیها بعقله و ما عاقل فی بلدة بغریب

و فیها توفّی علیّ بن أحمد بن یوسف بن جعفر بن عرفة الحافظ الفقیه الهکّاریّ.

کان ینعت بشیخ الإسلام- و الهکّاریّة: جبال فوق الموصل فیها قرّی و بنّی- و کنیته أبو الحسن. کان إماما عالما فقیها، سمع الحدیث و رواه، و بنی أربطة، و قدم بغداد. و کان صالحا متعبّدا شیخ بلاده فی التصوّف، و کان من أهل السنة و الجماعة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزیادة ست عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۳۹

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۷]

اشارة

السنة الستون من ولایة المستنصر معدّ علی مصر و هی سنة سبع و ثمانین و أربعمائة، و هی التی مات فیها المستنصر معدّ صاحب الترجمة حسب ما تقدّم ذکره.

و فیها أیضا توفّی الخلیفة المقتدی بالله العباسیّ و بدر الجمالی أمیر الجیوش بمصر، و آق سنقر صاحب حلب قتیلا، و بوزان بالشأم، و أمیر مکة. و تسمّی هذه السنة سنة موت الخلفاء و الأمراء؛ فعدّ الناس هذا کلّه من القران المقدّم ذکره فی سنة خمس و ثمانین و أربعمائة. و یأتی کلّ واحد من هؤلاء علی حدته فی هذه السنة.

و فیها کانت زلزلة عظیمة [ببغداد] بین العشاءین فی المحرّم.

و فيها حدث فتن و حروب و غلاء بسائر الأقاليم

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين أبو القاسم المقتدى بالله عبد اللّه ابن الأمير ذخيرة الدّين أبى العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بأمر اللّه أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدى بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس العباسى الهاشمى.

بويع بالخلافة بعد موت جدّه القائم بأمر اللّه فى ثالث عشر شعبان سنة سبع و ستين و أربعمائة، و هو ابن تسع عشرة سنة و ثلاثة أشهر. و كان توفّى أبوه الذخيرة محمد، و المقتدى هذا حمل فى بطن أمّه، و كان اسم أمّه أرجوان- و قيل قرّة العين- و كانت أرمينيّة، فولدته بعد موت أبيه بستة أشهر. و كان المقتدى من رجال بنى العباس

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۰

له همّة عالية، و شجاعة وافرة، و ظهرت فى أيامه خيرات؛ و خطب له فى الشرق بأسره و ما وراء النهر و الهند و غزنة و الصين و الجزيرة و الشام و اليمن؛ و عمّرت فى أيامه بغداد، و استرجع المسلمون الرّهاء. و أنطاكية و مات فجأة فى ليلة السبت خامس عشر المحرّم، و كان عمره ثمانيا و ثلاثين سنة و ثمانية أشهر و يومين. و تخلّف بعده ابنه أبو العبّاس أحمد. و كانت خلافة المقتدى تسع عشرة سنة و ثمانية أشهر.

و فيها توفّى الشريف أمير مكة محمد بن أبى هاشم. كان ظالما جبّارا فاتكا سفّا كاللدّماء مسرفا رافضيّا سبّابا خبيثا متلؤنا، تارة مع الخلفاء العباسيّين، و تارة مع المصريّين، و كان يقتل الحجّاج و يأخذ أموالهم. و هلك بمكة و قد ناهز السبعين.

و فرح المسلمون و أهل مكّة بموته، و قام بعده ابنه هاشم.

و فيها توفّى المستنصر صاحب الترجمة العبيدىّ خليفة مصر، و قد تقدّم ذكر وفاته فى ترجمته.

و فيها توفّى الحسن بن أسد أبو نصر الفارقىّ الشاعر المشهور. كان فصيحا فاضلا عارفا باللغة و الأدب، و هو الذى سلّم ميّافارقين إلى [منصور بن] مروان.

فلمّا دخلها تتش السلجوقىّ اختفى، ثم ظهر لمّا عاد تتش، و وقف بين يديه و أنشده قصيدة، منها:

[البسيط]

و استحلبت حلب جفنىّ فانهملا و بشّرتنى بحرّ القتل حرّان

فقال تتش: من هذا؟ فقيل له: هذا الفارقىّ؛ فأمر بضرب عنقه من وقته.

فكان قوله:

و بشّرتنى بحرّ القتل حرّان

فألا عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۱

و من شعره:

[المنسرح]

کم ساءنى الدّهر ثم سرّ فلم يدم لنفسى همّا و لا فرحا

ألقاه بالصبر ثم يعركنى تحت رحا من صروفه فرحا

و فيها توفّى الأمير آق سنقر بن عبد اللّه قسيم الدولة التّركىّ. كان شجاعا عادلا منصفا، و كان الملوک السلجوقيّة يحترمونه، و لم يكن له ولد غير زنكى. و آق سنقر هذا هو جدّ الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد. و لمّا قتل آق سنقر انضمّ على ولده

زنکی ممالیک أبیه و صار معهم، و استفحل أمره، علی ما یأتی ذکره إن شاء اللّه فی عدّة مواطن.

و فیها توفّی أمیر الجیوش بدر الجمالیّ الأرمنیّ وزیر مصر للمستنصر بل صاحب أمرها و عقدها و حلّها. کان أوّلا ولی الشام و السواحل للمستنصر، ثم خالفه مدّة و أقام بعکّا، إلی أن استدعاه المستنصر المذکور إلی مصر بعد أن اختلّ أمرها من الغلاء و الفتن؛ و فوّض إلیه أمور مصر و الشام و جمیع ممالکه؛ فاستقامت الأمور بتدبیره و سکنت الفتن، و صار الأمر کلّه له؛ و لیس للخلیفة المستنصر معه سوی الاسم لا غیر. و مات قبل المستنصر بأشهر. و لمّا مات بدر الجمالیّ أقام المستنصر ابنه أبا القاسم شاهنشاه، و لقّبه الأفضل؛ فأحسن الأفضل السّیرة فی الرعیّة، لکنه عظم فی الدولة أضعاف مکانة أبیه. و خلّف بدر الجمالیّ أموالا کثیرة یضرب بها المثل.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و إصبعان. مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و إحدی و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۲

ذکر ولایة المستعلی بالله علی مصر

المستعلی بالله خلیفة مصر اسمه أحمد و کنیته أبو القاسم بن المستنصر بالله معدّ ابن الظاهر بالله علیّ بن الحاکم بأمر اللّه منصور بن العزیز بالله نزار بن المعزّ لدین اللّه معدّ بن المنصور إسماعیل بن القائم محمد بن المهدیّ عبید اللّه، السادس من خلفاء مصر الفاطمیّین بنی عبید، و التاسع ممّن ولی من أجداده الخلافة بالمغرب. بویع بالخلافة بعد موت أبیه المستنصر معدّ فی یوم عید الغدیر، یوم ثامن عشر ذی الحجة سنة سبع و ثمانین. و مولده بالقاهرة فی المحرّم سنة سبع و ستین و أربعمائة.

و لمّا ولی الخلافة کانت سنه یوم ذاک نیّفت علی عشرین سنة. و قال ابن خلّکان:

مولده لعشر لیال بقین من المحرّم، و ذکر السنة. و کان القائم بأمره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالیّ؛ فإنّ المستنصر کان قد أجلس بعده ابنه أبا منصور نزارا أکبر أولاده، و جعل إلیه ولایة العهد بالخلافة. فلمّا مرض المستنصر أراد أخذ البیعة له فتقاعد الأفضل شاهنشاه و دافع المستنصر من یوم إلی یوم حتّی مات المستنصر؛ و کان ذلک کراهة من الأفضل فی نزار ولد المستنصر. و سببه أن نزارا خرج ذات یوم فی حیاة أبیه المستنصر فإذا الأفضل راکب و قد دخل من أحد أبواب القصر، فصاح به نزار المذکور: انزل یا أرمنیّ یا نجس!. فحقدها علیه الأفضل و صار کلّ منهما یکره الآخر. فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء و الخواصّ و خوّفهم من نزار و أشار علیهم بولایة أخیه الصغیر أبی القاسم أحمد، فرضوا بذلک ما خلا محمود بن مصال اللّکّیّ فإنّ نزارا کان وعده بالوزارة و التّقدمة علی الجیوش مکان الأفضل. فلمّا علم ابن مصال الحال أعلم نزارا بذلک،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۳

و بادر الأفضل بإخراج أبی القاسم أحمد هذا و بایعه و نعته بالمستعلی بالله، و ذلک بکرة یوم الخمیس لاثنتی عشرة لیلة بقیت من ذی الحجة، و أجلسه علی سریر الخلافة، و جلس الأفضل شاهنشاه علی دکّة الوزارة، و حضر قاضی القضاة المؤیّد بنصر الأنام علیّ بن نافع بن الکحّال و الشهود معه، و أخذوا البیعة علی مقدّمی الدولة و رؤسائها و أعیانها. ثم مضی الأفضل إلی إسماعیل و عبد اللّه ابنی المستنصر و هما بالمسجد بالقصر و الموکّلون علیهما، فقال لهما: إنّ البیعة تمّت لمولانا المستعلی بالله، و هو یقرئکما السلام و یقول لکما: تبایعان أم لا؟ فقالا: السمع و الطاعة؛ إنّ اللّه اختاره علینا؛ و قاما و بایعاه. فکتب الأفضل بذلک سجلّا قرأه الشریف سناء الملک محمد بن محمد الحسینیّ الکاتب بدیوان الإنشاء علی الأمراء. و أمّا أمر نزار فإنّه بادر و خرج من وقته و أخذ معه أخاه عبد اللّه الذی بایع و ابن مصال اللّکّیّ و توجّهوا إلی الإسکندریّة، و کان الوالی بها ناصر الدولة أفتکین الترکیّ أحد ممالیک أمیر الجیوش بدر الجمالیّ (أعنی والد الأفضل هذا)، فعرّفوه الحال و وعده نزار بالوزارة، فطمع أفتکین فی ذلک، و بایع نزارا المذکور، و بایع أیضا جمیع أهل الإسکندریة، و لقّب المصطفی لدین اللّه. ثم وقع لنزار هذا أمور و حروب مع الأفضل نذکر منها نبذة من أقوال جماعة من المؤرخین.

قال العلّامة شمس الدين يوسف بن قزأوغلى فى تاريخه مرآة الزمان- بعد ما ساق نسبه بنحو ما ذكرناه و أقلّ- قال: و كان المتصرّف فى دولته الأفضل ابن أمير الجيوش (يعنى عن المستعلى). قال: و كان هرب أخوه نزار بن المستنصر إلى الإسكندريّة و بها أفتكين مولى أبيه. قلت: و هذا بخلاف ما ذكره غيره من أنّ أفتكين كان مولى لبدر الجمالىّ والد الأفضل شاهنشاه. قال: و زعم نزار أنّ أباه عهد إليه، فقام له بالأمر أفتكين و لقّبه ناصر الدولة. و أخذ له البيعة على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۴

أهل البلد، و ساعده ابن عمّار قاضى الإسكندرية. فتوجّه الأفضل إلى الإسكندرية و ضايقها؛ فخرج إليه أفتكين فهزمه و عاد الأفضل إلى القاهرة (يعنى مهزوما) فحشد و عاد إليها و نازلها و افتتحها عنوة و قتل أعيان أهلها، و اعتقل أفتكين و ابن عمّار. فكتب ابن عمّار إلى الأفضل ورقة من الحبس يقول فيها:

[البسيط]

هل أنت منقذ شلوى من يدى زمن أضحى يقدّ أديمى قدّ منتهس

دعوتك الدّعوة الأولى و بى رمق و هذه دعوة و الدهر مفترسى

فلم تصل إليه الورقة حتّى قتل. فلمّا وقف عليها قال: و اللّه لو وقفت عليها قبل ذلك ما قتلته. و كان ابن عمّار المذكور من حسنات الدهر. و قدم الأفضل بأفتكين و نزار إلى القاهرة، و كان أفتكين يلعن المستعلى و الأفضل بن أمير الجيوش على المنابر؛ فقتله المستعلى بيده و بنى على أخيه نزار حائطا فهو تحته إلى الآن. و كان للمستعلى أخ اسمه عبد اللّه [فظفر به الأفضل]. انتهى كلام صاحب مرآة الزمان بآختصار.

و قال غيره: و لمّا استهلّت سنة ثمان و ثمانين خرج الأفضل بعساكر مصر إلى الإسكندريّة، و هناك نزار و أفتكين، فكانت بينهم حرب شديدة بظاهر الإسكندرية، انكسر فيها الأفضل بمن معه، و رجع إلى القاهرة منهزما؛ فخرج نزار و نهب أكثر البلاد بالوجه البحرىّ. و أخذ الأفضل فى التجهّز لقتال نزار، و دسّ إلى جماعة ممّن كان مع نزار من العربان و استمالهم عنه، ثمّ خرج بالعساكر ثانيا إلى نحو الإسكندريّة، فكانت بينهم أيضا وقعة بظاهر الإسكندريّة انكسر فيها نزار بمن معه إلى داخل الإسكندرية؛ فحاصرهم الأفضل حصارا شديدا إلى ذى القعدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۵

فلمّا رأى ذلك ابن مصال جمع ماله و فرّ إلى الغرب. و كان سبب فرار ابن مصال أنّه رأى فى منامه أنه راكب فرسا و سار و الأفضل ماش فى ركابه؛ فقال له المعبّر:

الماشى على الأرض أملك لها؛ فلمّا سمع ذلك فرّ. و لمّا فرّ ابن مصال ضعفت قوى نزار و أفتكين و خافا و طلبا من الأفضل الأمان فأمّنهما و دخل البلد؛ ثم قبض على نزار و أفتكين و بعث بهما إلى مصر، و كان ذلك آخر العهد بنزار. و كان مولد نزار فى يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول سنة سبع و ثلاثين و أربعمائة. و قيل:

إنّ الأفضل بنى لنزار حائطين و جعله بينهما إلى أن مات. و أمّا أفتكين نائب الإسكندريّة فإنّه قتله بعد ذلك. و لم يزل الأفضل يؤمّن ابن مصال حتّى حضر إليه بالقاهرة و لزم داره حتّى رضى عنه الأفضل. انتهى ذكر نزار و كيفيّة قتله.

و قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: و فى أيّامه و هنت دولتهم (يعنى المستعلى صاحب الترجمة). قال: و انقطعت دعوتهم من أكثر مدن الشام، و استولى عليها الأتراك و الفرنج، و نزل الفرنج على أنطاكية و حصروها ثمانية أشهر، و أخذوها فى سادس عشر رجب سنة إحدى و تسعين و أربعمائة، و أخذوا المعرة سنة اثنتين و تسعين، ثم أخذوا القدس فيها أيضا فى شعبان، و استولى الملاعين على كثير من مدن الساحل. و لم يكن المستعلى مع الأفضل بن أمير الجيوش حكم. و فى أيّامه هرب أخوه نزار إلى الإسكندريّة، فأخذ له البيعة على أهل الثغر أفتكين، و ساعده قاضى الثغر ابن عمّار، و أقاموا على ذلك سنة. فجاء الأفضل سنة ثمان و ثمانين و حاصر الثغر و خرج

إليه أفتكين فهزمه، ثم نازلها ثانيا و افتتحها عنوة و قتل جماعة، و أتى القاهرة بنزار و أفتكين، فذبح أفتكين صبرا، و بنى المستعلى على أخيه حائطا، فهو تحته إلى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۶

الآن: انتهى كلام الذهبىّ. قلت: و من حينئذ نذكر كيفيّة أخذ الفرنج للسواحل فى أيام المستعلى هذا، و هو كالشرح لمقالة الذهبىّ و غيره:

كان أوّل حركة الفرنج لأخذ السواحل و خروجهم إليها فى سنة تسعين و أربعمائة، فساروا إليها، فأوّل ما أخذوا نيقية، و هو أوّل بلد فتحوه و أخذوه من المسلمين.

ثمّ فتحوا حصون الدروب شيئا بعد شىء، و وصلوا إلى البارة و جبل السّمّاق و فامية و كفر طاب و نواحيها. و فى سنة إحدى و تسعين و أربعمائة ساروا إلى أنطاكية و لم ينازلوها، و جاءوا إلى المعرّة فنصبوا عليها السّلالم فنزلوا إليها فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان، قاله أبو المظفّر سبط ابن الجوزىّ؛ قال: و سبوا مثلها. ثمّ دخلوا كفر طاب و فعلوا مثل ذلك، و عادوا إلى أنطاكية، و كان بها الأمير شعبان. و قيل شقبان، و قيل فى اسمه غير ذلك- و كان على الفرنج صنجيل، فحاصرها مدّة؛ فنافق رجل من أنطاكية يقال له فيروز و فتح لهم فى الليل شبّاكا فدخلوا منه، و وضعوا السيف، و هرب شعبان و ترك أهله و أمواله و أولاده بها. فلما بعد عن البلد ندم على ذلك، فنزل عن فرسه فحثى التّراب على رأسه و بكى و لطم، و تفرّق عنه أصحابه و بقى وحده؛ فمرّ به رجل أرمنىّ حطّاب فعرفه فقتله و حمل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنج.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۵؛ ص۱۴۶

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۷

و قال أبو يعلى [بن] القلانسىّ: فى جمادى الأولى ورد الخبر بأنّ قوما من أهل أنطاكية عملوا عليها و واطئوا الفرنج على تسليمها إليهم لإساءة تقدّمت من حاكم البلد فى حقّهم و مصادرته لهم، و وجدوا الفرصة فى برج من الأبراج التى للبلد مما يلى الجبل، فباعوهم إيّاه، و أصعدوا منه فى السّحر و صاحوا، فانهزم ياغى سيان و خرج فى خلق عظيم فلم يسلم منهم شخص؛ فسقط الأمير عن فرسه عند معرّة مصرين، فحمله بعض أصحابه و أركبه فلم يثبت على ظهر الفرس و سقط ثانيا فمات.

و أمّا أنطاكية فقتل منها و سبى من الرجال و النساء و الأطفال ما لا يدركه حصر، و هرب إلى القلعة قدر ثلاثة آلاف تحصّنوا بها.

و كان أخذ المعرّة فى ذى الحجّة بعد أخذ أنطاكية. و لمّا وقع ذلك اجتمع ملوك الإسلام بالشام، و هم رضوان صاحب حلب و أخوه دقماق و طغتكين و صاحب الموصل و سكمان بن ارتق صاحب ماردين و أرسلان شاه صاحب سنجار - و لم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر. و ما أدرى ما كان السبب فى عدم إخراجه مع قدرته على المال و الرجال- فاجتمع الجميع و نازلوا أنطاكية و ضيّقوا على الفرنج حتّى أكلوا ورق الشجر. و كان صنجيل مقدّم الفرنج عنده دهاء و مكر، فرتّب مع راهب حيلة و قال: اذهب فآدفن هذه الحربة فى مكان كذا، ثم قل للفرنج بعد ذلك: رأيت المسيح فى منامى و هو يقول: فى المكان الفلانىّ حربة مدفونة فآطلبوها، فإن

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۸

وجدتموها فالظّفر لكم، و هى حربتى، فصوموا ثلاثة أيّام و صلّوا و تصدّقوا ثم قام و هم معه إلى المكان ففتّشوه فظهرت الحربة؛ فصاحوا و صاموا و تصدّقوا و خرجوا إلى المسلمين، و قاتلوهم حتى دفعوهم عن البلد؛ فثبت جماعة من المسلمين فقتلوا عن آخرهم، رحمهم اللّه تعالى. و العجب أنّ الفرنج لمّا خرجوا إلى المسلمين كانوا فى غاية الضعف من الجوع و عدم القوت حتّى إنهم أكلوا الميتة و كانت عساكر الإسلام فى غاية القوّة و الكثرة، فكسروا المسلمين و فرّقوا جموعهم، و انكسر أصحاب الجرد السوابق، و وقع السيف فى المجاهدين و المطّوّعين. فكتب دقماق و رضوان و الأمراء إلى الخليفة (أعنى المستظهر العباسىّ) يستنصرونه؛ فأخرج الخليفة أبا نصر ابن الموصلايا إلى السلطان بركياروق ابن السلطان ملكشاه السلجوقىّ يستنجده. كلّ ذلك و عساكر مصر لم تهيّأ

للخروج.

و أمّا أخذ بيت المقدس فكان فى يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين و تسعين و أربعمائة، و هو أنّ الفرنج ساروا من أنطاكية و مقدّم الفرنج كندهرى فى ألف ألف، منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس، و الباقون رجّالة و فعلة و أرباب آلات من مجانيق و غيرها، و جعلوا طريقهم على الساحل و كان بالقدس افتخار الدولة من قبل المستعلى خليفة مصر صاحب الترجمة، فأقاموا يقاتلون أربعين يوما، و عملوا برجين مطلّين على السور؛ أحدهما بباب صهيون، و الآخر بباب العمود و باب الأسباط، و هو برج الزاوية؛ و منه فتحها السلطان صلاح الدّين بن أيوب، على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى. فأحرق المسلمون البرج الذى كان بباب صهيون و قتلوا من فيه. و أمّا الآخر فزحفوا به حتّى ألصقوه بالسور، و حكموا به على البلد، و كشفوا من كان عليه من المسلمين؛ ثم رموا بالمجانيق و السّهام رمية رجل واحد،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۴۹

فانهزم المسلمون فنزلوا إلى البلد، و هرب الناس إلى الصخرة و الأقصى و اجتمعوا بها، فهجموا عليهم و قتلوا فى الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم، و قتلوا الشيوخ و العجائز و سبوا النساء، و أخذوا من الصخرة و الأقصى سبعين قنديلا، منها عشرون ذهبا فى كلّ قنديل ألف مثقال، و منها خمسون فضّة فى كلّ قنديل ثلاثة آلاف و ستمائة درهم بالشامىّ، و أخذوا تنّورا من فضّة زنته أربعون رطلا بالشامىّ، و أخذوا من الأموال ما لا يحصى. و كان بيت المقدس منذ افتتحه عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- فى سنة ستّ عشرة من الهجرة، لم يزل بأيدى المسلمين إلى هذه السنة. هذا كلّه و عسكر مصر لم يحضر، غير أنّ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ صاحب أمر مصر لمّا بلغه أنّ الفرنج ضايقوا بيت المقدس خرج فى عشرين ألفا من عساكر مصر و جدّ فى السير، فوصل إلى القدس يوم ثانى فتحه و لم يعلم بذلك.

فقصده الفرنج و قاتلوه، فلم يثبت لهم و دخل عسقلان بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير؛ فأحرق الفرنج ما حول عسقلان و قطعوا أشجارها، ثم عادوا إلى القدس. ثم عاد الأفضل إلى مصر بعد أمور وقعت له مع الفرنج. و استمرّ بيت المقدس مع الفرنج، فلا قوّة إلّا باللّه.

و قال ابن القلانسىّ: إنّ أخذ المعرّة كان فى هذه السنة أيضا، و إنّه كان قبل أخذ بيت المقدس. قال: و زحف الفرنج فى محرم هذه السنة إلى سور المعرّة من الناحية الشرقيّة و الشمالية، و أسندوا البرج إلى سورها، فكان أعلى منه. و لم يزل الحرب عليها إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من المحرّم، و صعدوا السور، و انكشف أهل البلد بعد أن تردّدت إليهم رسل الفرنج، و أعطوهم الأمان على نفوسهم و أموالهم و ألّا يدخلوا إليهم، بل يبعثوا إليهم شحنة فمنع من ذلك الخلف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۰

بين أهلها، فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير، ثم أعطوهم الأمان. فلمّا ملكوها غدروا بهم و فعلوا تلك الأفعال القبيحة و أقاموا عليها، إلى أن رحلوا عنها فى آخر شهر رجب إلى القدس. و انجفل الناس بين أيديهم، فجاءوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغلّة، ثم انتهوا إلى القدس. و ذكر فى أمر القدس نحوا مما قلناه، غير أنّه زاد فقال: و لمّا بلغهم (يعنى الفرنج) خروج الأفضل من مصر جدّوا فى القتال و نزلوا من السور و قتلوا خلقا كثيرا، و جمعوا اليهود فى الكنيسة و أحرقوها عليهم، و هدموا المشاهد و قبر الخليل- عليه السلام- و تسلّموا محراب داود بالأمان. و وصل الأفضل بالعساكر و قد فات الأمر، فنزل عسقلان فى يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول فى البحر و العرب؛ فنهض إليه مقدّم الفرنج فى خلق عظيم، فانهزم العسكر المصرىّ إلى ناحية عسقلان؛ و دخل الأفضل عسقلان، و لعبت سيوف الفرنج فى العسكر و الرجال و المطّوّعة و أهل البلد، و كانوا زهاء عن عشرة آلاف نفس، و مضى الأفضل. و قرّر الفرنج على أهل البلد عشرين ألف دينار تحمل إليهم، و شرعوا فى جبايتها من أهل البلد؛ فاختلف المقدّمون فرحلوا و لم يقبضوا من المال شيئا. ثم قال: و حكى أنّه قتل من أهل عسقلان من شهودها و تجارها و أحداثها سوى

أجنادها ألفان و سبعمائة نفس.

و لما تمّت هذه الحادثة خرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زين الدين أبی سعد الهروىّ، فوصلوا بغداد و حضروا فی الديوان و قطّعوا شعورهم و استغاثوا و بكوا، و قام القاضی فی الديوان و أورد كلاما أبكی الحاضرين، و ندب من الديوان من يمضی إلی العسكر السلطانىّ و يعرّفهم بهذه المصيبة؛ فوقع التقاعد لأمر يريده

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۱

اللّه. فقال القاضی الهروىّ- و قيل: هی لأبی المظفّر الأبيوردىّ- القصيدة التی أوّلها:

[الطويل]

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراجم

و منها:

و كيف تنام العين ملء جفونها علی هفوات أيقظت كلّ نائم

و إخوانكم بالشام يضحی مقيلهم ظهور المذاكی أو بطون القشاعم

و منها:

و كاد لهنّ المستجنّ بطيبة ينادی بأعلی الصوت يا آل هاشم

أری أمتی لا يشرعون إلی العدا رماحهم و الدين واهی الدعائم

و منها:

وليتهم إذ لم يذودوا حميّة عن الدين ضنّوا غيرة بالمحارم

و إذ زهدوا فی الأجر إذ حمی الوغی فهلّا أتوه رغبة فی الغنائم

و قال آخر:

[الوافر]

أحلّ الكفر بالإسلام ضيما يطول عليه للدين النّحيب

فحقّ ضائع و حمّی مباح و سيف قاطع و دم صبيب

و كم من مسلم أمسی سليبا و مسلمة لها حرم سليب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۲

و كم من مسجد جعلوه ديرا علی محرابه نصب الصليب

دم الخنزير فيه لهم خلوق و تحريق المصاحف فيه طيب

أمور لو تأملهنّ طفل لطفّل فی عوارضه المشيب

أ تسبی المسلمات بكلّ ثغر و عيش المسلمين إذا يطيب

أمّا للّه و الإسلام حقّ يدافع عنه شبّان و شيب

فقل لذوی البصائر حيث كانوا أجيبوا اللّه و يحكم أجيبوا

و قال الناس فی هذا المعنی عدّة مرات. و المقصود أنّ القاضی و رفقته عادوا من بغداد إلی الشام بغير نجدة. و لا قوة إلّا بالله!. ثم إنّ الأفضل بن أمير الجيوش جهّز من مصر جيشا كثيفا و عليه سعد الدولة القواسىّ فی سنة ثلاث و تسعين و أربعمائة، فخرج سعد الدولة المذكور من مصر بعسكره فالتقی مع الفرنج بعسقلان؛ و وقف سعد الدولة فی القلب، فقاتل قتالا شديدا، فكبا به فرسه فقتل. و ثبت المسلمون بعد قتله و حملوا علی الفرنج فهزموهم إلی قيسارية. فيقال: إنّهم قتلوا من الفرنج ثلثمائة ألف، و لم يقتل من المسلمين سوی

مقدّم عسكرهم سعد الدولة القواسیّ المذكور و نفر يسير. قاله صاحب مرآة الزمان. و قال الذهبیّ فی تاريخه: هذه مجازفة عظيمة (يعنی كونه قال قتل ثلثمائة ألف من الفرنج). انتهی. قلت: و من يومئذ بدأت الفرنج فی أخذ السواحل حتّی استولوا علی الساحل الشامی بأجمعه إلی أن استولت الدولة الأيوبيّة و التركيّة و استرجعوها شيئا بعد شیء، حسب ما يأتی ذكره إن شاء اللّه فی هذا الكتاب.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۳

و مات المستعلی صاحب الترجمة فی يوم الثلاثاء تاسع صفر سنة خمس و تسعين و أربعمائة، و قيل: فی ثالث عشر صفر، و الأوّل أشهر. و مات و له سبع و عشرون سنة، و كانت خلافته سبع سنين و شهرين و أياما. و تولّی الخلافة بعده ابنه الآمر بأحكام اللّه منصور. و كان المتصرّف فی دولته و زيره الأفضل سيف الإسلام شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالیّ. فانتظمت أحوال مصر بتدبيره؛ و اشتغل بها عن السواحل الشاميّة حتی استولت الفرنج علی غالبها؛ و ندم علی ذلک حين لا ينفع الندم.

و كان المستعلی حسن الطريقة فی الرعيّة، جميل السيرة فی كافّة الأجناد، ملازما لقصره كعادة أبيه، مكتفيا بالأفضل فيما يريده، إلا أنّه كان مع تقاعده عن الجهاد و تهاونه فی أخذ البلاد متغاليا فی الرّفض و التشيّع؛ كان يقع منه الأمور الشنيعة فی مأتم عاشوراء، و يبالغ فی النّوح و المأتم، و يأمر الناس بلبس المسوح و غلق الحوانيت و اللطم و البكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه، مع أنّ الجميع رافضة، و لكنّ التفاوت نوع آخر.

و أما الذی كان يفعله آباؤه و أجداده من النّوح فی يوم عاشوراء و الحزن و ترتيبه، فإذا كان يوم العاشر من المحرّم احتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار ركب قاضی القضاة و الشهود و قد غيروا زيّهم و لبسوا قماش الحزن، ثم صاروا إلی المشهد الحسينیّ بالقاهرة- و كان قبل ذلک يعمل المأتم بالجامع الأزهر- فإذا جلسوا فيه بمن معهم من الأمراء و الأعيان و قرّاء الحضرة و المتصدّرين فی الجوامع، جاء الوزير فجلس صدرا، و القاضی و داعی الدّعاة من جانبيه، و القرّاء يقرءون نوبة بنوبة، ثم ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة أشعارا يرثون بها الحسن و الحسين و أهل البيت، و تصيح الناس بالضجيج و البكاء و العويل- فإن كان الوزير رافضيّا علی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۴

مذهب القوم تغالوا فی ذلک و أمعنوا، و إن كان الوزير سنّيّا اقتصروا- و لا يزالون كذلک حتّی تمضی ثلاث ساعات، فيستدعون إلی القصر عند الخليفة بنقباء الرسائل؛ فيركب الوزير و هو بمنديل صغير إلی داره، و يدخل قاضی القضاة و الداعی و من معهما إلی باب الذهب (أحد أبواب القصر) فيجدون الدّهاليز قد فرشت مساطبها بالحصر و البسط، و ينصب فی الأماكن الخالية الدكک لتلحق بالمساطب و تفرش؛ و يجدون صاحب الباب جالسا هناک، فيجلس القاضی و الداعی إلی جانبه و الناس علی اختلاف طبقاتهم؛ فيقرأ القرّاء و ينشد المنشدون أيضا. ثم يفرش وسط القاعة بالحصر المقلوبة (ليس علی وجوهها، و إنما تخالف مفارشها)؛ ثمّ يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس و الملوحات و المخلّلات و الأجبان و الألبان الساذجة و الأعسال النّحل و الفطير و الخبز المغيّر لونه بالقصد لأجل الحزن. فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب و صاحب المائدة (يعنی الحاجب و المشدّ) و أدخل الناس للأكل من السّماط. فيدخل القاضی و الداعی و يجلس صاحب الباب ببابه؛ و من الناس من لا يدخل من شدّة الحزن، فلا يلزم أحد بالدخول. فإذا فرغ القوم انفصلوا إلی مكانهم ركبانا بذلک [الزیّ] الذی ظهروا فيه من قماش الحزن. و طاف النّوّاح بالقاهرة فی ذلک اليوم، و أغلق البيّاعون حوانيتهم إلی بعد العصر، و النّوح قائم بجميع شوارع القاهرة و أزقّتها. فإذا فات العصر يفتح الناس دكاكينهم و يتصرّفون فی بيعهم و شرائهم؛ فكان [ذلک] دأب الخلفاء الفاطميّين من أولهم المعزّ لدين اللّه معدّ إلی آخرهم العاضد عبد اللّه. انتهت ترجمة المستعلی. و يأتی بعض أخباره أيضا فی السنين المتعلّقة به علی سبيل الاختصار، كما هو عادة هذا الكتاب.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۸]

السنة الأولى من ولاية المستعلى أحمد على مصر و هى سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة.

فيها اصطلح أهل السّنة و الرافضة ببغداد و عملوا الدعوات و دخل بعضهم إلى بعض.

و فيها قتل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق أبو سعيد السلجوقىّ أخو السلطان ملكشاه. كان أوّلا فى المشرق، فاستنجده أتسز الخوارزمىّ صاحب الشام فقدم دمشق، و قتل أتسز المذكور و استولى على الشام، و امتدّت أيّامه. و هو الذى قتل آق سنقر و بوزان، ثمّ خالف على ابن أخيه بركيا روق بن ملكشاه، و وقع بينهما أمور آخرها فى هذه السنة؛ كانت بينهما وقعة هائلة على الرّىّ. و كان لمّا قتل آق سنقر و بوزان أخذ جماعة من أمرائهما فقتلتهم بين يديه؛ و كان بكجور من أكابر الأمراء، فقتل أولاده بين يديه صبرا، و هرب بكجور إلى بركيا روق. فلمّا انتصر على الرّىّ جاء بكجور إلى السلطان بركياروق و هو يبكى، فقال: قد قتل عمّك أولادى و أنا قاتله بأولادى؛ فقال:

افعل. و كان تش قد وقف بالقلب مقابل ابن أخيه السلطان بركياروق، فقصده الأمير بكجور المذكور و طعنه فألقاه عن فرسه؛ فنزل سنقرجه- و كان أيضا صاحب ثار- فحزّ رأسه، و قيل؛ رماه مملوك بوزان بسهم فى ظهره فوقع منه، و انهزم أصحابه؛ و طيف برأسه. و أسر وزيره فخر الملك علىّ بن نظام الملك، فعفا عنه السلطان بركياروق لأجل أخيه وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك. قلت: كان مؤيّد الملك وزير بركياروق، و فخر الملك وزير تتش، و هما ابنا نظام الملك. ثم وقع أيضا لأولاد تاج الدولة تتش هذا أمور و فتن بعد موت أبيهم؛ و هم رضوان و إخوته، على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۶

و فيها توفّى عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار أبو يوسف القزوينىّ شيخ المعتزلة. كان إماما فى فنون، فسّر القرآن فى سبعمائة مجلّد- و قيل فى أربعمائة، و قيل ثلثمائة- و كان الكتاب وقفا فى مشهد أبى حنيفة رضى اللّه عنه. و كان رحل إلى مصر و أقام بها أربعين سنة. و كان محترما فى الدول، ظريفا، حسن العشرة، صاحب نادرة. قيل: إنّه دخل على نظام الملك الوزير و كان عنده أبو محمد التميمىّ و رجل آخر أشعرىّ، فقال له القزوينىّ: أيّها الصدر قد اجتمع عندك رءوس أهل النار.

قال نظام الملك: و كيف ذلك؟ قال: أنا معتزلىّ، و هذا مشبّه (يعنى التميمىّ) و ذلك أشعرىّ، و بعضنا يكفّر بعضا؛ فضحك النظام. و قيل: إنّه اجتمع مع ابن البراج متكلّم الشّيعة، فقال له ابن البراج: ما تقول فى الشيخين؟ فقال: سفلتين ساقطين. قال: من تعنى؟ قال: أنا و أنت. و كانت وفاة القزوينىّ هذا فى ذى القعدة، و قد بلغ ستّا و تسعين سنة، و دفن بمقابر الخيزران عند أبى حنيفة، رضى اللّه عنه.

و فيها توفّى محمد بن فتوح بن عبد اللّه بن حميد أبو عبد اللّه بن أبى نصر الحميدىّ الأندلسىّ. كان من جزيرة ميورقة. ولد قبيل الأربعمائة، و سمع الكثير و رحل إلى الأقطار ثم استوطن بغداد. و كان مختصّا بصحبة ابن حزم الظاهرىّ، و حمل عنه أكثر كتبه. قال ابن ماكولا: «صديقنا أبو عبد اللّه الحميدىّ من أهل العلم و الفضل، ورد بغداد و سمع أصحاب الدارقطنىّ و ابن شاهين و غيرهم، و سمع منه خلق كثير، و صنّف «تاريخ الأندلس»، و لم أر مثله فى عفّته و نزاهته».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۷

و فيها توفّى منصور [بن نظام الدين] بن نصر الدولة بن مروان صاحب ميّافارقين، و كان استولى على الجزيرة فمات بها، فحمل إلى آمد فدفن بقبّة بنتها له زوجته ستّ الناس بنت عميد الأمّة. و أوّل ولاية بنى مروان لديار بكر فى سنة ثمانين و ثلثمائة، و استولى الوزير ابن جهير على بلادهم سنة تسع و سبعين و أربعمائة، و مات منصور فى هذه السنة. فكانت ولايتهم نيّفا و مائة سنة. و أعيان ملوكهم أوّلهم باد الكردىّ، و بعده مروان و هو جدّهم، ثم بعده ولده أحمد، ثم بعده ولده نظام الدين ثم ولداه سعيد و منصور هذا.

و فيها توفى محمد بن عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن قريش السلطان المعتمد على اللّه أبو القاسم ابن السلطان المعتضد بالله أبى عمرو

ابن الفقيه قاضى إشبيلية ثم سلطانها الظافر ابن المؤيّد بالله أبى العباس بن أبى الوليد اللّحمىّ، من ولد النّعمان بن المنذر صاحب الحيرة. كان المعتمد هذا صاحب إشبيلية و قرطبة. و أصلهم من بلد العريش التى كانت فى أوّل رمل مصر. و كان المعتمد عالما ذكيا شاعرا عادلا فى الرعيّة، كان من محاسن الدنيا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۸

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۸۹]

السنة الثانية من ولاية المستعلى أحمد على مصر و هى سنة تسع و ثمانين و أربعمائة.

فيها حكم المنجّمون بأن يكون طوفان مثل طوفان نوح عليه السلام. فسأل الخليفة ابن عيسون المنجّم، فقال: أخطأ المنجّمون، طوفان نوح قد اجتمع فى برج الحوت الطوالع السبعة، و الآن قد اجتمع فيه ستة، زحل لم يجتمع معها؛ و لكنّى أقول: إنّ بقعة من البقاع يجتمع بها عالم من بلاد كثيرة فيغرقون. فقيل:

ما ثمّ أكبر من بغداد، و يجتمع فيها ما لا يجتمع فى غيرها، و ربّما كانت هى؛ فقال ابن عيسون: لا أدرى غير ما قلت. فأمر الخليفة بإحكام المسنّيات و سدّ الفروج، و كان الناس يتوقّعون الغرق؛ فوصل الخبر بأن الحاج نزلوا فى واد عند نخلة، فأتاهم سيل عظيم و أخذ الجميع بالجمال و الرجال، و ما نجا منهم إلّا من تعلّق برءوس الجبال. فخلع الخليفة على ابن عيسون و أجرى له الجراية و أمن الناس.

و فيها ورد كتاب المستعلى صاحب مصر و كتاب وزيره الأفضل أمير الجيوش إلى رضوان بن تتش السلجوقىّ بالدخول فى الطاعة. فأجاب و خطب للمستعلى صاحب الترجمة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۵۹

و فيها خرج العسكر المصرىّ إلى الساحل و نزل على صور و فتحوها عنوة، و أخذوا منها أموالا عظيمة، و كان بها رجل يعرف بالكتيلة، فأسر و حمل إلى مصر.

و فيها سار الأفضل أمير الجيوش المذكور من مصر بالعساكر إلى القدس، و كان به سكمان بن أرتق و أخوه ايلغازى؛ فحصّر البلد و نصب عليها المجانيق و قاتلهم أربعين يوما؛ و أرسل أهل القدس فواطئوه على فتح الباب، و طلبوا منه الأمان فأمّنهم و فتحوا له الباب، و خرج سكمان من باب آخر و مضى إلى الرّها، و مضى أخوه ايلغازى إلى بغداد. و هما أول ملوك الارتقيّة ظهورا.

و فيها تواترت الأخبار بخروج ملك الروم من بلاد الروم بقصد البلاد الشاميّة.

و فيها قتل رضوان بن تاج الدولة تتش السلجوقىّ و قتل ولده و نهبت داره.

و كان ظالما فاتكا. كان استوزر أبا الفضل بن الموصلىّ مشيّد الدين.

و فيها توفّى عبد اللّه بن إبراهيم بن عبد اللّه أبو حكيم الخيرىّ- و خير: إحدى بلاد فارس- و هو جدّ [أبى] الفضل بن ناصر لأبيه. تفقّه على أبى إسحاق الشيرازىّ و برع فى الفرائض، و له فيها مصنّف. و كان فقيها صالحا حسن الطريقة.

و فيها توفّى عبد الرزّاق بن عبد اللّه بن المحسّن أبو غانم التّنوخىّ المعرّىّ. كان فاضلا شاعرا. و من شعره فى كوز فقّاع:

[الوافر]

و محبوس بلا ذنب جناه له سجن بباب من رصاص

يضيّق بابه خوفا [عليه] و يوثق بعد ذلك بالعفاص

إذا أطلقته خرج أرتقاصا و قبل فاک من فرح الخلاص

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۰

و فیها توفّی منصور بن محمد بن عبد الجبّار الشیخ أبو المظفّر السمعانیّ، جدّ أبی سعد عبد الکریم بن محمد بن منصور صاحب «الذیل». و کان أبو المظفّر هذا من أهل مرو، و تفقّه علی مذهب أبی حنیفة حتی برع، ثمّ ورد بغداد و انتقل لمذهب الشافعیّ لمعنی من المعانی، و رجع إلی بلده فلم یقبلوه و قام علیه العوامّ، فخرج إلی طوس، ثم قصد نیسابور. و صنّف «التفسیر» و «البرهان» و «الاصطلام» و «القواطع فی أصول الفقه» و غیر ذلک. و مات فی شهر ربیع الأول بمرو.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثلاث عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۰]

السنة الثالثة من ولایة المستعلی أحمد علی مصر و هی سنة تسین و أربعمائة.

فیها أخذت الفرنج نیقیة و هی أوّل بلد أخذوه، ثم [فتحوا حصون الدورب] شیئا بعد شیء، کما ذکرناه مفصّلا فی أوّل ترجمة المستعلی هذا.

و فیها توفّی المعمّر بن محمد بن المعمّر بن أحمد بن محمد أبو الغنائم الحسینیّ الطاهر ذو المناقب نقیب الطالبیّین. مات بالکرخ، فحمل إلی مقابر قریش فدفن بها. و کان من کبار الشیعة. و ولی النقابة بعده ولده أبو الفتوح حیدرة، و لقّب بالرضیّ ذی الفخرین.

و فیها توفّی نصر بن إبراهیم بن نصر بن إبراهیم أبو الفتح الفقیه القدسیّ الشافعیّ.

أصله من نابلس، و أقام بالقدس مدّة و درس بها. و کان فقیها عابدا زاهدا و رعا.

مات فی المحرّم من هذه السنة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۱

و فیها توفّی یحیی بن أحمد السّیبیّ. مات فی شهر ربیع الآخر و عاش مائة و ثلاثا و خمسین سنة و ثلاثة أشهر و أیاما، و کان صحیح الحواسّ، یقرأ علیه القرآن، و یسمع الحدیث، و رحل الناس إلیه. و کان ثقة صالحا صدوقا.

و فیها قتل الملک أرسلان أرغون بن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود بن میکائیل بن سلجوق بن دقماق السلجوقیّ بمرو، کان قد حکم علی خراسان. و سبب قتله أنه کان مؤذیا لغلمانه جبّارا علیهم؛ فوثب علیه رجل منهم فقتله بسکّین. و کان قد ملک مرو و نیسابور و بلخ و ترمذ، و أساء السیرة و خرّب أسوار مدن خراسان، و صادر وزیره عماد الملک بن نظام الملک، و أخذ منه ثلثمائة ألف دینار ثم قتله.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و إحدی عشرة إصبعا. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۱]

السنة الرابعة من ولایة المستعلی أحمد علی مصر و هی سنة إحدی و تسعین و أربعمائة.

فیها تواترت الشّکایات من الفرنج، و کتب السلطان برکیاروق السلجوقیّ إلی العساکر یأمرهم بالخروج مع عمید الدولة للجهاد، و تجهّز سیف الدولة صدقة، و بعث مقدّماته إلی الأنبار. ثمّ وردت الأخبار إلی بغداد بأنّ الفرنج ملکوا أنطاکیة و ساروا إلی معرّة

النعمان فی ألف ألف إنسان، فقتلوا و سبوا، حسب ما ذكرنا فی أول ترجمة المستعلی هذا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۲

و فيها عزل السلطان بركياروق و زيره مؤيّد الملك بن نظام الملك عن وزارته، و استوزر أخاه فخر الملك. و كان مؤيّد الملك فی غاية من العقل و الفضل و حسن التدبير؛ و فخر الملك بعكس ذلك كلّه. فلحق مؤيّد الملك بأخی بركياروق محمد بن ملكشاه، و أطمعه فی الملك. و كان عزل مؤيد الملك بإشارة [مجد الملك] القمّی المستوفی.

و فيها خرج محمد بن ملكشاه المذكور على أخيه بركياروق. و كان لملكشاه عدّة أولاد، منهم بركياروق السلطان بعده و أمّه زبيدة، و محمود و أمه خاتون، و محمد شاه هذا الذی خرج، و سنجر؛ و محمد و سنجرهما أخوان لأب و أم. و كان محمد هذا رباه أخوه بركياروق و أقطعه كنجة و أعمالها، و رتّب معه شخصا كالأتابک، و اسمه أيضا محمد؛ فوثب عليه محمد شاه و قتله لكونه كان يحجر عليه، و لا يبتّ أمرا حتى يراجع بركياروق. و وافق ذلك مجیء مؤيّد الملك بن نظام الملك إليه، فجرت له مع أخيه بركياروق حروب و وقائع.

و فيها توفّی طرّاد بن محمد بن علیّ أبو الفوارس الزينبیّ العبّاسیّ الهاشمیّ. هو من ولد زينب بنت سليمان بن علیّ بن عبد اللّه بن عباس. ولد سنة ثمان و تسعين و ثلثمائة، و سمع الكثير، و رحل الناس إليه من الأقطار، و أملی بجامع المنصور، و حجّ سنة تسع و ثمانين و أربعمائة، و أملی بمكة و المدينة، و ولی نقابة العباسيّين بالبصرة، و كانت له رياسة و جلالة. و مات فی شوّال و قد جاوز تسعين سنة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۳

و فيها توفّی نصر بن علیّ بن المقلّد بن نصر بن منقذ أبو المرهف الكنانیّ عزّ الدولة. ملك شيزر بعد أبيه، و قام بتربية إخوته أحسن قيام. و فيه يقول أبوه علیّ بن المقلّد من قصيدة:

[الطويل]

جزى اللّه نصرا خير ما جزيت به رجال قضوا فرض العلا و تنفلّوا

و منها:

سألقاك يوم الحشر أبيض واضحا و أشكر عند اللّه ما كنت تفعل

و منها:

إلى اللّه أشكو من فراقك لوعة توقّد فی الأحشاء ثم ترحّل

و من شعر نصر هذا:

[الخفيف]

كنت أستعمل البياض من الأم شاط عجبا بلمّی و شبابی

فاتّخذت السواد فی حالة الشّی ب سلوّا عن الصّبا بالتّصابی

و فيها توفی الحافظ أبو العباس أحمد بن بشرويه الأصبهانیّ الإمام المحدّث.

مات و له ست و تسعون سنة. و كان إماما حافظا، سمع الحديث و روى عنه غير واحد، و كان من أئمة المحدّثين. رحمه اللّه تعالى.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانی عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانی عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۲]

السنة الخامسة من ولاية المستعلى أحمد على مصر و هى سنة اثنتين و تسعين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۴

فيها استولى الفرنج على بيت المقدس فى يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، حسب ما ذكرناه فى ترجمة المستعلى هذا.

و فيها توفّى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة و غيرها من بلاد الهند. كان ملكا عادلا منصفا منقادا إلى الخير كثير الصدقات، كان لا يبنى لنفسه مكانا حتى يبنى للّه مسجدا أو مدرسة. قال الفقيه أبو الحسن الطّبرى.

أرسلنى إليه بركياروق فى رسالة، فرأيت فى مملكته ما لا يتأتّى وصفه. و مات فى شهر رجب و قد جاوز السبعين، و أقام ملكا نيّفا و أربعين سنة.

و فيها توفّى الشيخ عبد الباقى بن يوسف بن علىّ بن صالح أبو تراب المراغىّ الفقيه الشافعىّ. كان إماما فقيها زاهدا مدرّسا. مات فى ذى القعدة عن اثنتين و تسعين سنة، و قد انتهت إليه رياسة العلم بنيسابور.

و فيها توفّى علىّ بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضى أبو الحسن الموصلىّ الأصل المصرىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بالخلعىّ. ولد بمصر فى أوّل سنة خمس و أربعمائة، و سمع الحديث الكثير و رواه، و كان مسند الديار المصريّة فى وقته.

و مات فى ذى الحجة.

و فيها توفّى الحافظ أبو القاسم مكىّ بن عبد السلام الرّميلىّ ببيت المقدس شهيدا حين أخذته الفرنج فى شعبان، و استشهد به عالم لا يحصى. و كان إماما محدّثا حافظا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۳]

السنة السادسة من ولاية المستعلى أحمد على مصر و هى سنة ثلاث و تسعين و أربعمائة.

فيها عادت الخطبة ببغداد باسم بركياروق بعد الخليفة، و كان بطل اسمه و خطب لأخيه محمد شاه؛ و هذا بعد أن وقع بينهما حروب إلى أن ملك بركياروق و أخرج أعوان محمد شاه من بغداد.

و فيها توفّى عبد اللّه بن أحمد بن علىّ بن صابر أبو القاسم السلمىّ الدمشقىّ و يعرف بابن سيدة. ولد سنة اثنتين و خمسين و أربعمائة، و مات فى شهر ربيع الآخر بدمشق. و أنشد:

[الوافر]

صبرا لحكمك أيّها الدهر لك أن تجور و منّى الصبر

آليت لا أشكوك مجتهدا حتى يردّك من له الأمر

و فيها توفّى محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس أبو الفتيان الأمير الشاعر.

ولد سنة إحدى و أربعمائة، و هو من بيت الفضل و العلم و الرياسة. و مات فى شهر رجب و قد جاوز تسعين سنة. و من شعره من قصيدة أوّلها:

[الطويل]

لكم أن تجوروا معرضين و تغضبوا و عادتكم أن تزهدوا حين تغضبوا

جنيتم علينا و اعتذرنا إليكم و لو لا الهوى لم يسأل الصّفح مذنب

و فيها توفّى الوزير محمد بن محمد [بن محمد] بن جهير الصاحب شرف الدين عميد الدولة. كان حسن التدبير، كافيا فى المهام، شجاعا جوادا عظيما فى الدول. و زر للخليفة القائم، ثم من بعده للمقتفى فعزله بأبى شجاع، ثم أعاده المستظهر فدبّر أموره ثمانى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۶

سنين و أحد عشر شهرا و أربعة أيام. و كان له ترسّل بديع، و توقيعات و جيزة و أشعار رقيقة. و مدحه شعراء عصره؛ و فيه يقول أبو منصور علىّ بن الحسن المعروف بصرّدرّ الشاعر قصيدته العينية المشهورة التى أوّلها:

[الكامل]

قد بان عذرك و الخليط مودّع و هوى النفوس مع الهوادج يرفع

و فيها توفّى يحيى بن عيسى بن جزلة أبو علىّ المتطبّب صاحب «المنهاج» فى الطب. كان نصرانيّا يقرأ على أبى علىّ بن الوليد المعتزلىّ، فلم يزل يدعوه إلى الإسلام حتى أسلم و حسن إسلامه. و استخدمه أبو عبد اللّه الدامغانى قاضى القضاء فى كتب السّجلّات. و كان يطبّ أهل محلّته بغير عوض، و يعود الفقراء و يحسن إليهم. و وقف كتبه على مشهد أبى حنيفة- رضى اللّه عنه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم عشر أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۴]

السنة السابعة من ولاية المستعلى أحمد على مصر و هى سنة أربع و تسعين و أربعمائة.

فيها قتل السلطان بركياروق خلقا من الباطنية، و كانوا ثلثمائة و نيّفا، و كتب إلى الخليفة بالقبض على من اتّهم أنّه منهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۷

و فيها التقى بركياروق مع أخيه محمد شاه، و كان مع محمد شاه خمسة عشر ألفا، و مع بركياروق خمسة و عشرون ألفا؛ فاقتتلوا قتالا شديدا، قتل من الفريقين عدّة كبيرة؛ فانهزم محمد شاه و هرب وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك، فتبعه غلمان بركياروق و أخذوه و جاءوا به إلى بركياروق، فقام و ضرب عنقه بيده. و مضى محمد شاه و استجار بأخيه سنجر شاه؛ فأرسل سنجر شاه إلى بركياروق يسأله فيه؛ فقال بركياروق: لا- بدّ أن يطأ بساطى. ثم وقع أمور؛ و انتصر سنجر شاه لأخيه محمد شاه، و لا زال حتّى دخل محمد بغداد و خالب له بها، و توجّه بركياروق إلى واسط.

و فيها أخذ الفرنج جبلة من بلاد الساحل و أرسوف و قيساريّة بالسيف.

و فيها توفّى محمد بن منصور أبو سعد شرف الملك المستوفى الخوارزمىّ. كان جليل القدر فاضلا نبيلا متعصّبا لأصحاب أبى حنيفة- رضى اللّه عنه- و هو الذى بنى على أبى حنيفة القبّة و المدرسة الكبيرة بباب الطّاق- و قد قدّمنا ذكره فى وفاة أبى حنيفة فى هذا الكتاب- و بنى أيضا مدرسة بمرو، و وقف فيها كتبا نفيسة، و بنى الرّباطات فى المفاوز، و عمل خيرات كثيرة. ثم انقطع فى آخر عمره. و بذل لملكشاه مائة ألف دينار حتى أعفاه من الخدمة. و مات بأصبهان فى جمادى الآخرة.

و فيها قتل أبو المحاسن وزير بركياروق. كان قد نقم على أبى سعيد شيئا فقتله؛ فركب بعد ذلك و سار على باب أصبهان، فوثب عليه غلام أبى سعيد الحدّاد فقتله و أخذ بثأر أستاذه. فأمر بركياروق بسلخ الغلام فسلخ و علّق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۸

و فيها توفّى الشيخ أبو الحسن علىّ بن أحمد بن الأخرم المدينىّ المؤذّن. كان إماما محدّثا فاضلا. مات فى المحرّم و له تسع و ثمانون

سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۵]

اشارة

السنة التى حكم فى أوّلها المستعلى أحمد ثم الآمر ولده، و هى سنة خمس و تسعين و أربعمائة.

فيها جلس الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسىّ لمحمد شاه و سنجر شاه ابنى ملكشاه جلوسا عامّا و دخلا عليه و قبلا الأرض له، فأدناهما و أفاض عليهما الخلع، و توّجهما و طوّقهما و سوّرهما، و قرأ الخليفة: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً...

الآية. ثم خرجا إلى قتال أخيهما بركياروق؛ فوقع بينهما وقائع و حروب أسفرت عن نصرة بركياروق و انهزام محمد شاه.

و فيها قبض بركياروق على الكيا الهرّاسىّ الفقيه الشافعىّ، لأنه بلغه عنه أنه باطنىّ شيعىّ؛ فكتب الخليفة إليه ببراءة ساحته و حسن عقيدته و دينه، فأطلقه.

و فيها كانت وفاة صاحب الترجمة المستعلى بالله أحمد، كما تقدّم ذكره فى ترجمته.

و فيها توفّى حسين بن ملاعب جناح الدولة صاحب حمص. كان أميرا مجاهدا شجاعا يباشر الحروب بنفسه. دخل جامع حمص يوم الجمعة فصلّى الجمعة، فوثب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۶۹

عليه ثلاثة من الباطنيّة فقتلوه. و كان سبب قتله أنه كان عند رضوان بن تتش ملك حلب منجّم باطنىّ، و هو أوّل من أظهر مذهب الباطنيّة بالشام، فندب لقتل جناح الدولة هذا أولئك النفر. ثمّ قتل المنجم بحلب بعد ذلک بأربعة عشر يوما.

و فيها توفّى الشيخ أبو العلاء صاعد بن سيّار الكنانىّ الهروى الفقيه العالم المشهور.

كان إماما فقيها مفتيا مدرّسا صالحا ثقة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۰

ذكر ولاية الآمر بأحكام اللّه على مصر

الآمر اسمه منصور، و كنيته أبو علىّ، و لقبه الآمر بأحكام اللّه بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر اللّه منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين اللّه معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر اللّه محمد بن المهدىّ عبيد اللّه العبيدىّ الفاطمىّ السابع من خلفاء مصر من بنى عبيد و العاشر منهم ممن ملك بالمغرب.

قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدّين محمد الذهبىّ فى تاريخ الإسلام: «كان رافضيّا كآبائه فاسقا ظالما جبّارا متظاهرا بالمنكر و اللّهو، ذا كبر و جبروت، و كان مدبّر سلطانه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش. ولى الآمر و هو صبىّ فلما كبر قتل الأفضل و أقام فى الوزارة المأمون أبا عبد اللّه محمد بن مختار بن فاتک البطائحىّ، فظلم و أساء السّيرة إلى أن قبض عليه الآمر سنة تسع عشرة و خمسمائة، و صادره ثم قتله فى سنة اثنتين و عشرين و صلبه، و قتل معه خمسة من إخوته. و فى أيّام الآمر أخذ الفرنج عكّا سنة سبع و تسعين و

أربعمائة، و أخذوا طرابلس فى سنة اثنتين و خمسمائة، فقتلوا و سبوا، و جاءتها نجدة المصريّين بعد فوات المصلحة؛ و أخذوا عرقة و بانياس.

و تسلّموا فى سنة إحدى عشرة و خمسمائة تبنين و تسلمّوا صور سنة ثمانى عشرة، و أخذوا بيروت بالسيف فى سنة ثلاث و خمسمائة، و أخذوا صيداء سنة أربع و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۱

ثم قصد الملك بردويل الإفرنجىّ مصر ليأخذها، و دخل الفرما و أحرق جامعها و مساجدها؛ فأهلكه اللّه قبل أن يصل إلى العريش. فشقّ أصحابه بطنه و صبرود، و رموا حشوته هناك؛ فهى ترجم إلى اليوم بالسبخة، و دفنوه بقمامة. و هو الذى أخذ بيت المقدس و عكا و عدّة حصون من السواحل. و هذا كله بتخلّف هذا المشئوم الطلعة. و فى أيّامه ظهر ابن تومرت بالغرب.

و ولد الآمر فى أوّل سنة تسعين و أربعمائة، و استخلف و له خمس سنين، و بقى فى الملك تسعا و عشرين سنة و تسعة أشهر، إلى أن خرج من القاهرة يوما فى ذى القعدة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۲

و عدّى على الجسر إلى الجزيرة؛ فكمن له قوم بالسلاح. فلما عبر نزلوا عليه بأسيافهم، و كان فى طائفة يسيرة، فردّوه إلى القصر و هو مثخن بالجراح، فهلك من غير عقب. و هو العاشر من أولاد المهدىّ عبيد اللّه الخارج بسجلماسة و بايعوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۳

بالآمر ابن عمه الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله. و كان الآمر ربعة، شديد الأدمة، جاحظ العينين، حسن الخط، جيدّ العقل و المعرفة.

و قد ابتهج بقتله لفسقه و سفكه للدماء و كثرة مصادرته و استحسانه الفواحش.

و عاش خمسا و ثلاثين سنة. و بنى وزيره المأمون بالقاهرة الجامع الأقمر». انتهى كلام الذهبىّ برمّته. و نذكر إن شاء اللّه قتله و أحواله بأوسع مما قاله الذهبىّ من أقوال جماعة من المؤرّخين أيضا.

و قال العلّامة أبو المظفّر فى مرآة الزمان: «لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذى القعدة خرج من القاهرة (يعنى الآمر) و أتى الجزيرة و عبر بعض الجسر، فوثب عليه قوم فلعبوا عليه بالسيوف- و قيل: كانوا غلمان الأفضل- فحمل فى مركب إلى القصر فمات فى ليلته، و عمره أربع و ثلاثون سنة- و زاد غيره فقال: و تسعة أشهر و عشرون يوما- و كانت أيّامه أربعا و عشرين سنة و شهرا.

قلت: و هم صاحب مرآة الزمان فى قوله: «و كانت مدّته أربعا و عشرين سنة و شهرا». و الصواب ما قاله الذهبىّ، فإنّه وافق فى ذلك جمهور المؤرخين.

و لعل الوهم يكون من الناسخ. و ما آفة الأخبار إلّا رواتها.

قال (أعنى صاحب مرآة الزمان): و مولده سنة تسعين و أربعمائة. قلت:

و زاد غيره و قال: فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرّم. قال: و كانت سيرته قد ساءت بالظلم و العسف و المصادرة. قال: و لمّا قتل الامر وثب غلام له أرمنىّ فاستولى على القاهرة، و فرّق الأموال فى العساكر، و أراد أن يتأمر على الناس؛ فخالفه جماعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۴

و مضوا إلى أحمد بن الأفضل (يعنى الوزير) فعاهدوه و جاءوا به إلى القاهرة، فخرج الغلام الأرمنىّ فقتلوه، و ولّوا أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، و ولى الخلافة، و لقّبوه بالحافظ؛ و وزر له أبو علىّ أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش، و سمّاه أمير الجيوش. فأحسن إلى الناس، و أعاد إليهم ما صادرهم به الآمر و أسقطه؛ فأحبّه الناس؛ فحسده مقدّمو الدولة فاغتالوه. و قيل: إنّ الآمر لم يخلّف ولدا و ترك امرأة حاملا؛ فماج أهل مصر و قالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلّا و يخلّف ولدا ذكرا، منصوصة عليه

الإمامة؛ و كان قد نصّ على الحمل قبل موته، فوضعت الحامل بنتا، فعدلوا إلى الحافظ؛ و انقطع النّسل من الآمر و أولاده. و هذا مذهب طائفة من شيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار.

و كان نقش خاتم الآمر هذا «الآمر بأحكام اللّه أمير المؤمنين». و ابتهج الناس بقتله.

انتهى كلام صاحب مرآة الزمان أيضا برمّته.

قلت: و نذكر إن شاء اللّه قتلة الآمر هذا بأوسع من هذا فى آخر ترجمته بعد أن نذكر أقوال المؤرّخين فى أمره.

و قال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان- رحمه اللّه-:

«و كان الآمر سيّئ الرأى جائر السّيرة مستهترا متظاهرا باللّهو و اللّعب. و فى أيّامه أخذت الفرنج مدينة عكّا- ثم ذكر ابن خلّكان نحوا ممّا ذكره الذهبيّ من أخذ الفرنج للبلاد الشامية. إلى أن قال: - خرج من القاهرة (يعنى الآمر) صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة سنة أربع و عشرين و خمسمائة، و نزل إلى مصر و عدّى على الجسر إلى الجزيرة التى قبالة مصر (يعنى الرّوضة)؛ فكمن له قوم بالأسلحة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۵

و تواعدوا على قتله فى السكّة التى يمرّ بها. فلمّا مرّ بها و ثبوا عليه و لعبوا عليه بالسيوف، و كان قد جاوز الجسر وحده فى عدّة قليلة من غلمانه و بطانته و خاصّته و شيعته، فحمل فى زورق فى النيل و لم يمت، و أدخل القاهرة و هو حىّ و جىء به إلى القصر فمات من ليلته، و لم يعقب. و كان قبيح السّيرة، ظلم الناس و أخذ أموالهم، و سفك الدماء، و ارتكب المحظورات، و استحسن القبائح، و ابتهج الناس بقتله».

انتهى كلام ابن خلّكان.

و قيل: إنّ الآمر كان فيه هوج عند طلوعه المنبر فى خطبته فى الجمع و الأعياد، فاستحيا وزيره المأمون بن البطائحىّ أن يشافهه بما يقع له من الهوج؛ و أراد أن يفهمها له من غير مشافهة، فقال له: يا مولانا، قد مضى من الشهر أيّام و لم يبق إلا الرّكوب إلى الجمعة الأولى- قلت: و قد تقدّم فى ترجمة المعزّ لدين اللّه ترتيب خروج الخلفاء الفاطميّين إلى صلاة الجمعة- و يصلّوا بالناس ثلاث جمع، و الجمعة الأخيرة من كلّ شهر يصلّى بالناس الخطيب و تسمّى تلك الجمعة جمعة الراحة (أعنى يستريح فيها الخليفة). و نستطرد فى هذه الترجمة أيضا لذكر شىء من ذلك مما لم نذكره فى ترجمة المعزّ. قال الوزير: يا مولانا، و بعد غد جمعة الراحة، فإن حسن فى الرأى أن يخرج مولانا بحاشيته خاصّة من باب النوبة إلى القصر النافعىّ فما فيه سوى عجائز و قرائب و ألزام، و يجلس مولانا على القبّة التى على المحراب قبالة الخطيب ليشاهد نائبه فى الخطابة كيف يخطب، فإنّه رجل شريف فصيح اللّسان حافظ القرآن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۶

فأجابه الخليفة الآمر إلى ذلك. و لمّا حضر الجامع و جلس فى القبّة و فتح الرّوشن و قام الخطيب فخطب، فهو فى الصلاة على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى الخطبة الثانية و إذا بالهوى قد فتح الطاق فرفع الخطيب رأسه فوقع وجهه فى وجه الخليفة فعرفه فأرتج عليه و ارتاع و لم يدر ما يقول، حتّى فتح عليه فقال: معاشر المسلمين، نفعكم اللّه و إيّاى بما سمعتم، و عن الضلال عصمكم. قال اللّه تعالى فى كتابه العزيز:

وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ ... إلى آخر الآية، و صلّى بالناس. فلما انفصل المجلس تكلم الآمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب. فانفتح الكلام للوزير و تكلّم فيما كان بصدده، فرجع الآمر عن الخطابة و استناب وزيره المذكور؛ فصار الوزير يخطب بجامع القاهرة و جامع ابن طولون و جامع مصر.

و قال ابن أبى المنصور فى تاريخه: إنّ ابتداء خطبة الوزير المأمون كانت فى شهر رمضان سنة خمس و ثمانين؛ و ترك الآمر الخطابة مع ما كان له فى ذلك من الرغبة الزائدة، حتّى إنّه كان اقترح أشياء أخرى فى خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت آباؤه تفعله،

غير أنّه كان يخطب فى الأعياد بعد ما استناب وزيره المأمون ابن البطائحىّ فى خطبة الجمع. فكان الآمر إذا خرج فى خطبة العيد خرج إلى المصلّى، و يخرجون قبله، على العادة السابقة المذكورة فى ترجمة المعزّ، بالفرش و الآلات، و علّق بالمحاريب الشروب المذهبة، و فرش فيه ثلاث سجّادات متراكبة، و بأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظّمة، و هى قطعة من حصير، ذكر أنّها كانت من حصير لجعفر الصادق- رضى اللّه عنه- و كانت مما أخذه الحاكم بأمر اللّه عند فتح دار جعفر الصادق. ثم تغلق الأبواب الثلاثة التى بجنب القبّة التى فى صدرها المحراب.

قلت: و الذى ذكرناه فى ترجمة المعزّ لدين اللّه كانت صلاته بالجامع الأزهر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۷

و الآمر هذا كانت صلاته فى الجمعة بالجامع الحاكمىّ، و فى العيد بالمصلّى.

و نذكر أيضا هيئة خروج الامر إلى الجامع بنحو ما ذكرناه هناك و زيادة أخرى لم نذكرها؛ فبهذا المقتضى يكون للإعادة نتيجة. قال: ثمّ تفرش أرض القبّة المذكورة جمعيا بالحصر المحاريب المبطّنة، ثم تعلّق الستور بالمحراب و جانبى المنبر، و يفرش درجه، و ينصب اللواءان و يعلّقان عليه، و يقف متولّى ذلك و القاضى تحت المنبر، و يطلق البخور، و يتقدّم الوزير بألّا يفتح الباب أحد، و هو الباب الذى يدخل الخليفة منه و يقف عليه، و يقعد الداعى فى الدّهليز، و يقرأ المقرئون بين يديه، و يدخل الأمراء و الأشراف و الشهود و الشيوخ، و لا يدخل غيرهم إلّا بضمان من الداعى. فإذا استحقّت الصلاة أقبل الخليفة فى زيه الذى ذكرناه فى ترجمة المعزّ لدين اللّه و قضيب الملك بيده، و جميع إخوته و بنو عمّه فى ركابه. فعند ذلك يتلقّاه المقرئون و يرجع من كان حوله من بنى عمه و إخوته. و يخرج من باب الملك إلى أن يصل إلى باب العيد، فتنشر المظلّة عليه- و قد ذكرنا أيضا زىّ المظلّة فى ترجمة المعزّ- و يترتّب الموكب فى دعة لا يتقدّم أحد و لا يتأخّر عن مكانه، و كذلك وراء الموكب العماريات- هم عوض المحفّات- و الزّرافات و الفيلة و الأسود عليها الأسرّة مزيّنة بالأسلحة. و لا يدخل من باب المصلّى أحد راكبا إلا الوزير خاصّة، ثم يدخل الباب الثانى فيترجّل الوزير و يتسلّم شكيمه فرس الخليفة حتّى ينزل الخليفة و يمشى إلى المحراب، و القاضى و الداعى عن يمينه و يساره يوصّلان التكبير لجماعة المؤذّنين. و كاتب الدّست و جماعة الكتّاب يصلّون تحت عقد المنبر، لا يمكن غيرهم أن يكون معهم. و يكبّر فى الأولى سبعا و فى الثانية خمسا على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۸

سنّة القوم، ثم يطلع الوزير ثمّ يسلّم الدعو القاضى، فيستدعى من جرت عادته بطلوع المنبر، و كلّ لا يتعدّى مكانه. ثم ينزل الخليفة بعد الخطبة و يعود فى أحسن زىّ على هيئة خروجه من رحبة باب العيد حتّى يأكل الناس السّماط. و قد ذكرنا كيفيّة السّماط و زىّ لبس الخليفة و المظلّة و صفة ركوبه و طلوعه إلى المنبر و نزوله، فى ترجمة المعزّ لدين اللّه أوّل خلفائهم، فينظر هناك من هذا الكتاب.

قلت: و كان الآمر يتناهى فى العظمة و يتقاعد عن الجهاد. و ما قاله الذهبىّ فى ترجمته فبحقّ؛ فإنّه مع تلك المساوى التى ذكرت عنه كان فيه تهاون فى أمر الغزو و الجهاد حتّى استولت الفرنج على غالب السواحل و حصونها فى أيّامه، و إن كان وقع لأبيه المستعلى أيضا ذلك و أخذ القدس فى أيامه فإنّه اهتمّ لقتال الفرنج و أرسل [الأفضل بن] بدر الجمالىّ أمير الجيوش بالعساكر، فوصلوا بعد فوات المصلحة بيوم. فكان له فى الجملة مندوحة، بخلاف الآمر هذا، فإنّه لم ينهض لقتال الفرنج البتّة، و إن كان أرسل مع الأسطول عسكرا فهو كلا شيء. و سنبيّن ذلك عند استيلاء الفرنج على طرابلس و غيرها على سبيل الاختصار فى هذا المحلّ، فنقول:

أوّل ما وقع فى أيّامه من طمع الفرنج فى البلاد فإنّهم خرجوا فى أوّل سنة سبع و تسعين و أربعمائة من الرّهاء، و انقسموا قسمين، قسم قصد حرّان، و قسم قصد الرّقّة. فالذى توجّه إلى الرّقّة خرج لهم سكمان بن أرتق صاحب ماردين، و كان سالم بن بدر العقيلىّ فى بنى عقيل، و قد نزلوا على رأس العين، فخرج بهم سكمان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۷۹

المذکور، و التقوا مع الفرنج و اقتتلوا قتالا شدیدا أسر فیه سالم بن بدر المذکور، ثم کانت الدائرة علی الفرنج، فانهزموا و قتل منهم خلق کثیر. و القسم الآخر من الفرنج الذی قصد حرّان و البلاد الشامیّة لم ینهض لقتالهم و صالحهم ابن عمّار قاضی طرابلس و صاحبها و هادنهم، علی أن یکون لصنجیل ملک الفرنج ظاهر البلد، و ألّا یقطع المیرة عنها و أن یکون داخل البلد لابن عمّار. و هلک فی أثناء ذلک صنجیل المذکور ملک الروم. و لم ینهض أحد من المصریّین لقتال المذکورین.

فعلمت الفرنج ضعف من بمصر. ثم بعد ذلک فی سنة اثنتین و خمسمائة قصد الفرنج طرابلس و أخذوها، بعد أن اجتمع علیها ملوک الفرنج مع ریمند بن صنجیل المقدّم ذکره فی ستین مرکبا فی البحر مشحونة بالمقاتلة؛ و طنکری الفرنجیّ صاحب أنطاکیة، و بغدوین الفرنجیّ صاحب القدس بمن معهم، جاءوا من البرّ و شرعوا فی قتالها و ضایقوها من أوّل شعبان إلی حادی عشر ذی الحجّة، و أسندوا أبراجهم إلی سور البلد. فلمّا رأی أهل طرابلس ذلک أیقنوا بالهلاک مع تأخّر أسطول مصر عنهم. ثم حضر أسطول مصر من البحر. و صار کلّما سار نحو البلد ردّه الفرنج إلی نحو مصر.

قلت: و من هذا یظهر عدم اکتراث أهل مصر بالفرنج من کلّ وجه. الأوّل:

من تقاعدهم عن المسیر فی هذه المدّة الطویلة. و الثانی: لضعف العسکر الذی أرسلوه مع أسطول مصر، و لو کان لعسکر الأسطول قوّة لدفع الفرنج من البحر عن البلد علی حسب الحال. و الثالث: لم لا خرج الوزیر الأفضل بن أمیر الجیوش بالعساکر المصریة کما کان فعل والده بدر الجمالیّ فی أوائل الأمر. هذا مع قوّتهم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۰

من العساکر و الأموال و الأسلحة. فللّه الأمر من قبل و من بعد. و للّه درّ السلطان صلاح الدین یوسف بن أیّوب فیما فعله فی أمر الجهاد و فتح البلاد، کما یأتی ذلک کلّه إن شاء اللّه مفصّلا فی وقته و ساعته فی ترجمة السلطان صلاح الدین- رحمه اللّه-.

ثمّ إنّ الفرنج لما علموا بحال أهل طرابلس و تحقّقوا أمرهم حملوا حملة رجل واحد فی یوم الاثنین حادی عشر ذی الحجة و هجموا علی طرابلس، فأخذوها و نهبوها و أسروا رجالها و سبوا نساءهم و أخذوا أموالها و ذخائرها؛ و کان فیها ما لا یحصی و لا یحصر و اقتسموها بینهم. و طمعوا فی الغنائم، فساروا إلی جبلة و بها فخر الملک ابن عمّار الذی کان صاحب طرابلس و قاضیها، و تسلّموها منه بالأمان فی ثانی عشر ذی الحجّة فی یوم واحد، و خرج منها ابن عمّار سالما. ثم وصل بعد ذلک الأسطول المصریّ بالعساکر، فوجدوا البلاد قد أخذت فعادوا کما هم إلی مصر. و سار ابن عمّار إلی شیزر، فأکرمه صاحبها سلطان بن علیّ بن منقذ و احترمه و عرض علیه المقام عنده فأبی، و توجّه إلی الأمیر طغتکین صاحب دمشق، فأکرمه طغتکین و أنزله و أقطعه الزّبدانیّ و أعماله. ثم وقع بین بغدوین صاحب القدس و بین طغتکین المذکور أمور، حتّی وقع الاتفاق بینهما علی أن یکون السّواد و جبل عوف مثلّثة، الثّلث للفرنج و الباقی للمسلمین. ثم انقضی ذلک فی سنة خمس و خمسائة. و قصد بغدوین الفرنجیّ المذکور صور؛ فکتب و الیها و أهلها إلی طغتکین یسألونه أنهم یسلّمونها إلیه قبل مجیء الفرنج لأنّهم یئسوا من نصرة مصر؛ فأبی و بعث إلیهم الفرسان و الرّجالة، و جاءهم هو من جبل عاملة ثمّ عاد. ثمّ سار إلیهم بغدوین فی الخامس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۱

و العشرین من جمادی الأولی سنة خمس و خمسمائة فقطع أشجارها و قاتلها أیاما، و هو یعود خاسرا. و خرج طغتکین و خیّم ببانیاس و جهّز الخیّالة و الرّجالة إلی صور نجدة، فلم یقدروا علی الدخول إلیها من الفرنج و ثمّ رحلت الفرنج عنها، و نزلوا علی الحبیس (و هو حصن عظیم) و حاصروه حتی فتحوه عنوة؛ و قتلوا کلّ من کان فیه، ثم عاد بغدوین إلی صور و شرع فی عمل الأبراج، و أخذ فی قتالها و الزحف فی کلّ یوم.

فلمّا بلغ ذلک طغتکین زحف علیهم لیشغلهم، فخندق علیهم و هجم الشتاء فلم یبال الفرنج به لأنّهم کانوا فی أرض رملة، و المیرة

تصل إليهم من صيداء فى المراكب.

ثمّ ركب طغتكين البحر و سار إلى نحو صيداء، و قتل جماعة من الفرنج و غرّق مراكبهم و أوصل مكاتبته إلى أهل صور، فقوّى قلوبهم. ثم عمل الفرنج برجين عظيمين، طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعا، و طول الصغير زيادة على أربعين ذراعا، و زحفوا بهما أوّل شهر رمضان، و خرج أهل صور بالنّفط و القطران و رموا النار، فهبّت الريح فاحترق البرج الصغير بعد المحاربة العظيمة، و نهب منه زرديات و طوارق و غير ذلك؛ و لعبت النار فى البرج الكبير أيضا فأطفأها الفرنج.

ثم إنّ الفرنج طمّوا الخندق، و واتروا الزّحف طول شهر رمضان، و أشرف أهل البلد على الهلاك. فتحيّل واحد من المسلمين له خبرة بالحرب، فعمل كباشا من أخشاب تدفع البرج الذى يلصقونه بالسور. ثم تحيّل فى حريق البرج الكبير حتّى أحرقه، و خرج المسلمون فأخذوا منه آلات و سلاحا. فحينئذ يئس الفرنج من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۲

أخذها، و رحلوا عنها بعد ما أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل و الأخشاب و العمائر و العلوفات و غيرها. و جاءهم طغتكين فما سلّموا إليه البلد؛ فقال طغتكين: أنا ما فعلت الذى فعلته إلّا للّه تعالى لا لرغبة فى حصن و لا مال، و متى دهمكم عدوّكم جئتكم بنفسى و برجالى، ثمّ رحل عنهم- فللّه درّه من ملك- كلّ ذلك و لم تأت نجدة المصريّين. و دام الأمر بين أهل صور و الفرنج، تارة بالقتال و تارة بالمهادنة، إلى أن طال على أهل صور الأمر و يئسوا من نصرة مصر، فسلّموها للفرنج بالأمان فى سنة ثمانى عشرة و خمسمائة.

قلت: و ما أبقى أهل صور- رحمهم اللّه تعالى- ممكنا فى قتالهم مع الفرنج و ثباتهم فى هذه السنين الطويلة مع عدم المنجد لهم من مصر. و قيل فى أخذ صور وجه آخر.

قال ابن القلانسىّ: و فى سنة تسع عشرة و خمسمائة، ملك الفرنج صور بالأمان.

و سببه خروج سيف الدولة مسعود منها، و كان قد حمل إلى مصر، و أقام الوالى الذى بها فى البلد. قلت: و هذه زيادة فى النّكاية للمسلمين من صاحب مصر؛ فإنّ سيف الدولة المذكور كان قائما بمصالح المسلمين، و فعل ما فعل مع الفرنج من قتالهم و حفظ سور المدينة هذه المدّة الطويلة، فأخذوه منها غصبا و خلّوا البلد مع من لا قبل له بمحاربة الفرنج. فكان حال المصريّين فى أوّل الأمر أنّهم تقاعدوا عن نصرة المسلمين، و الآن بأخذهم سيف الدولة من صور صاروا نجدة للفرنج.

و هذا ما فعله إلا الآمر هذا صاحب الترجمة بنفسه بعد أن قبض على الأفضل ابن أمير الجيوش و قتله، و قتل غيره أيضا معه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۳

و نعود إلى كلام ابن القلانسىّ قال: و عرف الفرنج (يعنى بخروج سيف الدولة) فتأهّبوا للنزول عليها، و عرف الوالى أنه لا قبل له بهم لقلّة النجدة و الميرة بها؛ فكتب إلى صاحب مصر يخبره. فكتب إليه: قد رددنا أمرها إلى ظهير الدين- أظنه يعنى بظهير الدين طغتكين المقدّم ذكره أمير دمشق- قال: ليتولّى حمايتها و الذّب عنها، و بعث منشورا له بها. و نزل الفرنج عليها و ضايقوها بالحصار و القتال حتّى خفّت الأقوات، و جاء طغتكين فنزل ببانياس، و تواترت المكاتبات.

إلى مصر باستدعاء المؤن، فتمادت الأيّام إلى أن أشرف أهلها على الهلاك. و لم يكن للأتابك طغتكين قدرة على دفع الفرنج، و يئس من مصر؛ فراسل أهلها الفرنج و طلبوا الأمان على نفوسهم و أهاليهم و أموالهم، و من أراد الخروج خرج و من أراد الإقامة أقام. و جاء الاتابك بعسكره فوقف بإزاء الفرنج، و ركبت الفرنج و وقفوا بإزائه و صاروا صفّين؛ و خرج أهل البلد يمرّون بين الصّفّين و لم يعرض لهم أحد، و حملوا ما أطاقوه، و من ضعف منهم أقام. فمضى بعضهم إلى دمشق، و بعضهم إلى غزّة، و تفرّقوا فى البلاد، و عاد الأتابك إلى دمشق. و دخل الفرنج صور و ملكوها سنين إلى حين فتحت ثانيا، حسب ما سيأتى ذكره فى ترجمة السلطان الذى يتولّى فتحها. قلت: و هذا الذى ذكرناه هو كالشرح لكلام الذهبىّ و غيره من المؤرّخين فيما ذكروه عن الآمر هذا. و نعود إلى ترجمة الآمر.

و كان للآمر نظم و نظر فى الأدب. و مما نسب إليه من الشعر قوله:

[السريع]

أصبحت لا أرجو و لا أتّقى إلّا إلهى و له الفضل

جدّى نبيّى و إمامى أبى و مذهبى التوحيد و العدل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۴

و قد نسب هذا الشعر لغيره من الفاطميّين أيضا. و كان الآمر يحفظ القرآن، انفرد بذلك دون جميع خلفاء مصر من الفاطميّين، و كان ضعيف الخطّ. و أمّا ما وعدنا به من ذكر قتله فنقول: كان الامر صاحب الترجمة مطلوبا من جماعة من أعوان عمه نزار المقتول بيد أبيه بعد واقعة الإسكندرية المقدّم ذكرها؛ لأنّ الآمر و أباه المستعلى غصبا الخلافة، و أن النّص كان على نزار. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستعلى. فاتّصل بالآمر أنّ جماعة من النّزارية حصلوا بالقاهرة و مصر يريدون قتله، فاحترز الآمر على نفسه و تحيّل فى قبضهم، فلم يقدّر له ذلك لما أراده اللّه. و فشا أمر النّزارية و كانوا عشرة، فخافوا أن يقع عليهم الآمر فيقتلهم قبل قتله، فآجتمعوا فى بيت و قال بعضهم لبعض: قد فشا أمرنا و لا نأمن أن يظفر بنا الآمر فيقتلنا، و من المصلحة و الرأى أن نقتل واحدا منّا و نلقى رأسه بين القصرين، و حلانا عندهم؛ فإن عرفوه فلا مقام لنا عندهم، و إن لم يعرفوه تمّ لنا ما نريد، لأنّ القوم فى غفلة. فقالوا للذى أشار عليهم: ما يتّسع لنا قتل واحد منّا، ينقص عددنا و ما يتمّ بذلك أمرنا، فقال الرجل: أليس هذا من مصلحتنا و مصلحة من تلزمنا طاعته؟ فقالوا نعم. فقال: و ما دللتكم إلّا على نفسى، و شرع فى قتل نفسه بيده بسكّين فى جوفه فمات من وقته. فأخذوا رأسه فرموه فى الليل بين القصرين، و أصبحوا متفرّقين ينظرون ما يجرى فى البلد بسبب الرأس. فلمّا وجد الرأس اجتمع عليه الناس و أبصروه، فلم يقل أحد منهم أنا أعرفه. فحمل إلى الوالى، فأحضر الوالى عرفاء الأسواق و أرباب المعايش فلم يعرف؛ فأحضر أيضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۵

أصحاب الأرباع و الحارات فلم يعرف؛ ففرح التسعة بذلك و وثقوا بالمقام بالقاهرة لقضاء مرادهم. و اتّفق للخليفة الآمر أن يمضى إلى الرّوضة- حسب ما ذكر فى أوّل ترجمته- و أنّه يجوز على الجسر الذى من مصر إلى جزيرة الرّوضة للمقام بها أياما للفرجة. و كان من شأن الخلفاء أنهم يشيعون الركوب فى أرباب خدمتهم حيثما قصدوا حتّى لا يتفرّقوا عنه، و أيضا لا يتخلّف أحد عن الركوب؛ فعلم النّزارية التسعة بركوبه فجاءوا إلى الجزيرة، و وجدوا قبالة الطالع من الجسر فرنا، فدخلوا فيه قبل مجىء الخليفة الآمر، و دفعوا إلى الفرّان دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيرا بسمن و عسل؛ ففرح الفرّان بها و عمل لهم الفطير؛ فما هو بأكثر ممّا أكلوه، و لم يتموا أكلهم إذ طلع الخليفة الآمر من آخر الجسر، و قد تفلّل عنه الرّكابيّة و من يصونه لحرج الجواز على الجسر لضيقه، فلمّا قابلوه و ثبوا عليه و ثبة رجل واحد و ضربوه بالسكاكين حتى إنّ واحدا منهم ركب وراءه و ضربه عدّة ضربات؛ و أدوكهم الناس فقتل التسعة. و حمل الآمر فى عشاريّ إلى قصر اللّؤلؤة، و كان ذلك فى أيّام النيل، ففاضت نفس الآمر قبل وصوله إلى اللؤلؤة. و قد تقدّم عمر الآمر و مدّة خلافته فى أوّل ترجمته، فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا. و قيل: إنّ بعض منجّميه كان عرّفه أنّه يموت مقتولا بالسكاكين، فكان الآمر كثيرا ما يلهج بقوله: الآمر مسكين، المقتول بالسكين.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۶]

السنة الأولى من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة ستّ و تسعين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۶

فيها أعيدت الخطبة ببغداد إلى السلطان بركياروق السلجوقيّ بعد أن التقى مع أخيه محمد شاه و هزمه بركياروق. فتوجّه محمد شاه

إلى أرمينيـة و أخلاط، ثم عاد إلى تبريز فى جمادى الآخرة، و مضـى بركياروق إلى زنجان. و وقع بينهما فى الآخر الاتّفاق على شـىء فعلوه.

و فيها اسـتوزر الخليفة المسـتظهر بالله العبّاسىّ زعيم الرؤساء أبا القاسم علىّ بن محمد [بن محمد] بن جهير على كره منه، و عزل وزيره سديد الملك أبا الفضل بن عبد الرزّاق.

فكانت ولايته عشرة أشهر.

و فيها توفّى أردشير بن منصور أبو الحسين العبّادىّ الواعظ الأسـتاذ. كان أصله من أهل مرو، و كان يخاطب بالأمير قطب الدين. قدم بغـداد و جلس فى النّظاميّـة، و حضـر أبو حامـد الغزالىّ مجلس وعظه، و كـان يحضـر مجلسه من الرجـال و النسـاء ثلاثون ألفا. و كان صمته أكثر من نطقه، و إذا تكلّم هـابته النـاس؛ و بـوعظه حلـق أكـثر الصّبيـان رءوسـهم، و لزموا المساجـد و بـدّدوا الخمور و كسـروا الملاهى. و لمّا قدم بغداد و وعظ بها، و كان البرهان الغزنوىّ يعظ بها قبله فانكسر سوقه. فقال الدّهّان الشاعر المشهور فى ذلك:

[السريع]

للّه قطب الدّين من عالم منفرد بالعلم و الباس

قد ظهرت حجّته للورى قام بها البرهان للناس

و مات قطب الدين فى غرّة جمادى الآخرة. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۷

و فيها توفّى الشـيخ أبو المعالى الزاهـد الصالـح البغـدادىّ. كان مقيما بمسـجد باب الطاق ببغـداد؛ فحضـر مجلس ابن أبى عمامـة فوقع كلامه فى قلبه فتزهّد. و كان لا ينام إلّا جالسا و لا يلبس إلّا ثوبا واحدا شتاء و صيفا. و كان منقطعا إلى العبادة، و يقصد للزيارة.

و فيها توفّى الشـيخ أبو طاهر أحمد بن علىّ بن عبيد اللّه بن عمر بن سوار المقرئ المجوّد. كان إماما عارفا بالقراءات، و سمع الحديث و اشتغل فى القراءات سنين.

و فيها توفّى الشـيخ أبو داود سليمان بن نجاح المؤيّدىّ المقرئ الإمام. مات فى شهر رمضان و له ثلاث و ثمانون سنة، و قد انتهت إليه رياسة القرّاء فى زمانه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۷]

السنة الثانية من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة سبع و تسعين و أربعمائة.

فيها وقع الصـلح بين الإخوة أولاد السـلطان ملكشاه السـلجوقىّ، و هم السلطان بركياروق و محمد شاه و سنجر شاه، على أن يكون اسم السـلطنة لبركيـاروق و ضـرب النّوبـة (أعنى الطبلخانـات) فى أوقـات الصـلوات الخمس على بـابه، و أن يكون لمحمـد شـاه أرمينيـة و أذربيجان و ديار بكر و الجزيرة و الموصل، و أن يكون لسنجر شاه خراسان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۸

على حاله أوّلا، و أن يكون لبركياروق الجبل و همذان و أصـبهان و الرّىّ و بغداد و أعمالها و الخطبة ببغداد، و أن محمد شاه و سنجر شاه يخطبان لنفوسهما.

و فيهـا نزل الأـمير سـكمان بن أرتق صـاحب مـاردين، و جكرمش صاحب الموصل على رأس العين عازمين على لقاء الفرنـج، و كان خرج ريمند و طنكرى صاحب أنطاكية بعساكر الفرنج إلى الرّهاء، فالتقوا فنصر اللّه المسلمين و قتلوا منهم عشرة آلاف، و انهزم ريمند

و طنكرى فى نفر يسير من الفرنج.

و فيها نزل بغدوين صاحب القدس الفرنجىّ على عكّا فى البرّ و البحر فى نيّف و تسعين مركبا فحصروها من جميع الجهات، و كان واليها زهر الدولة الجيوشىّ، فقاتل حتّى عجز، فطلب الأمان له و للمسلمين فلم يعطوه لمّا علموا (الفرنج) من أهل مصر أنهم لم ينجدوه، ثم أخذوها بالسيف فى شهر رمضان. و قد قدّمنا ذكر ذلك فى ترجمة الآمر هذا بأكثر من هذا القول.

و فيها حاصر صنجيل الفرنجىّ طرابلس و بنى عليها حصنا؛ فخرج القاضى ابن عمّار صاحب طرابلس بعسكره فى ذى الحجة، و هدم الحصن و قتل من فيه من الفرنج و نهبه، و كان فيه شيء كثير.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن حيدرة الأديب أبو الحسين، و يعرف بابن خراسان الطرابلسىّ الشاعر المشهور. و كان شاعرا مجيدا، هجا فخر الملك ابن عمّار قاضى طرابلس و صاحبها و أخاه؛ فأمر به قاضى طرابلس المذكور فضرب حتّى مات. و من شعره من قصيدة:

[الطويل]

[جزى اللّه عنا النّيرب الفرد صالحا لقد جمع المعنى الذى يذهب الفكرا

]خرجنا على أنّا نقيم ثلاثة فطاب لنا حتّى أقمنا به عشرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۸۹

و فيها توفّى إسماعيل بن علىّ بن الحسن بن علىّ الشيخ أبو علىّ الجاجرمىّ الأصمّ النّيسابورىّ. ولد سنة ستّ و أربعمائة، و رحل فى طلب العلم، و طاف البلاد و عاد إلى نيسابور فمات بها فى المحرّم. و كان فقيها واعظا زاهدا و رعا صدوقا ثقة حسن الطريقة.

و فيها توفّى دقماق بن تتش الأمير أبو نصر شمس الملوك السلجوقىّ صاحب دمشق. و سمّاه الذهبىّ و صاحب مرآة الزمان دقاقا بلا ميم. و لعلّ الذى قلناه هو الصواب؛ فإننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق، و أيضا فإنّ جدّ السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق، و هذا من أكبر الأدلّة على أنّ اسمه دقماق. ولى دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان؛ و قام بأمره الأتابك ظهير الدّين طغتكين، و تزوّج طغتكين والدته. فأقام فى مملكة دمشق حتّى مات. و ملك دمشق بعده ابنه تتش و هو حدث السن، و أوصى أن يكون طغتكين أيضا القائم بدولته؛ فوقع ذلك، و قام طغتكين بالأمر أحسن قيام.

و فيها توفّى العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلا يا أبو سعد الكاتب الفاضل.

كتب فى الإنشاء للخلفاء خمسا و ستّين سنة. و كان نصرانيّا، فأسلم فى سنة أربع و ثمانين و أربعمائة على يد الخليفة المقتدى بالله العبّاسىّ. و مات فجاءة. و كان طاهر اللّسان كريم الأخلاق شاعرا مجيدا مترسّلا. و من شعره:

[الوافر]

يا خليلىّ خليّانى و وجدى فملام العدول ما ليس يجدى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۰

و دعانى فقد دعانى إلى الحكك م غريم الغرامة الّت عندى

فعساه يرقّ إذ ملك الرّ قّ بنقد من وصله أو بوعد

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۸]

السنة الثالثة من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة ثمان و تسعین و أربعمائة.

فیها هلک صنجیل عظیم الفرنج و صاحب أنطاکیة.

و فیها بعث ضیاء الدّین محمد وزیر میّافارقین إلی قلج أرسلان بن سلیمان بن قتلمش و هو بملطیة یستدعیه إلی میّافارقین؛ فتوجّه إلیه قلج أرسلان و ملک میافارقین. و کان مبدأ قلج أرسلان هذا أنّه خدم ملکشاه السلجوقیّ، فأرسله علی جیش لغزو الرّوم؛ فسار و افتتح ملطیة و قیساریّة و أقصری و قونیة و سیواس و جمیع ممالک الروم؛ فأقرّه ملکشاه بها، فأقام بها و عدّ من الملوک؛ إلی أن قدم میافارقین و استولی علیها، و ولّاها لمملوک والده خمرتاش السلیمانیّ. و استوزر قلج أرسلان ضیا الدّین المذکور، و أخذه معه و ولّاه أبلستین. ثمّ وقع بین قلج

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۱

أرسلان هذا و بین جاولی مملوک السلطان محمد شاه بن ملکشاه و تقاتلا، فانکسر قلج أرسلان. فلمّا رأی الهزیمة علیه ألقی نفسه فی الخابور فغرق، فأخرج و حمل تابوته إلی میّافارقین و دفن بها.

و فیها بعث یوسف بن تاشفین صاحب المغرب إلی الخلیفة المستظهر بالله العبّاسیّ یخبره أنّه خطب له علی منابر ممالکه، و أرسل یطلب منه الخلع و التقلید؛ فبعث إلیه بما طلب.

و فیها توفّی السلطان رکن الدولة برکیاروق ابن السلطان ملکشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داوود بن میکائیل بن سلجوق بن دقماق السلجوقیّ أبو المظفّر.

مات فی شهر ربیع الأوّل و هو ابن أربع و عشرین سنة. و کانت سلطنته اثنتی عشرة سنة. و عهد لولده ملکشاه، و أوصی به الأمیر آیاز؛ فتوجّه آیاز بالصبیّ إلیّ بغداد، و نزل به دار المملکة، و عمره أربع سنین و عشرة أیام، و أجلسه علی تخت الملک مکان أبیه برکیاروق؛ و خطب له ببغداد فی جمادی الأولی. فلم یتمّ أمر الصبیّ، و ملک عمّه محمد شاه الذی کان ینازع أخاه برکیاروق، و قتل آیاز المذکور.

و برکیاروق: بفتح الباء الموحدة و سکون الراء و الکاف و فتح الیاء المثناة من تحتها و بعد الألف راء مضمومة و بعد الراء واو و قاف.

و فیها توفّی محمد بن علیّ بن الحسن بن أبی الصقر أبو الحسن الواسطیّ. تفقّه علی أبی إسحاق الشّیرازیّ، و سمع الحدیث الکثیر. و کان أدیبا عالما. و من شعره لمّا کبر سنّه و صار لا یستطیع القیام لأصحابه:

[الوافر]

علّة سمّیت ثمانین عاما منعتنی للأصدقاء القیاما

فإذا عمّروا تمهّد عذری عندهم بالذی ذکرت و قاما

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۲

و فیها توفّی الحافظ أبو علیّ الحسین بن محمد الغسّانیّ الجیّانیّ عن إحدی و تسعین سنة. کان إماما حافظا، سمع الکثیر و حدّث و کتب و صنّف.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم سبع أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزیادة ست عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۹۹]

السنة الرابعة من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة تسع و تسعین و أربعمائة.

فیها ظهر رجل من نواحی نهاوند و ادّعی النبوّة، و کان ممخرقا بالسّحر و النجوم فتبعه خلق کثیر و حملوا إلیه أموالهم. و کان یعطی

جميع ما عنده لمن يقصده، و سمّى أصحابه بأسماء الصحابة الخلفاء، رضوان اللّه عليهم. و كان خرج أيضا فى هذه السنة بنهاوند رجل من ولد ألب أرسلان السلجوقىّ يطلب الملک؛ فخرج إليهما العساكر، و أخذوا الرجل المدّعى النبوّة، و الذى طلب الملک معا و قتلا.

و فيها كان بين الفرنج و بين طغتكين واقعة عظيمة على سواد طبريّة.

و فيها ملكت الإسماعيليّة حصن فامية، و قتلوا خلف بن ملاعب صاحب الحصن بأمر أبى طاهر الصائغ العجمىّ المقيم بحلب. و هذا الصائغ هو الذى أظهر مذهب الباطنية الرافضة، و قتلته الفرنج، و أراح اللّه المسلمين منه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۳

و فيها توفّى عمر بن المبارک بن عمر أبو الفوارس البغدادىّ. ولد سنة ثلاث عشرة و أربعمائة، و برع فى علم القرآن، و قرأ الناس عليه سنين كثيرة، و سمع الحديث الكثير، و كان من الصالحين.

و فيها توفّى مهارش البدوىّ بن مجلّى الأمير أبو الحارث صاحب الحديثة، الذى خدم الخليفة القائم بأمر اللّه، فيما تقدّم ذكره لمّا حصل عنده بالحديثة. و كان مهارش هذا كثير الصلاة و الصوم و الصدقة صالحا محبّا لأهل العلم. و عاش نيّفا و ثمانين سنة. رحمه اللّه.

و فيها توفّى الشيخ الإمام المقرئ أبو البركات محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن الوكيل المقرئ المحدّث؛ مات و له ثلاث و تسعون سنة. و كان عالما بفنون كثيرة، عارفا بعلوم القرآن.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو البقاء المعمّر بن محمد بن علىّ الكوفىّ الحبّال؛ و مات و له ستّ و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۰]

السنة الخامسة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة خمسمائة.

فيها ولى الخليفة المستظهر بالله أبا جعفر عبد اللّه الدّامغانىّ أخا قاضى القضاة حجبة الباب؛ فرمى الطّيلسان و تزيّا بزىّ الحجبة، فشقّ ذلک على أخيه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۴

و فيها بعث السلطان محمد شاه برأس أحمد بن عبد الملک بن عطّاش مقدّم الباطنيّة، و رأس ولده. و كان ابن عطّاش هذا فى قلعة عظيمة بأصبهان.

و فيها توفّى جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ أبو محمد السّراج القارئ البغدادىّ. ولد سنة ستّ عشرة و أربعمائة. و قرأ بالروايات و أقرأ سنين، و سافر إلى مصر و الشام، و سمع الحديث و صنّف المصنّفات الحسان، منها كتاب «مصارع العشّاق» و غيره. و كان فاضلا شاعرا لطيفا. نظم «كتاب التنبيه» و غيره. و لم يمرض فى عمره سوى مرض الموت. و من شعره:

[السريع]

يا ساكنى الدّير حلولا به يطربهم فيه النواقيس

قيسوا لنا القرب و كم بينه و بين أيّام النّوى قيسوا

و فيها قتل السلطان محمد شاه بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقىّ وزيره سعد الملک، سعد بن محمد أبا المحاسن، و استوزر عوضه أبا نصر أحمد بن نظام الملک.

و كان سبب قتله أنه بلغه أنّه دبّر عليه هو و جماعة، و كاتب أخاه سنجر شاه، فقبض عليه و صلبه و أصحابه.

و فيها قتل أيضا الوزير فخر الملك علىّ بن الوزير نظام الملك حسن، و كنيته أبو المظفّر. كان استوزره بركياروق، ثم توجّه إلى نيسابور، فوزر إلى سنجر شاه.

وثب عليه شخص فى زىّ الصوفيّة من الباطنيّة و ناوله قصّة ثم ضربه بسكّين فقتله.

قلت: و هكذا أيضا وقع لأبيه نظام الملك. حسب ما ذكرناه فى محلّه. فأخذ الباطنىّ و فصّل على قبر فخر الملك عضوا عضوا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۵

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم أبو عبد اللّه الأسدىّ. ولد بمكّة سنة إحدى و أربعين و أربعمائة، و سافر البلاد و لقى العلماء. و كان إماما فاضلا شاعرا. و من شعره:

[الخفيف]

قلت ثقّلت إذ أتيت مرارا قال ثقّلت كاهلى بالأيادى

قلت طوّلت قال لا بل تطوّل ت و أبرمت قال حبل ودادى

و رأيت هذين البيتين فى شرح البديعيّة لابن حجّة فى القول بالموجب، و نسبهما لابن حجّاج. و اللّه أعلم.

و فيها توفّى الحافظ أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحدّاد الإمام العالم المحدّث.

مات فى ذى القعدة بأصبهان و له اثنتان و تسعون سنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو غالب محمد بن الحسن الكرخىّ الباقلّانىّ العالم المشهور. مات و له ثمانون سنة.

و فيها توفّى أبو الكرم المبارك بن فاخر النحوىّ البغدادىّ. كان إماما عالما بالنحو و اللغة و العربيّة، و له مصنّفات حسان. و توفّى ببغداد.

و فيها توفّى سلطان المسلمين بالمغرب يوسف بن تاشفين اللّمتونىّ صاحب المغرب، كان من عظماء ملوك الغرب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و تسع أصابع.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۱]

السنة السادسة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة إحدى و خمسمائة.

فيها ظهرت ببغداد صبيّة عمياء تتكلّم عن أسرار الناس؛ فكانت تسأل عن نقوش الخواتم و ما عليها، و ألوان الفصوص، إلى غير ذلك.

و فيها حاصر بغدوين الفرنجىّ صاحب القدس صيداء و ضايقها. حسب ما ذكرناه فى أوّل هذه الترجمة.

و فيها توفّى الحسين بن أحمد بن النّقّار الشيخ أبو طاهر. ولد بالكوفة و نشأ ببغداد. و كان أديبا شاعرا فاضلا. و من شعره:

[السريع]

و زائر زار على غفلة و قد أماط الصبح ثوب الظلام

راح و قد سهّلت الراح من أخلاقه ما كان صعب المرام

و فيها قتل صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأمير أبو الحسن سيف الدولة صاحب الحلّة. كان كريما عفيفا عن الفواحش، و كانت داره ببغداد حرما للخائفين.

لم يتزوّج غير امرأة واحدة فى عمره، و لا تسرى قطّ. قتل فى واقعة كانت بينه و بين عسكر السلطان محمد شاه.

قلت: و كانت سيرته مشكورة، و خصاله محمودة و ما سلم من مذهب أهل الحلّة، فإنّ أباه كان من كبار الرافضة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۷

و فيها توفّى عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام أبو المحاسن الرّويانىّ الطّبرىّ فخر الإسلام. ولد فى ذى الحجّة سنة خمس عشرة و أربعمائة، و تفقّه ببخارى مدة؛ و برع فى مذهب الشافعىّ- رضى اللّه عنه- و له مصنّفات فى مذهبه منها كتاب «بحر المذهب» و هو أطول كتب الشافعيّة، و كتاب «مناصيص الشافعىّ» و كتاب «الكافى» و صنّف فى الأصول و الخلاف. و كان قاضى طبرستان؛ فقتلته الملاحدة فى يوم الجمعة حادى عشر المحرّم- و رويان:

بلدة بنواحى طبرستان- و قيل: إنّه مات فى سنة اثنين و خمسمائة.

و فيها توفّى يحيى بن علىّ بن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريّاء الشّيبانى.

التّبريزىّ الخطيب اللغوىّ. كان إماما فى علم اللّسان. رحل إلى الشام، و قرأ اللغة على أبى العلاء المعرّىّ، و سمع الحديث و حدّث؛ و أقرأ اللغة. و مات فى جمادى الآخرة، و له إحدى و ثمانون سنة.

و فيها توفّى الملک تميم بن المعزّ بن باديس صاحب إفريقية و ما والاها من بلاد المغرب. امتدّت أيّامه و كان من أجلّ ملوک المغرب، أقام هو و أبوه المعزّ نحوا من مائة سنة و أكثر؛ و مات و له تسع و سبعون سنة. و الصحيح أنه مات فى القابلة.

حسب ما يأتى ذكره. و قد أثبت الذهبىّ وفاته فى هذه السنة.

و فيها توفّى الشيخ المسلّک أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الدّونىّ الصوفىّ، أحد كبار مشايخ الصوفيّة فى شهر رجب. و كان له قدم فى علم التصوّف.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۸

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۲]

السنة السابعة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة اثنتين و خمسمائة.

فيها توفّى إسماعيل بن إبراهيم بن العبّاس بن الحسن الشريف أبو الفضل الحسينىّ الدمشقىّ المعروف بابن أبى الجنّ. كان فقيها فاضلا ثقة. ولى قضاء دمشق مدّة، و بها توفّى.

و فيها توفّى ملك المغرب تميم بن المعزّ بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقيّة، و ينتهى نسبه إلى يعرب بن قحطان، قاله السمعانىّ. ولد سنة اثنتين و عشرين و أربعمائة، و عاش ثمانين سنة، و أقام فى الإمرة ستّا و أربعين سنة، و خلّف مائة ولد لصلبه، قاله صاحب مرآة الزمان؛ قال: لأنّه كان مغرى بالجوارى مع اهتمامه بالملك؛ و قيل: إنّه مات و له خمسون ولدا. و كان مقامه بالمهديّة. و كان عظيم القدر شاعرا جوادا ممدّحا. و له ديوان شعر. و من شعره:

[الكامل]

ما بان عذرى فيه حتّى عذّرا و مشى الدّجى فى خدّه فتحيّرا

همّت تقبّله عقارب صدغه فأسلّ ناظره عليها خنجرا

و اللّه لو لا أن يقال تغنى و صبا و إن كان التّصابى أجدرا

لأعدت تفّاح الخدود بنفسجا لثما و كافور الترائب عنبرا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۱۹۹

و له أيضا:

[الطويل]

أما و الذى لا يعلم السّرّ غيره و من هو بالسّر المكتّم أعلم

لئن كان كتمان المصائب مؤلما لإعلامها عندى أشدّ و آلم

و فيها توفّى الحسن العلوىّ أبو هاشم رئيس همذان. كان جوادا ممدّحا مموّلا شجاعا صاحب صدقات و صلوات. صادره السلطان محمد شاه السلجوقىّ على تسعمائة ألف دينار، أدّاها فى نيّف و عشرين يوما، و لم يبع فيها عقارا.

و فيها توفّى الشيخ أبو القاسم علىّ بن الحسين الربعىّ البغدادىّ الفقيه المحدّث.

مات فى شهر رجب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۳]

السنة الثامنة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة ثلاث و خمسمائة.

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقىّ الأمير سكمان بن أرتق صاحب أرمينية و أخلاط و ميّافارقين، و الأمير شرف الدّين مودودا صاحب الموصل، و نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج؛ فآجتمعوا و بدءوا بالرّهاء.

و بلغ الفرنج، فاجتمع طنكرى صاحب أنطاكية، و ابن صنجيل صاحب طرابلس، و بغدوين صاحب القدس، و تحالفوا هم أيضا على قتال المسلمين، و ساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر اللّه المسلمين فيها و غنموا منهم شيئا كثيرا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۰

و فيها توفّى [عمر بن] عبد الكريم بن سعدويه الحافظ ابو الفتيان الدّهستانىّ.

كان إماما حافظا محدّثا، رحل البلاد و سمع الكثير، و روى عنه أبو بكر الخطيب و غيره، و اتّفقوا على صدقه و ثقته و دينه. و مات فى شهر ربيع الأول.

و فيها توفّى وجيه بن عبد اللّه بن نصر الأديب الفاضل أبو المقدام التّنوخىّ.

كان شاعرا فصيحا. و لمّا أخربت الفرنج المعرّة، أنشد فى المعنى لمحمود بن علىّ:

[الخفيف]

هذه صاح بلدة قد قضى اللّ ه عليها كما ترى بالخراب

وقّف العيس وقفة و ابك من كا ن بها من شيوخها و الشّباب

و اعتبر إن دخلت يوما إليها فهى كانت منازل الأحباب

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو سعيد محمد بن محمد بن محمد الأصبهانىّ المعروف بالمطرّز. مات فى شوّال.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۴]

السنة التاسعة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة أربع و خمسمائة.

فيها بنى الخليفة المستظهر بالله العباسیّ على الخاتون بنت ملكشاه السلجوقیّ أخت السلطان محمد شاه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۱

و فيها أيضا جهّز السلطان محمد شاه المذكور العساكر إلى الشام لقتال الفرنج، و ندب جماعة من الملوک معهم، منهم شرف الدّين مودود صاحب الموصل، و قطب الدين سكمان بن أرتق صاحب ديار بكر فاجتمعوا و نزلوا على تلّ باشر ينتظرون البرسقیّ صاحب همذان، فوصل إليهم و هو مريض، فاختلفت آراؤهم لأمور وقعت، و رجع كلّ واحد إلى بلاده.

و فيها توفّى الأمير قطب الدّين سكمان بن أرتق- المقدّم ذكره- صاحب ديار بكر. عاد من الرّهاء مريضا فى محفّة حتّى وصل ميّافارقين فمات بها. و حمل تابوته من ميّافارقين إلى أخلاط فدفن به. و كان ملكا عادلا مجاهدا. و أبوه أرتق مات بالقدس. و نجم الدّين إيلغازى بن أرتق أخو سكمان المذكور هو الذى ولى بعده. توجّه إيلغازى المذكور إلى السلطان محمد شاه السلجوقیّ، فولاه شحنجية العراق عوضا عن أخيه سكمان، ثم أخذ منه ماردين فى سنة ثمان و خمسمائة، و ميّافارقين فى سنة اثنتى عشرة و خمسمائة، ثم أخذ منه حلب أيضا. و لسكمان هذا وقائع مع الفرنج كثيرة و مواقف. رحمه اللّه.

و فيها توفّى علیّ بن محمد بن علیّ الشيخ الإمام العلّامة الفقيه العالم المشهور بالكيا الهرّاسیّ الشافعیّ العجمیّ. لقبه عماد الدّين. كان من أهل طبرستان و خرج إلى نيسابور، و تفقّه على أبى المعالى الجوينیّ، و قدم بغداد و درس بالنظاميّة و وعظ

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۲

و ذكر مذهب الأشعرىّ، فرجم و ثارت الفتن، و اتّهم بمذهب الباطنيّة. فأراد السلطان قتله، فمنعه الخليفة المستظهر بالله و شهد له بالبراءة. و كانت وفاته فى يوم الخميس غرّة المحرم، و دفن عند الشيخ أبى إسحاق الشيرازیّ، و حضر لدفنه الشيخ أبو طالب الزّينبیّ و قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانیّ- و كانا مقدّمى طائفة السادة الحنفية- فوقف أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه، فقال الدّامغانیّ متمثّلا بهذا البيت:

[الوافر]

و ما تغنى النوادب و البواكى و قد أصبحت مثل حديث أمس

و أنشد الزّينبیّ أيضا متمثّلا بهذا البيت:

[الكامل]

عقم النساء فما يلدن شبيهه إنّ النساء بمثله عقم

و لمّا مات رثاه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزّیّ الشاعر المشهور ارتجالا بقصيدة أوّلها:

[البسيط]

هى الحوادث لا تبقى و لا تذر ما للبريّة من محتومها و زر

لو كان ينجى علوّ من بوائقها لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر

و الكيا: بكسر الكاف و فتح الياء المثناة من تحتها و بعدها ألف. و الهرّاسیّ معروف. و الكيا بلغة الأعجام: الكبير القدر.

و فيها توفّى أبو يعلى حمزة بن محمد الزّينبیّ أخو الإمام العالم طرّاد. مات فى شهر رجب و له سبع و تسعون سنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسين يحيى بن علیّ بن الفرج الخشّاب بمصر. كان عالم مصر و مقرئها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۵]

السنة العاشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة خمس و خمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن ملكشاه السلجوقىّ وزيره أحمد بن نظام الملك، و كانت وزارته أربع سنين و أحد عشر شهرا.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالىّ الطّوسىّ الفقيه الشافعىّ. كان إمام عصره. تفقّه على أبى المعالى الجوينىّ حتى برع فى عدّة علوم كثيرة، و درس و أفتى، و صنّف التصانيف المفيدة فى الأصول و الفروع، و درّس بالنّظاميّة، ثم ترك ذلك كلّه و لبس الخام الغليظ، و لازم الصوم و حجّ و عاد، ثم قدم إلى القدس، و أخذ فى تصنيف كتابه «الإحياء» و تمّمه بدمشق. و له من المصنفات «البسيط» «و الوسيط» «و الوجيز» و له غير ذلك. و ذكره ابن السمعانىّ فى الذيل فقال: و من شعره:

[الكامل]

حلّت عقارب صدغه فى خدّه قمرا يجلّ بها عن التشبيه

و لقد عهدناه يحلّ ببرجها و من العجائب كيف حلّت فيه

و فيها توفّى محمود بن علىّ بن المهنأ بن أبى المكارم الفضل بن عبد القاهر أبو سلامة المعرّىّ القائل فى حق المعرّة لما استولى عليها الفرنج الأبيات التى مرّت فى ترجمة وجيه بن عبد اللّه فى سنة ثلاث و خمسمائة التى أوّلها:

[الخفيف]

هذه صاح بلدة قد قضى اللّ ه عليها كما ترى بالخراب

وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل:

[البسيط]

ليلى و ليلى نفى نومى اختلافهما بالطّول و الطّول يا طوبى لو اعتدلا

يجود بالطّول ليلى كلّما بخلت بالطّول ليلى و إن جادت به بخلا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۴

و فيها توفّى مقاتل بن عطيّة بن مقاتل الأمير شبل الدوله أبو الهيجاء البكرىّ من ولد أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنه. قال العماد الكاتب: «كان شبل الدولة من أولاد العرب، وقع بينه و بين إخوته خشونة ففارقهم، و سار إلى خراسان و غزنة و مدح أعيانها، و اختصّ بنظام الملك الوزير». انتهى كلام العماد. قلت و هو الذى رثى نظام الملك بقوله:

[البسيط]

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نفيسة صاغها الرحمن من شرف

أضحت و لا تعرف الأيّام قيمتها فردّها غيرة منه إلى الصّدف

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۶]

السنة الحادية عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة ست و خمسمائة.

فيها توفّى محمد بن موسى بن عبد اللّه اللّامشىّ التركىّ الإمام الفقيه الحنفىّ، مصنّف «أصول الفقه» على مذهب أبى حنيفة رضى اللّه

عنه. كان إماما عالما فقيها مفتّا. ولى قضاء بيت المقدس مدّة. و كانت وفاته بدمشق فى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة. و سمّاه الذهبيّ البلاساغونيّ الحنفيّ قاضى دمشق عدوّ الشافعيّة.

و فيها توفّى قاضى القضاة أبو العلاء صاعد بن منصور النيسابوريّ الواعظ. كان إماما فقيها عالما واعظا، كان له لسان حلو فى الوعظ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۵

و فيها توفّى الشيخ أبو سعد المعمّر بن علىّ [بن المعمّر] بن أبى عمامة الحنبلىّ الفقيه الواعظ، كان فقيه بغداد و واعظها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۷]

السنة الثانية عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة سبع و خمسمائة.

فيها توفّى إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن علىّ بن موسى أبو علىّ البيهقىّ ولد أبى بكر أحمد صاحب التصانيف. رحل البلاد، و لقى الشيوخ، و سكن خوارزم و درس بها، ثم عاد إلى بيهق فتوفى بها. و كان إماما فاضلا صدوقا ثقة.

و فيها توفّى الأمير رضوان ابن الأمير تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقىّ المنعوت بفخر الملك صاحب حلب.

ملكها بعد قتل أبيه تتش فى سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة. و كان غير مشكور السّيرة.

قتل أخويه أبا طالب و بهرام؛ و قتل خواصّ أبيه. و هو أوّل من بنى بحلب دار الدعوة. و كان ظالما بخيلا شحيحا قبيح السّيرة، ليس فى قلبه رأفة و لا شفقة على المسلمين. و كانت الفرنج تغاور و تسبى و تأخذ من باب حلب و لا يخرج إليهم.

و مرض أمراضا مزمنة، و رأى العبر فى نفسه، حتّى مات فى ثامن عشر جمادى

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۶

الاخرة، و ملك بعده ابنه ألب أرسلان و عمره ستّ عشرة سنة، و قام بكفالته لؤلؤ الخادم.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الشّاشىّ الفقيه الشافعىّ. ولد سنة سبع و عشرين و أربعمائة، و كان يعرف بالمستظهرىّ، تفقّه بجماعة و قرأ على ابن الصّبّاغ كتابه «الشامل» و درس بالنظاميّة. و مات فى شوّال، و دفن عند أبى إسحاق الشّيرازىّ. و كان كثيرا ما ينشد:

[الوافر]

تعلّم يافتى و العود رطب و طينك ليّن و الطبع قابل

فحسبك يا فتى شرفا و فخرا سكوت الحاضرين و أنت قائل

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن محمد الإمام العلّامة أبو المظفّر الأبيوردىّ، و هو من ولد معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبى سفيان صخر بن حرب.

كان عالما بالأنساب و فنون اللغة و الآداب، و سمع الحديث و رواه، و صنّف لأبيورد تاريخا، و صنّف «المختلف و المؤتلف» فى أنساب العرب. و كان له الشعر الرائق.

و كان فيه كبروتيه بحيث إنّه كان إذا صلّى يقول: اللهم ملّكنى مشارق الأرض و مغاربها. و كتب قصّة للخليفة و على رأسها «الخادم المعاوىّ» (يريد بذلك نسبه إلى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۷

معاوية). فأمر الخليفة بكشط الميم و ردّ القصة؛ فبقيت «الخادم العاوى».

و كانت وفاته بأصبهان. و من شعره و أجاد إلى الغاية:

[الطويل]

تنكّر لى دهرى و لم يدر أننى أعزّ و أحداث الزمان تهون

و ظلّ يرينى الخطب كيف اعتداؤه و بتّ أريه الصبر كيف يكون

و فيها توفّى الأمير مودود صاحب الموصل. كان قدم الشام لمساعدة الأتابک ظهير الدين طغتكين و كسر الفرنج. و كان مودود هذا يدخل كلّ جمعة فيصلى بجامع دمشق و يتبرّک بمصحف عثمان رضى اللّه عنه. فدخل على عادته و معه الأتابک طغتكين يمشى فى خدمته و الغلمان حوله بالسيوف مسلّلة؛ فلمّا صار فى صحن الجامع وثب عليه رجل لا يؤبه له، و قرب من مودود هذا كأنّه يدعو له، و ضربه بخنجر أسفل سرّته ضربتين، إحداهما نفذت إلى خاصرته، و الأخرى إلى فخذه، و السيوف تأخذه من كلّ ناحية؛ و قطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف.

و مات مودود من يومه، و كان صائما فلم يفطر، و قال: و اللّه ما ألقى اللّه إلّا صائما.

و كان من خيار الملوک دينا و شجاعة و خيرا. و لمّا بلغ السلطان محمدا شاه السلجوقىّ موته أقطع الموصل و الجزيرة لآق سنقر البرسقىّ، و أمره بتقديم عماد الدين زنكى و الرجوع إلى إشارته. و زنكى هذا هو والد الملک العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد، المنشئ لدولة بنى أيوب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبعان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۸]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة ثمان و خمسمائة.

فيها واطأ لؤلؤ خادم رضوان على قتل ابن أستاذه ألب أرسلان، ففتكوا به فى قلعة حلب.

و فيها نزل الأمير نجم الدين إيلغازى بن أرتق على حمص، و فيها خيرخان بن قراجا. و كان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر و تمكّن منه أقام أيّاما مخمورا لا يفيق، لتدبيره، و لا يستأمر فى أمور. و عرف منه خيرخان هذه العادة فتركه حتّى سكر، فهجم عليه برجاله و هو فى خيمته، فقبض عليه و حمله إلى قلعة حمص و سجنه بها أيّاما، حتى أرسل إليه طغتكين يوبّخه و يلومه فأطلقه.

و فيها هلک بغدوين الفرنجىّ صاحب القدس من جرح أصابه فى وقعة طبريّة، و أراح اللّه المسلمين منه، و مصيره إلى سقر.

و فيها قتل الأمير أحمديل الرّوّادى صاحب مراغة، قتله باطنىّ ضربه بسكّين فى دار السلطان محمد شاه ببغداد. و كان شجاعا جوادا، و كان يركب فى خمسة آلاف فارس. و كان إقطاعه أربعمائة ألف دينار فى السنة.

و فيها توفّى علىّ بن محمد بن محمد بن جهير الصاحب أبو القاسم الوزير ابن الوزير ابن الوزير، وزر لجماعة من الخلفاء غير مرّة. و مات فى سابع عشرين شهر ربيع الأوّل. و كان وزيرا عاقلا حليما سديد الرأى، حسن التدبير و الثبات، من بيت رياسة و وزر.

و فيها توفى الشريف الحسيب النسيب أبو القاسم علىّ بن إبراهيم الحسينىّ خطيب دمشق فى شهر ربيع الآخر. و كان فاضلا فصيحا خطيبا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۰۹

و فيها توفّى الحافظ الفقيه أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن عبد اللّه الخولانىّ القرطبىّ، كان عالم بلاده و مفتيها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۰۹]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة تسع و خمسمائة.

فيها صالح الأفضل أمير الجيوش مدبّر مملكة الآمر صاحب الترجمة بردويل الفرنجىّ صاحب القدس. و كان بردويل قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل. فرأى الأفضل مهادنته لعجزه عنه، و أمر الناس بذلك، و ساروا إلى الشام و غيره.

و فيها توفّى علىّ بن جعفر بن القطّاع أبو القاسم السعدىّ الصقلىّ، من أولاد كبار علماء صقلّية. و قدم مصر و مدح الأفضل أمير الجيوش. و كان شاعرا بارعا.

و من شعره:

[الطويل]

ألا فليوطّن نفسه كلّ عاشق على سبعة محفوفة بغرام

رقيب و واش كاشح و مفنّد ملحّ و دمع و اكف و سقام

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۰

و فيها توفّى محمد بن علىّ- و قيل محمد بن محمد- بن صالح الشيخ الأديب أبو يعلى العبّاسىّ المعروف بابن الهبّاريّة الشاعر البغدادىّ. كان فيه إقدام بالهجو على أرباب المناصب. و قدم أصبهان و بها السلطان ملكشاه السلجوقىّ و وزيره نظام الملك حسن الطّوسىّ، فدخل على النظام المذكور و معه رقعتان، رقعة فيها هجوه و الأخرى فيها مدحه؛ فأعطاه التى فيها الهجو يظنّ أنها التى فيها المدح. و كان الهجو:

[الكامل]

لا غرو أن ملك ابن إس حاق و ساعده القدر

و صفا لدولته و خص أبا المحاسن بالكدر

فالدهر كالدّولاب لى س يدور إلّا بالبقر

- و أبو المحاسن الذى أشار إليه كان صهر نظام الملك، و كان بينهما عداوة- فكتب نظام الملك: يصرف لهذا القوّاد رسمه مضاعفا. ثم هجاه بعد ذلك فأهدر دمه. قال العماد الكاتب: كان ابن الهبّاريّة من شعراء نظام الملك، غلب على شعره الهجاء و الهزل و السّخف، و سلك فى قالب ابن حجّاج وفاقه فى الخلاعة و المجون.

و من شعره أيضا:

[الكامل]

و إذا البيادق فى الدّسوت تفرزنت فالرأى أن يتبيدق الفرزان

و إذا النفوس مع الدنوّ تباعدت فالحزم أن تتباعد الأبدان

خد جملة البلوى ودع تفصيلها ما فی البريّة كلّها إنسان

قلت: و ابن الهبّاريّة هذا هو صاحب «الصادح و الباغم».

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۱

و فيها توفّی الحافظ البارع أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمیّ الهمذانی بهمذان. كان إماما حافظا، سمع الكثير و رحل البلاد و حدّث، و كان من أوعية العلم.

و فيها توفّی- فی قول الذهبیّ- الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس صاحب بلاد المغرب. و قد تقدّم ذكر أبيه و جدّه فی هذا الكتاب. كان ملك بعد أبيه تميم فی سنة اثنتين و خمسمائة إلى أن مات فی هذه السنة رحمه اللّه.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانی عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۰]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هی سنة عشر و خمسمائة.

فيها قتل الأمير لؤلؤ الذی كان قتل ابن أستاذه ألب أرسلان. و الصحيح أنّه قتل فی الآتية.

و فيها حجّ بالناس أمير الجيوش الجيوشی الحبشیّ المستظهری العباسیّ، و دخل مكّة و على رأسه الأعلام و خلفه الكوسات و البوقات و السيوف فی ركابه، و قصد بذلك إذلال أمير مكّة و السودان؛ فوقع له بمكّة أمور، و لم يقاومه أحد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۲

و فيها توفّی محمد بن علیّ بن ميمون الحافظ أبو الغنائم بن النّرسیّ الكوفیّ، محدّث مشهور و يعرف بأبیّ لأنّه كان جيّد القراءة، و سمع الحديث الكثير و سافر البلاد، و ختم به علم الحديث بالكوفة. قال محمد بن ناصر: ما رأيت مثل أبی الغنائم فی ثقته و حفظه، ما كان أحد يقدر أن يدخل فی حديثه ما ليس منه. و عاش ستا و ثمانين سنة.

و فيها توفّی محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطّاب الكلواذانیّ الفقيه الحنبلیّ.

تفقّه على القاضی أبی يعلى، و سمع الحديث و حدّث و أفتى و درّس، و صنّف «الهداية» و غيرها، و شهد عند قاضی القضاة أبی عبد اللّه الدّامغانیّ الحنفیّ. و كان فاضلا شاعرا. و له قصيدة من جنس العقيدة؛ أولها:

[الكامل]

دع عنك تذكار الخليط المنجد و الشّوق نحو الآنسات الخرّد

و النوح فی أطلال سعدى إنّما تذكار سعدى شغل من لم يسعد

و له أيضا من غير هذه القصيدة:

[الوافر]

لئن جار الزمان علیّ حتّى رمانی منه فی ضنك وضيق

فإنّی قد خبرت له صروفا عرفت بها عدوّی من صديقی

و مات و له ثمان و سبعون سنة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۳

و فيها توفی المسند المعمّر أبو بكر عبد الغفّار بن محمد الشّيرويیّ، مسند نيسابور فی ذی الحجة، و له ستّ و تسعون سنة، و رحل إليه

الناس من الأقطار.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم سبع أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ست أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۱]

السنة السادسة عشرة من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة إحدی عشرة و خمسمائة.

فیها زلزلت بغداد یوم عرفة زلزلة عظیمة ارتجّت لها الدنیا؛ فکانت الحیطان تذهب و تجیء، و وقع الدّور علی أهلها فمات تحتها خلق کثیر. ثم کان عقبها موت السلطان محمد شاه السّلجوقی، ثم موت الخلیفة المستظهر العباسیّ فی السنة الآتیة، و حارب دبیس بن مزید الخلیفة المسترشد بالله، و غلت الأسعار حتی بلغ الکرّ القمح أو الدقیق ثلثمائة دینار، و فقد أصلا، و مات الناس جوعا، و أکلوا الکلاب و السنانیر. ثم جاء سیل عظیم فأخرب سنجار. قال ذلک صاحب مرآة الزمان.

و فیها نزل آق سنقر البرسقی علی حلب و بها یارقتاش الخادم بعد لؤلؤ، فحاصرها فلم یظفر منه بطائل، و عاد إلی الموصل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۴

و فیها توفّی محمد بن سعید بن إبراهیم بن نبهان أبو علیّ الکاتب سبط هلال ابن المحسّن الصابئ المقدّم ذکره، مات فی شوّال و دفن بداره بالکرخ. و کان فاضلا فصیحا شاعرا، إلّا أنّه کان شیعیّا رافضیّا. و من شعره:

[السریع]

لی أجل قدّره خالقی نعم و رزق أتوفّاه

حتّی إذا استوفیت منه الذی قدّر لی لم أتعدّاه

و فیها توفّی السلطان محمد شاه ابن السلطان ملکشاه ابن السلطان ألب أرسلان ابن داود بن میکائیل بن سلجوق بن دقماق، أبو شجاع غیاث الدین السّلجوقیّ. کان ملکا عادلا مهیبا شجاعا کریما. خرج فی السنة الماضیة إلی أصبهان، فمرض بها مرضا طال به إلی أن مات فی حادی عشر ذی الحجّة، و عمره سبع و ثلاثون سنة، و مدّة ملکه بعد وفاة أخیه برکیاروق اثنتا عشرة سنة. و خلّف خمسة أولاد: مسعودا و محمودا و طغرل و سلیمان و سلجوق. و ولی السلطنة من بعده ولده محمود.

و فیها توفّی یمن بن عبد اللّه الخادم أبو الخیر الحبشی خادم المستظهر العباسیّ.

کان مهیبا جوادا حسن التدبیر ذا رأی و فطنة، مات بأصبهان.

و فیها توفّی المحدّث الفاضل أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر [ابن محمد] بن یوسف راوی سنن الدّار قطنیّ. کان من کبار المحدّثین.

و فیها توفّی الشیخ الإمام الفقیه الواعظ الحافظ أبو زکریاء یحیی بن عبد الوهاب ابن مندة بأصبهان. سمع الکثیر و رحل البلاد و برع فی فنون و حدّث، و روی عنه غیر واحد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۵

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم سبع أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۲]

السنة السابعة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة اثنتى عشرة و خمسمائة.

فيها فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرّم خطب ببغداد لمحمود بن محمد شاه السلجوقىّ بعد موت أبيه على المنابر.

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله أبى القاسم عبد اللّه ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر اللّه أبى جعفر عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدىّ بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور بن محمد بن علىّ ابن عبد اللّه بن عبّاس العبّاسىّ الهاشمىّ البغدادىّ. و أمّه أمّ ولد تركيّة تسمّى الطن.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المقتدى بالله فى ثامن عشر المحرّم سنة تسع و ثمانين و أربعمائة، و عمره سبع عشرة سنة و شهران. و كان ميمون الطّلعة حميد الأيّام. قال ابن الأثير: كان ليّن الجانب، كريم الأخلاق، يسارع فى أعمال البرّ، و كانت أيّامه أيّام سرور للرعيّة، فكأنّها من حسنها أعياد. و كان حسن الخطّ جيّد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۶

التوقيعات لا يقارب فيها أحد، تدلّ على فضل غزير و علم واسع. و مات بعلّة التّراقى و هى دمّل يطلع فى الحلق. و من شعره:

[البسيط]

أذاب حرّ الهوى فى القلب ما جمدا يوم مددت إلى رسم الوداع يدا

و كيف أسلك نهج الاصطبار و قد أرى طرائق فى مهوى الهوى قددا

و كانت خلافته خمسا و عشرين سنة و أيّاما. و لم تصف له الخلافة، بل كانت أيّامه مضطربة كثيرة الحروب. و تولّى الخلافة من بعده ابنه المسترشد.

و فيها خرجت والدة السلطان محمود بن محمد شاه من أصبهان إلى السلطان سنجر شاه، فلقيها ببلخ فأكرمها. فقالت له: أدرك ابن أخيك و إلّا تلف، فإنّ الأموال قد تمزّقت، و البلاد قد أشرفت على الأخذ، و هو صبىّ و حوله من يلعب بالملك. فقال لها: سمعا و طاعة. و كان وزير محمود و مدبّر مملكته أبو القاسم، و كان سيئ التدبير ظالما، و كان يخاف من مجىء سنجر شاه المذكور إلى البلاد؛ فأنفق ما فى خزائن محمد شاه فى أربعة أشهر، و باع الجواهر [و الأثاث] و أنفقه فى العساكر فلم يفده ذلك، على ما سيأتى ذكره.

و فيها توفّى بكر بن محمد بن علىّ بن الفضل بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم، الإمام الفقيه الحافظ المحدّث أبو الفضل الأنصارىّ الزّرنجرىّ- و زرنجر: قرية على خمسة فراسخ من بخارى- سمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة، و تفرّد بالرواية عن جماعة منهم، لم يحدّث عنهم غيره. و كان بارعا فى الفقه يضرب به المثل، و يقولون: هو أبو حنيفة الصغير. و كان إذا طلب منه أحد من المتفقهة الدرس ألقى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۷

عليه من أىّ موضع أراد من غير مطالعة و لا نظر فى كتاب، و كان إذا أشكل على الفقهاء شىء رجعوا إلى قوله و نقله.

و فيها توفّى الحسين بن محمد بن علىّ بن الحسن الإمام العلّامة أبو طالب الزينبىّ الحنفىّ فريد عصره. ولد سنة عشرين و أربعمائة، و قرأ القرآن و سمع الحديث و برع فى الفقه و أفتى و درّس. انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة فى زمانه ببغداد، و لقّب بنور الهدى. و ترسّل إلى ملوك الأطراف من قبل الخليفة، و ولى نقابة الطالبيّين و العباسيّين. و كان شريف النفس و الحسب، كثير العلم جليل القدر. و مات يوم الاثنين حادى عشر صفر، و صلّى عليه ابنه القاسم، و حمل إلى قبّة أبى حنيفة فدفن داخل القبّة، و له اثنتان و تسعون سنة. و

كان سمع من غيلان و غيره، و انفرد ببغداد بروايته صحيح البخاريّ عن كريمة بنت أحمد.
و فيها توفّى محمد بن عتيق بن محمد التميمىّ القيروانىّ. قدم الشام مجتازا إلى العراق. و كان يقرئ علم الكلام بالنّظاميّة، و كان يحفظ كتاب سيبويه. و سمع يوما قائلا ينشد أبيات أبى العلاء المعرّى:
[الطويل]
ضحكنا و كان الضّحك منّا سفاهة و حقّ لسكّان البسيطة أن يبكوا
و تحطمنا الأيّام حتّى كأنّنا زجاج و لكن لا يعاد لنا سبك
فقال مجيبا:
كذبت و بيت اللّه حلفة صادق سيسبكنا بعد النّوى من له الملك
و نرجع أجساما صحاحا سليمة تعارف فى الفردوس ما عندنا شكّ
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۸
و فيها توفّى أبو الفضل بن الخازن الشاعر المشهور. كان ديّنا فاضلا شاعرا.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.
***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۳]

السنة الثامنة عشرة من ولاية الامر منصور على مصر و هى سنة ثلاث عشرة و خمسمائة.
فيها قدم السلطان سنجر شاه السلجوقىّ الرىّ و ملكها؛ و اصطلح مع ابن أخيه محمود بن محمد شاه بعد حروب، و زوّجه ابنته، و أقرّه على ملكه.
و فيها وقعت المباينة بين الآمر خليفة مصر (أعنى صاحب الترجمة) و بين مدبّر مملكته الأفضل بن أمير الجيوش؛ و احتجب الآمر عنه و تعلّل بمرض.
و اجتهد الأفضل أن يغتاله بالسمّ فلم يقدر، و دسّ إليه السمّ مرارا فلم يصل إليه.
و كان للآمر قهرمانة كاتبة فاضلة تعرف أنواع العلوم: الطب و النجوم و الموسيقى، حتّى كانت تعمل التحويلات و تحكم على الحوادث، فاحترزت على الآمر؛ و لم تزل تدبّر على الأفضل بن أمير الجيوش حتى قتل، حسب ما يأتى ذكره.
قال ابن القلانسىّ: و فيها ظهرت صور الأنبياء عليهم السلام: الخليل و ولديه إسحاق و يعقوب - صلوات اللّه عليهم- و هم مجتمعون فى مغارة بأرض بيت المقدس، و كأنّهم أحياء لم يبل لهم جسد و لا رمّ لهم عظم، و عليهم قناديل من ذهب و فضّة معلّقة، فسدّوا باب المغارة و أبقوا على حالهم.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۱۹
و فيها توفّى علىّ بن محمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن حمّويه قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانىّ الحنفىّ. ولد فى رجب سنة تسع و أربعين و أربعمائة، و قلّد القضاء و هو ابن ستّ عشرة سنة بعد موت أبيه؛ و ولى القضاء لأربعة خلفاء. و هذا لم يقع لغيره إلّا للقاضى شريح. و أمّا القاضى أبو طاهر محمد ابن أحمد الكوفىّ فذاك ولى لخمسة خلفاء.
قلت: الشىء بالشىء يذكر؛ و هذا قاضى قضاة زماننا، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينىّ، ولى القضاء لستة سلاطين: الناصر فرج، و المنصور عبد العزيز ابنى الظاهر برقوق، و الخليفة المستعين بالله العباسى، و المؤيّد شيخ، و ابنه المظفّر أحمد، و الظاهر ططر. و وقع مثل هذا كثير فى آخر الزمان؛ و المقصود غير ذلك. و كان الدامغانىّ إماما عالما عفيفا ديّنا معظّما عند الخلفاء و الملوك. و ناب

عن الوزارة، و انفرد بأخذ البيعة للخليفة المسترشد. و كان ذا مروءة و صدقات و إحسان، و معرفة بصناعتى القضاء و الشروط. و مات ليلة رابع عشر المحرّم، و دفن فى مشهد أبى حنيفة- رضى اللّه عنه- و عاش ثلاثا و ستين سنة و أشهرا.

ولى القضاء منها تسعا و عشرين سنة و خمسة أيّام. و سمع الحديث من القاضى أبى يعلى الفرّاء و الخطيب و غيرهما، و كان صدوقا ثقة.

و فيها توفّى الإمام العلّامة أبو الوفاء علىّ بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادىّ الحنبلىّ شيخ الحنابلة فى عصره. كان إماما عالما صالحا مفتّنا؛ و مات ببغداد و له اثنتان و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۰

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۴]

السنة التاسعة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة أربع عشرة و خمسمائة.

فيها خطب ببغداد لسنجر شاه السلجوقىّ و لابن أخيه محمود بن محمد شاه جميعا فى المحرّم، و لقب سنجر شاه بالسلطان عضد الدولة، و محمود بجلال الدولة.

و فيها توفّى الحسين بن علىّ بن محمد الإمام العلّامة مؤيّد الدين الطّغرائىّ الكاتب وزير السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقىّ، المقدّم ذكره، و الطغرائى هذا جدّ محمد بن الحسين وزير الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. و كان السلطان محمود نسب خروج أخيه مسعود عليه إلى الطّغرائىّ فقتله.

و قال الذهبىّ: وزير السلطان مسعود قتل فى المصافّ بين مسعود و أخيه محمود.

و كان أفصح الفصحاء، و أفضل الفضلاء، و أمثل العلماء؛ و هو صاحب «لاميّة العجم»، و ديوانه مشهور بأيدى الناس. و من شعره يمدح الوزير نظام الملك على قافيتين:

[الكامل]

يا أيّها المولى الذى اص طنع الورى، شرقا و غربا

و القصيدة كلها على هذا المنوال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۱

و من شعره أيضا:

[السريع]

قوموا إلى لذّاتكم يا نيام و نبّهوا العود و صفّوا المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام

و فيها توفى الحافظ أبو منصور محمود بن إسماعيل الأشقر الأصبهانىّ عالم أصبهان و محدّثها، مات فى ذى القعدة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع الأندلسىّ المرىّ المقرئ المجوّد. كان رأسا فى علوم القرآن، و أفاد و أقرأسنين.

و فيها توفّى الشيخ أبو الحسن علىّ بن الحسن بن الموازينىّ العالم المحدّث المشهور.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم تسع أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۵]

السنة العشرون من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة خمس عشرة و خمسمائة.

فيها كتب الخليفة المسترشد بالله العباسىّ و السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقىّ إلى إيلغارى يأمرانه بإبعاد بيس بن صدقة، و فسخ الكتاب الذى عقده له على ابنته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۲

و فيها توفّى عبد الرزّاق بن عبد اللّه بن علىّ بن إسحاق الطوسىّ ابن أخى نظام الملك. كان فاضلا، تفقّه على أبى المعالى الجوينىّ، و أفتى و ناظر، و وزر للسلطان سنجر شاه السلجوقىّ. و مات بنيسابور.

و فيها توفّى محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو علىّ بن المهتدى الخطيب. كان فاضلا، شهد عند القاضى أبى عبد اللّه الدامغانىّ الحنفىّ، و كان ظريفا صالحا ديّنا.

و مات فى شوّال، و دفن بباب حرب من بغداد.

و فيها قتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ الأرمنىّ وزير مصر و مدبّر ممالكها. ولى مملكة مصر بعد موت أبيه بدر الجمالىّ فى أيّام المستعلى إلى أن مات المستعلى؛ فأقام الأفضل هذه ولده مكانه فى الخلافة، و لقّبه بالآمر (أعنى صاحب الترجمة) و دبّر دولته و حجر عليه. و كان الخليفة المستنصر جدّ الآمر هذا و ولده المستعلى والد الآمر كلاهما أيضا تحت حجر بدر الجمالى والد الأفضل هذا. فلمّا ملك الأفضل سار على سيرة أبيه مع الخلفاء من الحجر و التضييق عليهم. و زاد الأفضل هذا فى حقّ الآمر صاحب الترجمة حتّى إنّه منعه من شهواته، و أراد قتله بالسّم. فحمله ذلك على قتله، و اتّفق الآمر مع جماعة، و كان الأفضل يسكن بمصر؛ فلمّا ركب فى غير موكب و ثبوا عليه و قتلوه فى سلخ شهر رمضان بعد أمور وقعت. و خلّف الأفضل من الأموال و النقود و القماش و المواشى ما يستحيا من ذكره كثرة. و قد ذكرنا ذلك فى «كتاب الوزراء» و هو محلّ الإطناب فى الوزراء، و ليس لذكره هنا محلّ. و المقصود فى هذا الكتاب تراجم ملوك مصر لا غير، و ما عدا ذلك يكون على سبيل الاستطراد.

قال ابن الأثير: كانت ولايته (يعنى الأفضل) ثمانيا و عشرين سنة، و كان حسن السيرة عادلا. ثم أخذ فى تعداد أمواله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۳

و فيها توفّى الإمام الحافظ المحدّث أبو محمد الحسين بن مسعود البغوىّ المعروف بابن الفرّاء. كان إماما حافظا، رحل إلى البلاد و سمع الكثير و حدّث و ألّف و صنّف. و كان يقال له محيى السنة. و مات فى شوّال.

و فيها توفّى الحافظ أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن عمر السّمرقندىّ الإمام الحافظ المشهور. سمع الكثير و روى عنه غير واحد، و كان صدوقا ثقة ديّنا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع، و قيل: خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۶]

السنة الحادية و العشرون من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة ست عشرة و خمسمائة.

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأمير إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين و بين الكفّار على تفليس، فعاد مريضا فمات بعد أيّام.

ذكر وفاته- هو نجم الدين إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين و ديار بكر و حلب، و هو ثالث من ظهر أمره من ملوك بنى أرتق الأعيان. و كان ملكا شجاعا جوادا، له غزوات و مواقف مشهورة مع الفرنج. و كانت وفاته فى هذه السنة عند عوده من تفليس بميافارقين فى شهر رمضان. و ذكر الذهبىّ وفاته فى الخالية؛ و الأصحّ ما قلناه؛ فإنّه عاد إلى ميّافارقين مريضا، فنزل بظاهرها و معه زوجته الخاتون بنت الأمير ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق؛ فمات يوم الخميس سابع عشر شهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۴

رمضان فى قرية تعرف بالفحول؛ فحمل تابوته إلى ميّافارقين. و كان عنده ابنه شمس الدولة سليمان فاستولى على ميّافارقين؛ و استولى ابنه الآخر حسام الدولة تمرتاش على ماردين.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن سليمان أبو محمد والد أبى اليسر شاكر التنوخىّ المعرّىّ. ولد بالمعرّة، و قرأ الأدب، و قال الشعر.

و من شعره:

[الكامل]

يا من تنكّب قوسه و سهامه و له من اللّحظ السقيم سيوف

يغنيك عن حمل السلاح إلى العدا أجفانك المرضى و هنّ حتوف

و فيها توفّى عبد اللّه بن يحيى بن البهلول الأندلسىّ. كان أصله من مدينة سر قسطة من الغرب، و كان فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره قوله: [الطويل]

و لست بمن يبغى على الشعر رشوة أبىّ ذاك لى جدّ كريم و والد

و إنّى من قوم قديما و محدثا تباع عليهم بالألوف القصائد

و فيها توفّى الحسين بن مسعود بن محمد الشيخ الإمام العلّامة أبو محمد البغوىّ الشافعىّ المعروف بابن الفرّاء، الفقيه المحدّث المفسر. و قد تقدّم ذكر وفاته فى الماضية. و الصحيح أنّه مات فى هذه السنة. و هو مصنّف «شرح السنّة» و «معالم التنزيل» و «المصابيح» و كتاب «التهذيب فى الفقه» «و الجمع بين الصحيحين». و كان أبوه يعمل الفراء و يبيعها. و مات بمرو الرّوذ فى شوّال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۵

و فيها توفّى عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق بن خلف أبو القاسم الصّقلّىّ المقرئ المجوّد المعروف بابن الفحّام، مصنّف «التجريد» فى القراءات السبع. كان من كبار شيوخ القرّاء، سكن الإسكندريّة، و قصده الناس من النواحى لعلوّ إسناده و إتقانه.

و فيها توفّى القاسم بن علىّ بن محمد بن عثمان الشيخ الإمام العلّامة الأديب اللغوىّ النحوىّ أبو محمد البصرىّ الحرامىّ الحريرىّ، مصنّف «المقامات». كان يسكن بنى حرام أحد محالّ البصرة مما يلى الشطّ. مولده و مرباه بقرية المشان من أعمال البصرة فى حدود سنة ستّ و أربعين و أربعمائة، و كان أحد أئمة عصره فى الأدب و البلاغة و الفصاحة، و له مصنّفات كثيرة، منها كتاب «المقامات» الذى لا نظير له فى معناه، و قد سلك فيه منوال بديع الزمان صاحب المقامات الذى عملها قبل الحريرىّ؛ و قد تقدّم ذكره فى هذا الكتاب فى محلّه. و فى مقامات الحريرى هذا يقول إمام الدنيا محمود الزمخشرىّ:

[السريع]

أقسم باللّه و آياته و معشر الحجّ و ميقاته

إنّ الحريرى حرىّ بأن نكتب بالتّبر مقاماته

و من شعر الحريرىّ:

[البسيط]

لا تخطونّ إلى خطء و لا خطأ من بعد ما الشيب فى فوديک قد و خطا

و أيّ عذر لمن شابت ذوائبه إذا سعى فى ميادين الصّبا و خطا

و قد أرّخ الذهبيّ وفاته فى السنة الماضية. و اللّه أعلم

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و ست و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۷]

السنة الثانية و العشرون من ولاية الآمر منصور على مصر و هى سنة سبع عشرة و خمسمائة.

فيها قبض السلطان محمود السلجوقيّ على وزيره عثمان بن نظام الملک، و بعث الخليفة بعزل أخيه أحمد عن وزارته. فبلغ أحمد فانقطع عن الديوان.

و فيها سار الأمير نور الدولة بلک [بن بهرام] بن أرتق إلى غزو مدينة الرّهاء فى شهر رجب.

و فيها توفّى الأمير الحاجب فيروز شحنة دمشق. و كان أميرا صالحا ديّنا، و له آثار جميلة بدمشق و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن علىّ أبو عبد اللّه بن الخيّاط التغلبيّ الدمشقيّ الكاتب الشاعر المجيد، طاف البلاد و مدح الأكابر و الملوک؛ قيل: إنّه دخل حلب فى حداثة سنّه، فقصد دار أبى الفتيان بن حيّوس الشاعر و قد أسنّ، قال: فدخلت عليه؛ فقال: من أين أنت؟ فقلت: من دمشق. فقال: ما صناعتک؟ قلت: الشعر.

قال: فأنشدنى من شعرک. فأنشدته قولى:

[الكامل]

لم يبق عندى ما يباع بحبّة و كفاک شاهد منظرى عن مخبرى

إلّا صبابة ماء وجه صنتها من أن تباع و أين أين المشترى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۷

قال: نعيت إلىّ نفسى. قلت: و لم؟ قال: لأنّ الشام لا تخلو من شاعر مجيد، و لا يجتمع فيها شاعران، و أنت موازنى فى هذه الصناعة. ثم أعطانى دنانير و كسوة. و من شعره أيضا قوله فى جواب كتاب:

[البسيط]

وافى كتابک أسنى ما يعود به و فد المسّرة منّى إذ يوافينى

فظلت أطويه من شوق و أنشره و الشوق ينشرنى فيه و يطوينى

و فيها قتل الوزير عثمان بن نظام الملک. كان استوزره السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقيّ؛ فبعث عمّه سنجر شاه السلجوقيّ يطلبه. فقال أبو نصر المستوفى:

متى بعثت به حيّا إلى عمّک سنجر شاه لم تأمنه، اقتله و ابعث إليه برأسه. فبعث عنبرا الخادم إليه ليقتله. فعرف عثمان و قال: أمهلنى حتّى أصلّى ركعتين؛ فقام و صلّى و قال لعنبر: أرنى سيفک ما أراه إيّاه، سيفى أمضى منه، فلا تقتلنى إلّا به؛ و ناوله إيّاه فقتله به. فلمّا كان بعد قليل بعث السلطان محمود إلى أبى نصر المستوفى من فعل به كذلک، و ذبحه ذبح الشاة. قلت: الجزاء من جنس العمل.

و فيها توفّى عبد المنعم بن حفاظ بن أحمد بن خلف المحدّث أبو البركات الأنصاريّ الدمشقيّ، و يعرف بابن البقليّ. كان جوادا

فاضلا، سمع الکثیر؛ و استوزره خیر خان بن قراجا صاحب حمص؛ ثم بلغه أنه کاتب طغتکین صاحب دمشق، فقبض علیه و کحله، فرجع إلی دمشق أعمی، فأقام بها حتّی مات.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ثمانی أذرع و عشر أصابع.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و عشر أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۸]

السنة الثالثة و العشرون من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة ثمانی عشرة و خمسمائة.

فیها عزم دبیس علی قصد بغداد؛ و کان دبیس قد التجأ إلی طغرل بن محمد شاه السلجوقیّ. فتأهّب الخلیفة المسترشد بالله للقائهما، و جمع الجیوش من کلّ جانب؛ ثم ترک دبیس المجیء فی هذه السنة لأمر ما.

و فیها کاتب أهل حلب آق سنقر صاحب الموصل؛ فسار إلی حلب فسلمها إلیه أهلها، و هرب منها الأمیر سکمان بن أرتق؛ فساق آق سنقر البرسقیّ خلفه، فلحقه بمنبج فقتله.

و فیها استولت الفرنج علی صور بالأمان بعد أمور و حروب ذکرناها فی أوّل ترجمة الآمر هذا.

و فیها توفّی عبد اللّه بن محمد بن علیّ بن محمد القاضی أبو جعفر الدّامغانیّ الحنفیّ، شهد عند أبیه، ثم ولی قضاء الکرخ من قبل أخیه، ثم ترک ذلک و رمی الطیلسان و ولی حجبة باب النوبیّ للخلیفة؛ و عظم ذلک علی أخیه. و کان فاضلا کریم الأخلاق حسن العشرة خلیقا بالریاسة.

و فیها توفّی محمد بن نصر بن منصور أبو سعد القاضی الهرویّ. کان فی بداءة أمره فقیرا حتّی اتّصل بالخلیفة، و صار سفیرا بینه و بین الملوک. و استشهد هو و ولده بهمذان، و کانت له الید الباسطة فی النظم و النثر. و من شعره:

[الوافر]

أودّعکم و أودعکم جنانی و أنثر دمعیّ نثر الجمان

و إنّی لا أرید لکم فراقا و لکن هکذا حکم الزمان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۲۹

و فیها توفّی الفقیه أبو الفتح سلطان بن إبراهیم المقدسیّ الشافعیّ بمصر؛ قاله الذهبیّ. کان فقیها عالما بارعا فی فنون.

أمر النیل فی هذه- الماء القدیم سبع أذرع و أربع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۱۹]

السنة الرابعة و العشرون من ولایة الامر منصور علی مصر و هی سنة تسع عشرة و خمسمائة.

فیها جسّر دبیس بن صدقة طغرل بن محمد شاه السلجوقیّ علی قصد بغداد و أن یطلب السلطنة لنفسه، فسار؛ و استعدّ له الخلیفة المسترشد، و وقع له معهما حروب آلت إلی أنّ دبیسا توجّه بعد هزیمته إلی سنجر شاه السلجوقیّ مستجیرا به، فأجاره ثم قبض علیه.

و فیها قبض الآمر صاحب الترجمة علی وزیره المأمون أبی عبد اللّه بن البطائحیّ و علی أخیه أحمد المؤتمن، و استولی علی أموالهما

و ذخائرهما ثم قتلهما، و کانا قد دبّرا فی القبض علیه. و المأمون هذا هو بانی جامع الأقمر بالقاهرة. و کان الآمر استوزره بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن أمیر الجیوش.

و فیها توفی أحمد بن محمد بن الفضل أبو الفضل الکاتب الأدیب الفاضل الشاعر المشهور، المعروف بابن الخازن، و قد تقدّم ذکر وفاته فیما مضی. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۰

و فیها قتل الأمیر آق سنقر البرسقیّ صاحب الموصل. کان أمیرا شجاعا جوادا عادلا فی الرعیّة، و کان الخلفاء و الملوک یحترمونه، و کان قد احترز من الباطنیّة بالرجال و السلاح و الجانداریّة. فدخل یوم الجمعة لجامع الموصل، فجاء إلی المقصورة و فیها جماعة من الصوفیّة لهم عادة یصلّون فیها، فاستراب بهم و دخل فی الصلاة و تأخّر عنه اصحابه؛ فوثب علیه ثلاثة فی زیّ الصوفیّة فضربوه بالسکاکین، فلم تعمل فی جسده للدرع الذی کان علیه؛ فصاحوا: رأسه وجهه، فضربوه حتّی قتلوه، و قتل الثلاثة. و حزن الناس علیه، و أقاموا ابنه مسعودا مقامه.

و فیها توفّی الأمیر سلیمان بن إیلغازی بن أرتق صاحب میّافارقین. کان عادلا شجاعا جوادا، مات فی شهر رمضان و دفن عند أبیه. و جاء أخوه تمرتاش من ماردین، فملک میّافارقین و أحسن إلی أهلها.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم تسع أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۰]

السنة الخامسة و العشرون من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة عشرین و خمسمائة.

فیها توفّی أحمد بن محمد بن محمد الشیخ أبو الفتوح الغزالیّ الطوسیّ، أخو أبی حامد الغزالیّ المقدّم ذکره. کان متصوّفا متزهّدا فی أوّل عمره ثم وعظ، و کان مفوّها.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۱

قال ابن الجوزیّ: و لمّا وعظ قبّله العوامّ. و جلس فی دار السلطان محمود فأعطاه ألف دینار، فلمّا خرج رأی فرس الوزیر فی الدهلیز بمرکب ذهب و قلائد و طوق ذهب، فرکبه و مضی. و بلغ الوزیر فقال: لا یتبعه أحد و لا یعاذ الفرس.

و فیها توفّی عبد اللّه بن القاسم بن المظفّر بن علیّ القاضی أبو محمد المرتضی الشّهرزوریّ والد قاضی القضاة کمال الدین. کان أحد الفضلاء الشّهرزوریّین و العلماء المذکورین، و کان له النظم و النثر. و من شعره:

[الطویل]

و بانوا فکم دمع من الأسر أطلقوا نجیعا و کم قلب أعادوا إلی الأسر

فلا تنکروا خلعی عذاری تأسّفا علیهم فقد أوضحت عندکم عذری

و فیها توفّی محمد بن الولید بن محمد بن خلف بن سلیمان بن أیّوب الشیخ الإمام الفقیه الصوفیّ المالکیّ أبو بکر الطّرطوشیّ الاندلسیّ العالم المشهور نزیل الإسکندریة- و طرطوشة آخر بلاد المسلمین من الأندلس، و قد عادت الآن للفرنج- و کان یعرف بابن أبی رندقة. حجّ و دخل العراق و سمع الکثیر، و کان عالما زاهدا و رعا دیّنا متواضعا متقشّفا متقلّلا من الدنیا راضیا بالیسیر. و قال ابن خلّکان: إنّه دخل علی الأفضل بن أمیر الجیوش بمصر فبسط تحته مئزره، و کان إلی جانب الأفضل نصرانیّ، فوعظ الأفضل حتی أبکاه، ثم أنشد:

[السریع]

يا ذا الذى طاعته قربة و حقّه مفترض واجب

إنّ الذى شرّفت من أجله يزعم هذا أنّه كاذب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۲

و أشار إلى النصرانىّ. فأقام الأفضل النصرانىّ من موضعه و أبعده. و قد صنّف الشيخ أبو بكر كتاب «سراج الملوک» للمأمون الذى ولى وزارة مصر بعد الأفضل، و قد تقدّم ذكره فى الماضية، و له تصانيف أخرى، و فضله مشهور لا يحتاج إلى بيان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و ثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۱]

السنة السادسة و العشرون من ولاية الامر منصور على مصر و هى سنة إحدى و عشرين و خمسمائة.

فيها قتل الباطنيّة وزير السلطان سنجر شاه السلجوقىّ. و كان قد أفنى منهم اثنى عشر ألفا. فبعثوا إليه سائسا يخدم فى إصطبله مدّة إلى أن وجد الفرصة؛ فدخل الوزير يوما يفتقد خيله، فوثب عليه المذكور فقتله، و قتل بعده.

و فيها قتل الأمير مسعود بن آق سنقر البرسقىّ بالرّحبة؛ و كان عزمه أخذ دمشق فعوجل. و كان ولى بعد موت أبيه آق سنقر فى الخالية، فلم تطل مدّته.

و فيها توفّى أحمد [بن أحمد] بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن المتوكّل على اللّه الإمام المحدّث أبو السعادات. سمع الحديث الكثير و رحل البلاد. مات متردّيا من سطحه فى شهر رمضان ببغداد. و كان صحيح السماع ثقة.

و فيها توفّى هبة اللّه بن علىّ بن إبراهيم أبو المعالى الشيرازىّ. كان من أعيان الفضلاء، و له شعر جيّد.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۳

و فيها توفّى العبد الصالح الزاهد أبو الحسن علىّ بن المبارک بن الفاعوس زاهد بغداد. كان كبير القدر، أحد أعيان الصوفيّة، و له أحوال و كرامات. مات ببغداد و كان له مشهد عظيم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا، و أصابع لم تحرّر.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۲]

السنة السابعة و العشرون من ولاية الامر منصور على مصر و هى سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة.

فيها توفّى الحسن بن علىّ بن صدقة الوزير أبو علىّ جلال الدين وزير الخليفة المسترشد بالله العباسىّ. كان فاضلا ديّنا رئيسا عاقلا حسن السّيرة محمود الطريقة محبوبا للخاصّة و العامّة جوادا ممدّحا؛ مات ببغداد و حزن عليه الخليفة. و تطاول بعد موته للوزارة جماعة، منهم عزّ الدولة بن المطلّب، و ابن الأنبارىّ، و أحمد ابن نظام الملک و غيرهم؛ فلم يستوزر الخليفة أحدا منهم، و استناب نقيب النقباء علىّ بن طرّاد الزينبىّ الحنفىّ.

و فيها توفى الحسين بن علىّ بن أبى القاسم الفقيه العلّامة أبو علىّ اللّامشىّ السّمرقندىّ الحنفىّ. كان إماما مفتّنا يضرب به المثل فى النظر، و سمع الحديث و رواه، و كان صالحا دينا على طريق السلف مطّرحا للكلفة. و مات بسمرقند.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۴

و فیها توفّی الأمیر ظهیر الدین أبو المنصور طغتکین بن عبد اللّه الأتابک صاحب الشأم مملوک تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقیّ. کان طغتکین مقدّما عند أستاذه تتش المذکور، و زوّجه أم ابنه دقماق، و نصّ علیه فی أتابکیة ابنه دقماق المذکور. فقام بتدبیر ملکه أحسن قیام، و غزا الفرنج غیر مرّة، و له فی الجهاد الید البیضاء. و قد ذکرنا بعض وقائعه فی أوّل ترجمة الآمر هذا مع الفرنج علی سبیل الاختصار، نعرّف من ذلک همّته و شجاعته. و کان عادلا فی الرعیّة. و لمّا احتضر أوصی بالملک إلی ولده تاج الملوک بوری؛ فسار فی الناس أیضا أحسن سیرة. و مات طغتکین فی صفر بعد أن حکم دمشق سنین کثیرة. رحمه اللّه تعالی.

و فیها توفی عبد اللّه بن طاهر بن محمد بن کاکو أبو محمد الواعظ. ولد بصور و نشأ بالشام. قال أنشدنی أبو إسحاق الشیرازیّ لنفسه: [البسیط]

لمّا أتانی کتاب منک مبتسما عن کلّ معنی و لفظ غیر محدود

حکت معانیه فی أثناء أسطره أفعالک البیض فی أحوالی السّود

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم سبع أذرع و ثمانی أصابع. مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۳]

السنة الثامنة و العشرون من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة ثلاث و عشرین و خمسمائة.

فیها ضمن زنکی بن آق سنقر للسلطان مائة ألف دینار علی ألّا یعزله عن الموصل؛ و ضمن الخلیفة للسلطان أیضا مثل ذلک، و لا یولّی دبیسا ولایة- و کان الخلیفة یکره دبیسا- فقبل السلطان ذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۵

و فیها توفّی طاهر بن سعد الصاحب الوزیر أبو علیّ المزدقانیّ. کان شجاعا جوادا، بنی المسجد علی الشرف شمالی دمشق، و یسمّی مسجد الوزیر، و کان قد عاداه وجیه الدولة بن الصوفیّ، فآنتمی إلی الإسماعیلیّة خوفا منه، فقتل هناک.

و فیها توفّی هبة اللّه بن أحمد بن محمد الحافظ المحدّث أبو محمد الأنصاریّ المعروف یا بن الأکفانیّ. سمع الکثیر و لقی الشیوخ، و سمع جدّه لأمّه أبا الحسن ابن صصری و غیره.

و فیها توفّی الحافظ أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفی الفقیه العالم المشهور؛ مات و له تسع و ثمانون سنة.

و فیها توفّی أبو الحسن عبید اللّه بن محمد بن الإمام أبی بکر البیهقیّ ببغداد فی جمادی الأولی، و کان فاضلا فقیها، سمع الحدیث.

و فیها توفّی الفقیه المحدّث أبو الحجّاج یوسف بن عبد العزیز المیورقیّ الأصل ثمّ الإسکندری، و بها توفّی. کان إماما فقیها عالما بارعا مفتّنا فی کثیر من العلوم.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم سبع أذرع و ست و عشرون إصبعا. مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و خمس أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۴]

اشارة

السنة التاسعة و العشرون من ولایة الآمر منصور علی مصر و هی سنة أربع و عشرین و خمسمائة، و هی السنة التی قتل فیها الآمر

صاحب الترجمة، حسب ما ذكرناه مفصّلا فى ترجمته أوّلا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۶

و فيها (أعنى سنة أربع و عشرين) استوزر بورى بن طغتكين صاحب دمشق المفرّج بن الصوفىّ.

و فيها وصل زنكى بن آق سنقر إلى حلب من الموصل، و قد أظهر أنّه على عزم الجهاد؛ و راسل بورى يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج. فأرسل إليه بورى من استحلفه الأيمان المغلّظة، و استوثق منه لنفسه و لصاحب حمص و حماة.

و فيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة، و هى ذات شوكتين؛ فقتلت من الأطفال خلقا كثيرا. قاله صاحب مرآة الزمان؛ و العهدة عليه فيما نقلناه عنه.

و فيها توفّى إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق العزّىّ الكلبىّ الشاعر. مولده بغزّة. كان أحد فضلاء الدهر، رحل إلى البلاد و امتدح جماعة من الرؤساء. و من شعره و أجاد إلى الغاية:

[الكامل]

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث و الدّواعى مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى منه النوال و لا مليح يعشق

و من العجائب أنّه لا يشترى و يخان فيه مع الكساد و يسرق

و فيها توفّى الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب الإمام البارع أبو عبد اللّه النحوى، و هو أخو أبى الكرم بن فاخر النحوىّ لأمّه. قرأ بالروايات، و سمع الحديث الكثير، و اشتغل باللغة و الأدب، و قال الشعر الرائق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۷

ذكر ولاية الحافظ لدين اللّه على مصر

الحافظ لدين اللّه أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر اللّه منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين اللّه معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدىّ عبيد اللّه، العبيدىّ الفاطمىّ المصرىّ، الثامن من خلفاء مصر من بنى عبيد، و الحادى عشر منهم ممن ولى من آبائه بالمغرب، و هم ثلاثة: المهدىّ و القائم و المنصور. و أوّل من ولى من آبائه بالقاهرة المعزّ لدين اللّه؛ فلهذا قلنا: هو الثامن من خلفاء مصر، و الحادى عشر منهم ممن ولى بالمغرب.

و ولى الحافظ الخلافة بمصر بعد قتل ابن عمه الامر أبى علىّ منصور، على ما يأتى بيانه من أقوال كثيرة. و لم يكن من خلفاء مصر من أبوه غير خليفة سواه و العاضد الآتى ذكره. و لقبوه الحافظ لدين اللّه، و وزر له أبو على أحمد بن الأفضل و لقّب أمير الجيوش، فأحسن إلى الناس و عاملهم بالخير و أعاد لهم مصادراتهم.

و كان قبل ولاية الحافظ هذا اضطرب أمر الديار المصرية؛ لأنّ الآمر قتل و لم يخلف ولدا ذكرا، و ترك امرأة حاملا، فماج أهل مصر و قالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلّا و يخلّف ولدا ذكرا منصوصا عليه الإمامة. و كان الآمر قد نص على الحمل قبل موته؛ فوضعت الحامل بنتا، فعدلوا إلى الحافظ هذا، و انقطع

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۸

النسل من الآمر و أولاده. و هذا مذهب طائفة من الشّيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار الذى قتل بعد واقعة الإسكندريّة.

و قال صاحب مرآة الزمان: و لمّا استمر الحافظ فى خلافة مصر، ضعف أمره مع وزيره أبى علىّ أحمد بن الأفضل أمير الجيوش و قوى شوكة الوزير المذكور، و خطب للمنتظر المهدىّ، و أسقط من الأذان «حىّ على خير العمل» و دعا الوزير المذكور لنفسه على المنابر بناصر إمام الحق، هادى العصاة إلى اتباع الحق؛ مولى الأمم؛ و مالك فضيلتى السيف و القلم. فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير المذكور، على ما يأتى ذكره.

و قال ابن خلّكان: «و هذا الحافظ كان كثير المرض بعلة القولنج، فعمل له شيرماه الديلمىّ طبل القولنج الذى كان فى خزائنهم. و لمّا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مصر كسر فى أيّامه، و قصته مشهورة. [و] أخبرنى حفيد شيرماه المذكور أن جدّه ركّب هذا الطبل من المعادن السبعة، و الكواكب السبعة فى أشرافها، و كل واحد منها فى وقته. و كان من خاصّته إذا ضربه أحد خرج الريح من مخرجه. و لهذه الخاصيّة كان ينفع من القولنج». انتهى كلام ابن خلكان.

قلت: و نذكر سبب كسر هذا الطبل فى ترجمة السلطان صلاح الدين عند استقلاله بمملكة مصر.

و لما عظم أمر الحافظ بعد قتل الوزير المقدّم ذكره، جدد له ألقاب لم يسبق إليها، و خطب له بها على المنابر؛ و كان الخطيب يقول: «أصلح من شيّدت به الدّين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۳۹

بعد دثوره، و أعززت به الإسلام بأن جعلته سببا لظهوره؛ مولانا و سيّدنا إمام العصر و الزمان، أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و على آبائه الطاهرين، حجج اللّه على العالمين». و لمّا قتل الوزير أبو علىّ أحمد المذكور- على ما يأتى ذكره- وزر للحافظ جماعة، فأساءوا التدبير، منهم أبو الفتح يانس أمير الجيوش و مات، فوزر له ابنه الحسن، ثم وزر له بهرام، ثم تولّى الحافظ الأمر بنفسه إلى أن مات.

و كان أمره مع الوزير أبى علىّ أحمد بن الأفضل أنّه لمّا قتل الخليفة الآمر كان الحافظ هذا محبوسا، فأخرجوه و أشغلوا الوقت به إلى أن يولد حمل الآمر، فإن كان صبيّا يلى الخلافة و يحلع الحافظ. و تولّى أحمد المذكور الوزارة و جعلوا الأمور إليه، و ليس للحافظ إلّا مجرّد الاسم فى الخلافة. و كان الوزير المذكور شهما شجاعا عالى الهمة كابيه الأفضل و جدّه بدر الجمالى السابق ذكرهما، فاستولى على الديار المصريّة. و ولدت الحامل بنتا، فاستمرّ الحافظ فى الخلافة تحت الحجر، و صار الأمر كلّه للوزير؛ فضيّق على الحافظ و حجر عليه و منعه من الظهور و أودعه فى خزانة لا يدخل إليه أحد إلّا بأمر الأكمل (أعنى الوزير المذكور) فإنّه كان لقّب بالأكمل فى أيام وزارته. و طلع الوزير إلى القصر و أخذ جميع ما فيه، و قال: هذا كله مال أبى و جدّى؛ ثم أهمل خلفاء بنى عبيد و الدعاء لهم، فإنّه كان سنّيا كأبيه، و أظهر التمسّك بالإمام المنتظر فى آخر الزمان، فجعل الدعاء فى الخطبة له، و غيّر قواعد الرافضة.

فأبغضه الأمراء و الدعاة؛ لأنّ غالبهم كان رافضيّا بل الجميع. ثم أمر الوزير الخطباء بأن يدعو له بألقاب اختصّها لنفسه. فلمّا كرهه الشيعة المصريّون صمّموا على قتله.

فخرج فى العشرين من المحرّم إلى لعب الكرة، فكمن له جماعة و حمل عليه مملوك إفرنجى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۰

للحافظ فطعنه و قتله و قطعوا رأسه، و أخرجوا الحافظ و بايعوه ثانيا، و نهبت دار الوزير المذكور.

و ركب الحافظ إلى دار الخلافة و استولى على الخزائن، و استوزر مملوكه أبا الفتح يانس الحافظىّ. و لقّب أمير الجيوش أيضا و هو صاحب حارة اليانسية، فظهر هو أيضا شيطانا ما كرا بعيد الغور حتى خاف منه أستاذه الحافظ، فتحيّل عليه بكل ممكن و عجز حتى و اطأه فرّاشه بأن جعل له فى الطهارة ماء مسموما، فاستنجى به فعمّل عليه سفله و دوّد؛ فكان يعالج بأن يلصق عليه اللحم الطرىّ فيتعلق به الدود إلى أن مات.

و قال صاحب كتاب «المقلتين فى أخبار الدولتين»: «كان الآمر قد اصطفى مملوكين، يقال لأحدهما هزبر الملوك، و اسمه جوامزد؛ و

الآخر برغش، و ينعت بالعادل. و هو صاحب المسجد قبالة الروضة من بر مصر. و كان الآمر يؤثر هذا الأصغر لرشاقته. فلما قتل الآمر، و ما ثم من يدبر الأمر، اعتمدا على الأمير أبى الميمون عبد المجيد، و كان أكبر الجماعة سنّا، فتحيّلا بأن قالا: إنّ الخليفة المنتقل (يعنون الآمر) كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شىء من ذلك، و إنّه كان يقول عن نفسه: المسكين المقتول بالسكين، و إنّه قال: إنّ الجهة الفلانيّة حامل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۱

منه، و إنّه رأى رؤيا تدلّ على أنّها ستلد ولدا ذكرا، و هو الخليفة من بعده؛ و إنّ كفالته للأمير عبد المجيد أبى الميمون. فجلس عبد المجيد المذكور كفيلا، و نعت بالحافظ لدين اللّه، و أن يكون هزبر الملوك وزيرا، و أن يكون الأمير الأجل السعيد يانس متولّى الباب و إسفهسالار. و كان أصله من غلمان الأفضل بن أمير الجيوش (يعنى من مماليكه)؛ و كان من أعيان الأمراء بمصر، و قرئ بهذا التقرير سجلّ بالإيوان، و الحافظ فى الشبّاك جالس، قرأه قاضى القضاة على منبر نصب له أمام الشبّاك بحضور أرباب الدولة. و استمرّ الحافظ، و انفشّ ورم الحبلى، و وزر له هذا المذكور و أميران بعده، و هما: بهرام الأرمنىّ، و رضوان بن و لخشى.

قلت: و لم يذكر هذا المؤرّخ أمر أحمد الوزير، و لا ما وقع له مع الحافظ، و هو أجدر بأخبار الفاطميّين من غيره. و لعلّه حذف ذلك لكونه كان فى أوّل الأمر. و اللّه أعلم.

قال: استمرّ الحافظ خليفة من سنة أربع و عشرين و خمسمائة إلى جمادى الآخرة سنة أربع و أربعين و خمسمائة. و كان له من الأولاد عدّة: سليمان و هو أكبرهم و أحبّهم إليه، و حسن و كان عاقّا له، و يوسف و جبريل، هؤلاء قبل خلافته.

و ولد له فى خلافته أبو منصور إسماعيل، و خلّف بعد موته. و لما ولّى العهد لسليمان أكبر أولاده فى حياته جعله يسدّ مكان الوزير، و يستريح من مقاساة الوزراء الذين يحيفون عليه و يضايقونه فى أمره و نهيه. فمات سليمان بعد ولايته العهد بشهرين، فحزن عليه شهورا. و ترشّح حسن ثانيه فى العمر لولاية العهد، فلم يستصلحه أبوه الحافظ لذلك و لا أجابه إليه. فعظم ذلك على حسن المذكور، و دعا لنفسه و كاتب الأمراء و عوّل على اعتقال أبيه ليستبدّ هو بالأمر، و أطمع الناس فيما يواصلهم به إذا تمّ له الأمر؛ فامتدّت إليه الأعناق، و كاتب الأمراء و كاتبوه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۲

ثم عاودتهم عقولهم بأنّ هذا لا يتمّ مع وجود الخليفة. و كاتبوا أباه بخلاف ذلك.

فسيّر أبوه تلك الكتب إليه؛ قال: لا تعتقد أن معك أحدا. فأوقع بعدّة من الأمراء، و أخذ ما فى آدرهم. و قصد أبوه الحافظ إضعافه و صرفه عن جرأته بغير فتك، ففسد أمره و افتقر إلى أبيه. و كان حسن المذكور سيّر بهرام الأرمنى المقدّم ذكره حاشدا له ليصل إليه بالأرمن، و كان هذا (بهرام) أميرهم و كبيرهم.

فلمّا لجأ حسن إلى أبيه الحافظ احتفظ به أبوه و حرص عليه. فلما علم من بقى من الأمراء، و هم على تخوّف منه، اجتمعوا على طلبه من أبيه ليقتلوه و يأمنوا أمره؛ فوقفوا ببين القصرين فى عشرة آلاف. فراسلهم الخليفة الحافظ بلين الكلام و تقبيح مرادهم من قتل ولده، و أنّه قد أزال عنهم أمره، و أنّ ضمانه عليه فى ألّا يتصرّف أبدا؛ و وعدهم بالزيادة فى الأرزاق و الإقطاعات. فلم يقبلوا شيئا من ذلك بوجه؛ و قالوا: إمّا نحن و إمّا هو؛ و إن لم نتحقّق الراحة الأبديّة منه و إلّا فلا حاجة لنا بك أيضا و نخلع طاعتك. و أحضروا الأحطاب و النيران لتحريق القصر، و بالغوا فى الإقدام عليه. فلم يجد الخليفة من ينصره عليهم؛ لأنّهم أنصاره و جنده الذين يستطيل بهم على غيرهم. فألجأته الضرورة أنّه استصبرهم ثلاثة أيّام ليتروّى فيما يعمل فى حق ولده؛ فرأى أنّه لا ينفكّ من هذه المنازلة العظيمة التى لم ير مثلها إلّا أن يقتله مستورا و يحسم مادّته و يأمن مباينة عسكره، و أنّه لا يأمن هو على نفسه، و أنّه لا بدّ من التصرف بهم و فيهم، و أنّهم لا ينفكّون من المقام ببين القصرين على هذا الأمر إلّا بعد إنجازه. و كان لخاصته طبيبان يهوديّان يقال لأحدهما أبو منصور، و للآخر ابن قرقة. و كان ابن قرقة خبيرا بالاستعمالات ذكيا. فحضر إليه أبو منصور قبل ابن قرقة، ففاوضه الخليفة فى عمل السقية القاتلة

لولده؛ فتحرّج من ذلك و أنكر معرفته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۳

و حلف برأس الخليفة و بالتوراة أنّه لا يعرف شيئا من هذا فتركه. ثم حضر ابن قرقة ففاوضه فى السقية فقال: الساعة، و لا يتقطّع الجسد بل تفيض النفس لا غير، فأحضرها فى يومه؛ و ألزم الخليفة ولده حسنا على شربها فشر بها و مات، و قيل للقوم سرّا: قد كان ما أردتم، فامضوا إلى دوركم. فلم يثقوا بذلك بل قالوا:

يشاهد منّا من نثق به. فأحضروا أميرا معروفا بالجرأة يقال له المعظّم جلال الدين محمد جلب راغب؛ فدخل المذكور إلى المكان الذى فيه القتيل، فوجده مسجّى و عليه ملاءة، فكشف عن وجهه و أخرج من وسطه بارشينا، فغرزه بها فى مواضع خطرة من جسده حتى تحقّق موته، و عاد إلى القوم فأخبرهم فوثقوا منه و تفرّقوا. و لما نسّاهم الحافظ أمر ابنه قبض على ابن قرقة صاحب السقية فرماه فى خزانة البنود، و أمر بارتجاع جميع أملاكه و موجوده إلى الديوان. و كانت داره بالزقاق الذى كان يسكنه فرّوخ شاه بن أيّوب، تطلّ على الخليج قبالة الغزالة و ما فيه من الدور و الحمّام؛ و هذا الدرب يعرف بدرب ابن قرقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۴

قريب باب الخوخة. ثم أنعم الخليفة على رفيقه أبى منصور و جعله رئيس اليهود، و حصلت له نعمة ضخمة.

قال: و كان الحافظ فى كلّ ستة أشهر يجرّد عسكرا إلى عسقلان بما يتحقّقه من عزمات الفرنج فى القلّة و الكثرة مع من هو فيها مقيم من المركزية و الكنانيّة و غيرهم؛ فكان القلّة من الفرسان من ثلثمائة إلى أربعمائة (يعنى الذين يسيّرهم فى التجريدة)، و الكثرة من أربعمائة إلى ستمائة؛ و يقدّم على كلّ مائة فارس أميرا، و يسلّم للأمير الخريطة؛ و هذا اسم لحمل أوراق العرض من الديوان ليتّفق مع والى عسقلان على عرضهم. ثم يسلّم إليه مبلغا من المال ينفقه فيمن فاتته النفقة.

و كانت النفقة للأمراء مائة دينار، و للأجناد ثلاثين دينارا. فاتّفق أنّ والى عسقلان أرسل كتابا يعرّف الخليفة أنّ عند الفرنج حركة؛ فجرّد الخليفة فى تلك المرة العدّة الكبيرة، و فيهم جلال الدين جلب راغب الأمير الذى كشف صحة موت حسن ابن الخليفة بسقية السمّ؛ فسيّر إليه الخليفة مائة دينار، و هى علامة التجريد و الاهتمام؛ فتجهّز المذكور للسفر فى جملة الناس، و فى نفسه تلك الجناية التى قدّمها عند الخليفة فى ولده حتى قتله. فلمّا كان السفر جلس الخليفة ليخدموه بالوداع و يدعو لهم بالنصر و السلامة؛ فدخلوا إليه و مثلوا بين يديه لذلك و انصرفوا إلّا جلال الدين جلب راغب المذكور. فقال الخليفة: قولوا للأمير: ما وقوفك دون أصحابك! أ لك حاجة؟

فقال: يأمرنى مولانا بالكلام. فقال له: قل. قال: يا مولانا ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول اللّه غيرك. و قد كان الشيطان استزلّنى فأذنبت ذنبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۵

عظيما، عفو مولانا أوسع منه. فقال له: قل ما تريد غير هذا، فإنّا غير مؤاخذيك به.

فقال: يا مولانا، قد توهّمت بل تحقّقت أنّى ماض فى حالة السخط منك، و قد آليت على نفسى أن أبذلها فى الجهاد، فلعلّى أموت شهيدا فيضيع ذلك سخط مولانا علىّ.

فقال له الخليفة: أنت غنىّ عن هذا الكلام، و قد قلنا لك: إنّا ما آخذناك، فأىّ شىء تقصد؟ قال: لا يسيّرنى مولانا تبعا لغيرى، فقد سرت مرارا كثيرة مقدّما، و أخشى أن يظنّ هذا التأخير للذنب الذى أنا معترف به. قال: لا، بل مقدّما و صاحب الخريطة. و أمر بنقل الحال عن المقدّم الذى كان تقرّر للتقدّمة و الخريطة.

فسّر جلال الدين جلب راغب بذلك. ثم أعطاه الخليفة أيضا مائتى دينار، و قال له: اتّسع بهذه.

قال: و كان الأغلب على أخلاق الحافظ الحلم. و مرض الخليفة مرضته التى توفّى فيها، فحمل إلى اللؤلؤة خارج القصر فأثخن فى

المرض فمات بها. و ظهر من وصیّته أنّ ولده أبا منصور إسماعیل، و هو أصغر أولاده، هو الخلیفة من بعده، مع وجود ولدین کاملین، هما أبو الحجّاج یوسف و هو أبو الخلیفة العاضد الآتی ذکره، و أبو الأمانة جبریل. فعقدت علیه الخلافة من بعده، و نعت بالظافر بأمر اللّه، و أن یستوزر له الأمیر نجم الدین بن مصال». انتهی کلام صاحب المقلتین.

و قال ابن القلانسیّ: «و فی سنة أربع و أربعین و خمسمائة ورد الخبر من مصر بوفاة الحافظ بأمر اللّه، و ولی الوزارة أمیر الجیوش أبو الفتح بن مصال المغربیّ؛ فأحسن السیرة و أجمل السیاسة، فاستقامت الأحوال. ثم حدث بعد ذلک من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۶

اضطراب الأمور و الخلف بین السودان و العساکر بحیث قتل بین الفریقین العدد الکثیر و سکنت الفتنة». انتهی کلام ابن القلانسیّ.

و کانت ولایة الحافظ علی مصر تسع عشرة سنة و سبعة أشهر، و تولّی الخلافة بعده أصغر أولاده، حسب ما ذکرناه عن کلام صاحب المقلتین.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۵]

السنة الأولی من ولایة الحافظ عبد المجید علی مصر و هی سنة خمس و عشرین و خمسمائة.

فیها توفّی حمّاد بن مسلم الرّحبیّ الشیخ الإمام الصالح المسّلک، أستاذ الشیخ عبد القادر فی التصوّف و شیخه. سمع الحدیث. و کان علی طریق التصوّف یدّعی المعرفة و المکاشفة و علوم الباطن. و کان یعطی کلّ من تصیبه حمّی لوزة و زبیبة فیأکلهما فیبرأ، و صار الناس یتردّدون إلیه و ینذرون إلیه النذور، فیقبل الأموال و یفرّقها علی أصحابه، ثم کره أخذ النذور، حتّی مات فی شهر رمضان ببغداد، و دفن بالشّونیزیّة. و کان من الأبدال الصالحین. و یعرف بحمّاد الدّبّاس. رحمة اللّه علیه.

و فیها توفّی السلطان محمود بن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملکشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن میکائیل بن سلجوق بن دقماق، عضد الدولة السلجوقیّ. کان ملکا شجاعا. و کان قد عزم علی إفساد الأمور علی الخلیفة المسترشد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۷

العباسیّ، فعاجله الموت بهمذان فی یوم الخمیس خامس عشر شوّال؛ و عمره ثمان و عشرون سنة؛ و مدّة مملکته أربع عشرة سنة. و کان قد عهد إلی ابنه داود و هو صغیر فی حجر زوج أمّه أحمد یلی صاحب أذربیجان. فجدّد أبو القاسم وزیر محمود علی الأمراء العهود، و کتب إلی أحمدیلی بذلک. و کان مسعود أخو محمود المتوفّی ببلاد أرمینیة، فتحرّک لطلب السلطنة، فکتب إلی الخلیفة و لم یکتب لعمّه سنجر شاه السلجوقیّ، فمشی سنجر شاه و ولی السلطنة لابن أخیه طغرل (أعنی لعمّ الصبیّ داود) و رتّب لداود ما یکفیه إلی أن یکبر. و وقع بعد ذلک أمور.

و فیها توفّی محمد بن أحمد بن إبراهیم بن أحمد أبو عبد اللّه الرازیّ ثم المصریّ المعدّل الشاهد، و یعرف بابن الحطّاب، مسند الدیار المصریّة و شیخ الإسکندریّة، مات فی سادس جمادی الأولی و له إحدی و تسعون سنة.

و فیها توفّی هبة اللّه بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العبّاس بن الحصین أبو القاسم الشیبانیّ الهمذانیّ الکاتب البغدادیّ مسند العراق. ولد سنة اثنتین و ثلاثین و أربعمائة، و سمع الکثیر و حدّث و روی عنه غیر واحد.

و فیها قتل الوزیر أبو علیّ أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمیر الجیوش بدر الجمالیّ الأرمنیّ ثم المصریّ وزیر الحافظ العبیدیّ. قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبیّ:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۸

«صاحب مصر و سلطانها الملک الأکمل أبو علیّ و ابن صاحبها و وزیرها» (یعنی الأفضل). قلت: و الحقّ ما نعته به الذهبیّ؛ فإن أحمد

هذا و والده و جدّه هم كانوا أصحاب مصر، و الخلفاء معهم كانوا تحت الحجر و الضيق. و تصديق [ذلك] ما خلفه الأفضل شاهنشاه أبو صاحب الترجمة من الأموال و المواشى و غير ذلك. و إنما كان يطلق عليهم بالوزراء إلّا لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا و هم بلا مدافعة انهم كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا.

و لمّا قتل أبوه الأفضل فى سنة خمس عشرة و خمسمائة فى خلافة الآمر و أخذ الآمر أمواله، سجن ابنه أحمد هذا إلى أن مات. فلمّا مات الآمر أخرج من السجن و جعل أمر مصر إليه، و وزر و استولى على الديار المصريّة. و حجر على الحافظ الخليفة و منعه من الظهور، حسب ما ذكرناه فى ترجمة الحافظ. من أمر قتلته و كيف قتل، فلا يحتاج للتكرار هنا. و بموته صفا الوقت للحافظ و استولى على الملك، و سكن القصر على عادة الخلفاء إلى أن مات.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۶]

السنة الثانية من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر و هى سنة ست و عشرين و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۴۹

فيها توفّى أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر المستوفى المعروف بالعزيز عمّ العماد الكاتب. قبض عليه الأنساباذىّ وزير طغرل و سلّمه إلى بهروز الخادم، فحمله إلى تكريت فقتل بها. و كان من رؤساء الأعاجم، ولد بأصبهان، و هو من بيت كتابة و فضل.

و فيها توفّى الملك تاج الملوك بورى بن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق.

ولى أمر دمشق بعد موت أبيه الأتابك طغتكين فى سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة.

و كان حليما شجاعا شهما. قتل أبا علىّ المزدقانىّ و جماعة كثيرة من الإسماعيليّة. قال ابن عساكر: بعث إليه الإسماعيليّة برجلين فضرباه بالسكاكين، و هو قد خرج من الحمام، فأثّر فيه بعض الأثر، و أقام ينتقض عليه الجرح تارة و يندمل تارة إلى أن مات فى شهر رجب بعد سنين. و لما احتضر أوصى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل فولى بعده. و كانت ولاية بورى على دمشق ثلاث سنين و شهورا.

و فيها توفّى عبد الكريم بن حمزة بن الخضر المحدّث الفاضل ابن محمد السلمىّ الدمشقىّ، سمع الكثير، و توفّى بدمشق. و أنشد لأبى القاسم العجلىّ قوله:

[البسيط]

الضيف مرتحل و المال عارية و إنّما الناس فى الدنيا أحاديث

فلا تغرنّك الدنيا و زهرتها فإنّها بعد أيّام مواريث

و اعمل لنفسك خيرا تلق نائله فالخير و الشر بعد الموت مبثوث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۰

و فيها توفّى علىّ بن عبيد اللّه بن نصر بن عبيد اللّه بن سهل، الإمام أبو الحسن ابن الزاغونىّ شيخ الحنابلة ببغداد. سمع الكثير بنفسه و نسخ بخطّه. و ولد سنة خمس و خمسين و أربعمائة. و كان إماما فقيها متبحّرا فى الأصول و الفروع متقنا واعظا شاعرا.

و فيها توفّى أحمد بن عبيد اللّه بن كادش، الإمام المحدّث أبو العز العكبرىّ، مات فى جمادى الأولى و له تسعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۷]

السنة الثالثة من ولایة الحافظ عبد المجید علی مصر و هی سنة سبع و عشرین و خمسمائة.

فیها خطب لمسعود بن محمد شاه بن ملکشاه السلجوقیّ ببغداد، و من بعده لابن أخیه داود، و خلع علیهما و علی [آق] سنقر الأحمدیلی.

و فیها فتح شمس الملوک بن تاج الملوک بوری ابن الأتابک طغتکین صاحب دمشق [حصن] بانیاس من ید الفرنج.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۱

و فیها توفّی أحمد بن عمّار بن أحمد بن عمّار أبو عبد اللّه الحسینیّ، العالم الفاضل الفصیح الکوفیّ. قدم بغداد و مدح الوزیر ابن صدقة. و من شعره:

[السریع]

و شادن فی الشّرب قد أشربت و جنته ما مجّ راووقه

ما شبّهت یوما أباریقه بریقه إلّا أبی ریقه

قلت: و هذا یشبه قول القائل موالیا، و لم أدر من السابق لهذا المعنی:

قم اسقنی ما تبقّیَ فی أباریق أما تری الصبح قد لاحت أباریق

مع شادن قد روّق سقاریق یسقی المدام و إن عزّت سقاریق

و قریب من هذا الشخص کان بخدمتی، یسمّی بدر الدین حسن الزرکشیّ رحمه اللّه:

أفدی مهفهف و قد روّق دواریق بالسقم داوی لقلبی من دواریق

داساحر اللحظ قد صفّت نماریق مزج المدام بحضرا من نماریق

و فیها توفّی محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد القاضی أبو سعید النیسابوریّ.

ولد بنیسابور و قدم بغداد، و کان رئیس نیسابور و قاضیها، و له دنیا واسعة و منزلة تامّة عند الخاص و العامّ. و مات فی ذی الحجة بنیسابور. و کان فقیها نبیلا ثقة.

و فیها توفّی محمد بن الحسین بن علیّ بن إبراهیم الإمام المحدّث الفرضیّ أبو بکر المزرفیّ، سمع الکثیر و انفرد بعلم الفرائض فی عصره. و مات فی سجوده فی المحرّم.

و کان ثقة صالحا.

و فیها توفّی أبو خازم محمد ابن القاضی أبی یعلی بن الفرّاء الحنبلیّ الفقیه الصالح.

مات فی صفر و هو من بیت علم و فضل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۲

و فیها توفّی الفقیه العلّامة أسعد بن أبی نصر المیهنیّ شیخ الشافعیّة فی عصره و عالمهم، مات فی هذه السنة فی قول الذهبیّ.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و خمس و عشرون إصبعا. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۸]

السنة الرابعة من ولایة الحافظ عبد المجید علی مصر و هی سنة ثمان و عشرین و خمسمائة.

فیها عاد طغرل إلى همذان و مالت العساكر إليه و انحلّ أمر أخيه مسعود.

و مسعود و طغرل كلاهما ولد محمد شاه بن ملكشاه السلجوقیّ.

و فيها خرج شمس الملوك صاحب دمشق يتصيّد، و انفرد من عسكره؛ فوثب عليه أحد مماليك جدّه طغتكين يعرف بإيلبا. و ضربه بالسيف ضربة هائلة، فآنقلب السيف من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض؛ و ضربه أخرى فوقعت فی عنق الفرس، و حال بينهما الفرس فانهزم إيلبا. و عاد شمس الملوك إلى دمشق سالما، و رتّب الغلمان فی طلب إيلبا حتى ظفروا به. فلمّا جاءوا به إليه، قال: ما الذی حملک على قتلی؟ قال: لم أفعله إلّا تقرّبا إلى اللّه لظلمک الناس. ثم قرّره فأقرّ على جماعة؛ فجمع شمس الملوك الجميع و قتلهم صبرا بين يديه. و لم يكفه قتلهم حتّى اتّهم أخاه سونج فجعله فی بيت، و سدّ عليه الباب حتّى مات. ثم بعد ذلک بالغ فی سفک الدماء و الظلم و الأفعال القبيحة إلى أن أخذه اللّه، حسب ما يأتی ذكره.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۳

و فيها أيضا وقع الخلف بين ولدی الخليفة الحافظ صاحب الترجمة، و هما أبو علیّ الحسن المقتول بالسمّ المقدّم ذكره فی ترجمة أبيه، و هو كان ولیّ العهد بعد سليمان، و بين أخيه أبی تراب حيدرة، و كان ذلک بحضرة و الدهم الحافظ بمصر.

و انقسم العسكر فرقتين، أحدهما على مذهب السنّة، و الثانی على مذهب الرافضة، و وقع بينهم القتال، فكان النصر لولیّ العهد؛ و أباد الحسن من تبع أخاه من السودان و الأمراء بالقتل. و بعد هذا كان ركوب الأمراء بين القصرين على الحافظ لطلب حسن هذا حتّى قتله أبوه الحافظ بالسمّ الذی صنعه ابن قرقة اليهودیّ، و قد تبيّن ذكر ذلک كلّه مفصّلا فی ترجمة الحافظ.

و فيها توفّی أحمد بن إبراهيم الشيخ الإمام أبو الوفاء الفيروزآبادی- و فيروزآباذ:

أحد بلاد فارس- و قد تقدّم الكلام على أنّ كل اسم بلد يكون فيها «باذ» فهو بالتفخيم- كان إماما محدّثا، سمع الكثير، و خدم مشايخ الصوفيّة، و كان حافظا لسيرهم و أشعارهم، و كان يسمع الغناء، و يقول لعبد الوهّاب الأنماطیّ: إنی لأدعولک وقت السماع. و كان الأنماطیّ يتعجّب و يقول: أليس هذا يعتقد أن ذلک وقت إجابة! و كانت وفاته فی صفر، و حصر جنازته خلق كثير، و كان صالحا ديّنا.

و فيها توفّی عبد اللّه بن محمد بن أبی بكر الشاشیّ، كان فقيها مفتيا مناظرا ظريف الشمائل حسن العبارة، و يعظ و ينشئ الكلام المطابق المجانس. و من شعره:

[الدوبيت]

الدمع دما يسيل من أجفانی إن عشت مع الفراق ما أجفانی

سجنی شجنی و حالتی سجّانی و العاذل بالملام قد سجّانی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۴

و الذكر لهم يزيد فی أشجانی و النوح مع الحمام قد أشجانی

ضاقت ببعاد منيتی أعطانی و البين به الهموم قد أعطانی

و فيها توفّی علیّ بن محمد الأديب أبو الحسن العنبریّ، و يقال له: ابن دوّاس القنّاء. كان شاعرا فصيحا. أصله من البصرة و سكن واسطا و بها مات. و من شعره من أوّل قصيدة:

[البسيط]

هل أنت منجزة بالوصل ميعادی أم أنت مشمتة بالهجر حسّای

و فيها توفّی محمد بن عبد اللّه بن تومرت الأمير أبو عبد اللّه المنعوت بالمهدیّ الهرغیّ صاحب دعوة عبد المؤمن بن علیّ. كان ابن تومرت هذا ينسب إلى الحسن ابن علیّ بن أبی طالب- رضی اللّه عنهما- و أصله من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب، و نشأ

هناک، ثم رحل فی شبيبته إلى العراق و غيره، و سمع الحديث و تنسّک و هجر لذّات الدنيا؛ ثم عاد إلى المغرب و انتهى إلى بجاية، فكسّر بها آلات اللهو و أهرق الخمور. ثمّ خرج منها إلى قرية يقال لها ملّالة، فرأى بها عبد المؤمن ابن علىّ فتفرّس فيه النجابة، و سأله عن نسبه حتى عرّفه عبد المؤمن. فقال له:

أنت بغيّى. و قال ابن تومرت هذا لأصحابه: هذا الذى بشّر به النّبىّ صلى اللّه عليه و سلّم فقال: «إنّ اللّه تعالى ينصر هذا الدين برجل من قيس سليم» و استبشر به ابن تومرت هذا. ثمّ وقع له مع ملوک المغرب وقائع و أمور يطول شرحها حتّى ملک عدّة بلاد. و كان ابتداء أمره فى سنة اثنتى عشرة و خمسمائة- و قيل: سنة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۵

أربع عشرة و خمسمائة- و مولده فى يوم عاشوراء سنة خمس و ثمانين و أربعمائة.

و مات فى هذه السنة، و قال ابن خلّكان: فى سنة أربع و عشرين. و اللّه أعلم.

و من شعره:

[المتقارب]

أخذت بأعضادهم إذ نأوا و خلّفک القوم إذ ودّعوا

فكم أنت تنهى و لا تنتهى و تسمع وعظا و لا تسمع

فيا حجر الشّحذ حتّى متى تسنّ الحديد و لا تقطع

و كان كثيرا ما يتمثّل بهذا البيت:

[الطويل]

تجرّد من الدنيا فإنک إنّما سقطت على الدنيا و أنت مجرّد

و كان يتمثّل أيضا بقول المتنبى:

[الوافر]

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۹]

السنة الخامسة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة تسع و عشرين و خمسمائة.

فيها توفّى شمس الملوک إسماعيل بن تاج الملوک بورى ابن الأتابک ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق. كانت ساءت سيرته و صادر الناس و أخذ أموالهم و سفک الدماء، و ظهر منه شحّ زائد، و قتل مماليک أبيه و جدّه. و قد ذكرنا من أخباره فى السنة الماضية تبيين ذلک. و زاد ظلمه حتى كتب أهل دمشق إلى زنكى بن آق سنقر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۶

بالمسير إليهم. فقيل: إنه مات قبل وصول زنكى إلى الشام، و استراح أهل دمشق منه.

و فيها توفّى دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علىّ بن مزيد الأمير أبو الأغرّ الأسدىّ. أصله من بنى أسد- و قيل: من بنى

خفاجة- و أوّل من ظهر من بيته جدّه الأكبر مزيد فی أيّام بنی بويه؛ و مات مزيد فقام علیّ ولده مقامه؛ و كان عائنا، ما وقعت عينه علی شیء إلّا هلك. ثم قام بعده ابنه دبيس، ثمّ منصور؛ فجری من منصور فی الخليفة القائم بأمر اللّه ما جری. ثم مات منصور و خلّف ابنه صدقة، فخدم ملكشاه السلجوقیّ ثم خالف ابن بركياروق فقتله بركياروق. و قام بعده ابنه دبيس صاحب الترجمة؛ و كان شرّ أهل بيته، يرتكب الكبائر و يفعل العظائم، و لقی منه الخليفة و المسلمون شرورا كثيرة، و أبطل الحجّ، و أباح الفروج فی شهر رمضان.

و كانت أيّامه سبعا و ستين سنة إلی أن قتله السلطان مسعود السلجوقیّ صبرا فی ذی الحجّة.

و كان دبيس المذكور كثيرا ما ينشد:

[الكامل]

إنّ الليالی للأنام مناهل تطوی و تبسط بينها الأعمار

فقصارهنّ مع الهموم طويلة و طوالهنّ مع السرور قصار

و كان قتله بالمراغة.

و فيها توفّی الخليفة أمير المؤمنين المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدی بالله عبد اللّه ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه العباسیّ الهاشمی البغدادیّ. بويع بالخلافة بعد موت أبيه فی شهر ربيع الآخر سنة اثنتی عشرة و خمسمائة. و مولده فی حدود

النجوم الزاهرة فی ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۷

سنه خمس و ثمانين و أربعمائة. و أمّه أمّ ولد تسمّی لبابة. و كان شهما شجاعا ذا همّة و معرفة و عقل، و كان مشتغلا بالعبادة، سالكا فی الخلافة سيرة القادر. قرأ القرآن و سمع الحديث و قال الشعر، و من شعره:

[الطويل]

أنا الأشقر الموعود بی فی الملاحم و من يملك الدنيا بغير مزاحم

و مات قتيلا. و كان سبب ذلك أنّه خرج لقتال مسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقیّ فخالف عليه عسكره فانكسر و أسر. فراسل سنجر شاه عمّ مسعود يلوم مسعودا؛ فرجع مسعود عن قتاله و ضرب له السّرادق، فنزل المسترشد هذا فيه. ثمّ وصل رسول سنجر شاه إلی الخليفة و معه سبعة عشر نفرا من الباطنيّة؛ فركب مسعودا لتلقّی رسول عمّه سنجر شاه و معه العسكر، فسبقت الباطنيّة فی زیّ الغلمان و دخلوا علی الخليفة و ضربوه بالسكاكين حتّی قتلوه و قتلوا من كان عنده؛ و عادت العساكر فأحدقت بالسرادق، و خرج الباطنيّة و السكاكين بأيديهم فيها الدم؛ فمالت العساكر عليهم فقتلوهم و أحرقوهم. و غطّی الخليفة بسندسة خضراء لفّوه فيها، و دفن علی حاله بباب مراغة. و كان قتله فی سابع عشر ذی القعدة، و عمره خمس و أربعون سنة، و خلافته سبع عشرة سنة و ثمانية أشهر و أيام. و بويع بالخلافة بعده ابنه أبو جعفر منصور، و لقب بالراشد، و كان ببغداد.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانی عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۰]

السنة السادسة من ولاية الحافظ عبد المجيد علی مصر و هی سنة ثلاثين و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۸

فيها خلع الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد المقدّم ذكره، لأمور وقعت بينه و بين السلطان سنجر شاه و ابن أخيه السلطان مسعود و قطع خطبته. و كاتب الخليفة زنكی بن آق سنقر و أطمعه فی الملك، و قال: يكون السلطان ألب أرسلان بن محمود

بن محمد شاه بن ملكشاه، و أنت تكون أتابكه؛ فكان هذا أوّل سبب الفتنة، و خرج الخليفة من بغداد، و وقع له أمور آلت إلى خلعه.
قال صدقة الحدّاد الحنبلىّ فى تاريخه: إن الوزير أبا القاسم بن طرّاد صدّر محضرا على الراشد فيه أنواع من الكبائر ارتكبها من الفسق و الفجور و نكاح أمّهات أولاد أبيه و أخذ أموال الناس و سفك الدماء، و أنّه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إماما. فتوقّف الشهود؛ فهدّدهم ابن طرّاد و قال: علمتم صحّة هذا، فما المانع من إقامة الشهادة! فشهدوا. و كان السلطان مسعود قد جمع القضاة و الشهود و الأعيان و أخرج لهم نسخة يمين كانت بينه و بين الراشد، أخذها عليه بخطّه: «متى حشدت أو حاذيت و جذبت سيفا فى وجه مسعود فقد خلعت نفسى من هذا الأمر»، و فيها خطوط القضاة و الشهود بذلك. فحكم القضاة حينئذ بخلعه؛ فخلع فى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة. و ولّوا المقتفى محمد ابن المستظهر أخ المسترشد عمّ الراشد هذا، و حبس الراشد إلى أن مات، حسب ما يأتى ذكره إن شاء اللّه فى محله.
و فيها توفّى القاسم بن عبد اللّه بن القاسم القاضى شمس الدين الشّهرزورىّ أخو القاضى كمال الدّين الشهرزورىّ، ولى قضاء الموصل، و كان يعظ و له قبول حسن، و للناس فيه اعتقاد.
النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۵۹
و فيها توفّى يوسف بن فيروز حاجب شمس الملوک إسماعيل. كان [من] مماليك طغتكين. حقدوا عليه لأنّه هو الذى أشار على شمس الملوک بقتل إيلبا الذى ضرب شمس الملوک بالسيف، حسب ما ذكرناه؛ فاتّفقوا على قتله؛ فالتقاه بزاوش الأتابكىّ عند المسجد الجديد فضربه بالسيف على وجهه فقتله فى جمادى الآخرة.
و فيها توفّى الإمام العلّامة أبو الحسن علىّ بن أحمد بن منصور بن قيس الغسّانىّ المالكىّ النحوىّ. كان إماما فقيها عالما نحويّا، حلّق و درّس سنين و أقرأ النحو و قصده الناس و انتفع به خلق كثير.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع أصابع.
***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۱]

السنة السابعة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة.
فيها أرسل السلطان مسعود طالب الخليفة المقتفى لأمر اللّه العبّاسىّ و حواشيه بمائة ألف دينار. فبعث إليه المقتفى يقول: ما رأيت أعجب من أمرك! أنت تعلم أنّ أخى المسترشد سار من بغداد إليك بأمواله، فوصل الكلّ إليك و رجع أصحابه بعد قتله عراة، و ولى ابن أخى الراشد ففعل ما فعل، ثمّ رحل و أبقى أمواله و خزائنه فى الدار، فأخذت الجميع. و أمّا الناس فإنّى عاهدت اللّه أنّى لا آخذ لأحد شيئا، و قد أخذت أنت أيضا الجوالى و التركات؛ فمن أىّ وجه أقيم لک هذا المال!.
النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۰
و فيها تتبع المقتفى القوم الذين أفتوا بفسق الراشد و كتبوا المحضر، و عاقب من استحقّ العقوبة، و عزل من يستحقّ العزل، و نكب الوزير شرف الدّين علىّ بن طرّاد. و قال المقتفى: إذا فعلوا هذا مع غيرى فهم يفعلونه معى؛ و استصفى أموال الزينبى، و استوزر عوضه سديد الدولة بن الأنبارىّ، و كان كاتب الإنشاء.
و فيها توفى مرشد بن علىّ بن المقلد بن نصر بن منقذ الأمير أبو سلامة صاحب شيزر. كان عارفا بفنون العلوم و الآداب، صالحا كثير العبادة و التلاوة. و كان أخوه نصر ولّاه شيزر فتركها و قال: لا أدخل فى الدنيا! و ولّاها أخاه سلطان بن علىّ.
و سافر البلاد، و كان له يد طولى فى العربيّة و المكاتبة و الشعر. كان كثير الصوم شديد البأس و النجدة فى الحرب حسن الخطّ، كتب بخطّه سبعين ختمة، و كان له شعر.

و فيها توفّى بدران بن صدقة بن منصور، و هو من بنى مزيد، و لقبه شمس الدولة.

و لمّا فعل أخوه دبيس ما فعل بالعراق و تغيّرت أحواله، خرج إلى مصر، فأكرمه صاحبها الحافظ صاحب الترجمة. و كان أديبا فاضلا، مات فى هذه السنة.

و فيها توفّى إسماعيل بن أبى القاسم بن أبى بكر النيسابورىّ الإمام القارئ، مات فى شهر رمضان. و كان رأسا فى علم القرآن و غيره.

و فيها توفى الحافظ أبو جعفر محمد بن أبى علىّ الهمذانىّ الحافظ المحدّث المشهور، سمع الكثير و كتب و صنّف و حدّث، و روى عنه غير واحد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۱

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۲۲]

السنة الثامنة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر و هى سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة.

فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو بكر الدّينورىّ الحنبلىّ، تفقّه على أبى الخطّاب الكاوذانىّ، و برع فى الفقه و المناظرة. و مات فى جمادى الأولى، و دفن قريبا من الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. رضى اللّه عنه.

و فيها توفّى الوزير أنوشروان [بن محمد] بن خالد بن محمد أبو نصر القاشانىّ القينىّ (و قين: قرية من قرى قاشان) وزر المسترشد الخليفة و للسلطان مسعود السلجوقىّ.

و كان مهيبا عاقلا فاضلا. و هو كان السبب فى عمل الحريرىّ المقامات التى أنشأها.

حكى أنّ الحريرىّ كان جالسا بمسجد ببنى حرام، و هى محلّة من محال البصرة، إذ دخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رثّ الثياب. فاستنطقه الحريرىّ فإذا هو فصيح اللّهجة حسن العبارة. فسأله من أين الشيخ؟ فقال: من سروج.

قال: فما كنيته؟ قال: أبو زيد. فعمل الحريرىّ المقامة الحراميّة بعد قيامه من ذلك المجلس. هكذا قال صاحب مرآة الزمان.

قلت: و لعلّ الحريرىّ كان سمع به قبل ذلك و ما اجتمع به؛ فإنّ الذهبىّ قال عن أبى زيد السّروجىّ: إنّه رجل مكد لحوح فصيح العبارة يسمى المطهّر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۲

ابن سلّار. و كان الوزير أنوشروان كريما جوادا ذا همّة عالية و إقدام. و مات فى شهر رمضان. رحمه اللّه.

و فيها توفّى المسند بدر بن عبد اللّه أبو النجم، سمع الحديث الكثير، و مات فى شهر رمضان عن ثمانين سنة ببغداد. و كان سليم الباطن. طلب منه أصحاب الحديث إجازة، فقال: كم تستجيزون! ما بقى عندى إجازة.

و فيها توفّى الأمير البقش السّلاحىّ. كان أميرا كبيرا، ناب عن السلطان فى ممالك؛ ثم توهّم السلطان منه و قبض عليه و حبسه بقلعة تكريت، ثم أمر بقتله، فغرّق نفسه فى دجلة، فأخرج من الماء و قطع رأسه و حمل إلى السلطان.

و فيها توفّى الحسين بن تلمش بن يزدمر أبو الفوارس التركىّ الصوفىّ البغدادىّ.

كان شاعرا. و من شعره:

[الخفيف]

أتمنّى أنّى أكون مريضا علّها أن تعود فى العوّاد

فتراها عينى فيذهب عنّى ما أقاسيه من جوى فى فؤادى

و فيها توفّى محمد بن عبد الملك بن محمد الشيخ أبو الحسن الكرجىّ. كان محدّثا فقيها شاعرا شافعىّ المذهب، و صنّف فى مذهبه. و كان كريما جوادا. و من شعره:

[الوافر]

تناءت داره عنّى و لكن خيال جماله فى القلب ساكن

إذا امتلأ الفؤاد به فماذا يضرّ إذا خلت منه المساكن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۳

و فيها توفّى الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور ابن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بأمر اللّه عبد اللّه ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه، العباسىّ الهاشمى. بويع بالخلافة بعد قتل أبيه المسترشد فى ذى القعدة سنة تسع و عشرين و خمسمائة. و مولده فى سنة اثنتين و خمسمائة. و خرج بعد خلافته بمدّة إلى الموصل لقتال مسعود و غيره، فخذله أصحابه؛ فقبض السلطان مسعود عليه، و خلعه من الخلافة، حسب ما ذكرناه فى سنة ثلاثين و خمسمائة، و حبسه إلى أن قتله فى هذه السنة. و أمّه أمّ ولد حبشية يقال لها [أمّ السادة]. و يقال: إنّ الراشد هذا ولد مسدودا، فأحضر أبوه المسترشد الأطبّاء، فأشاروا أن يفتح له مخرج بالة من ذهب، ففعل به ذلك فنفع. و حكى عن الراشد هذا أيضا أن والده أعطى له عدّة جوار و عمره أقلّ من تسع سنين، و أمرهنّ أن يلاعبنه؛ و كانت فيهنّ جارية حبشية فحملت من الراشد فلمّا ظهر الحمل و بلغ المسترشد أنكره لصغر سنّ ولده الراشد؛ و سألها فقالت:

و اللّه ما تقدّم إلىّ غيره، و إنّه احتلم. فسأل باقى الجوارى فقلن كذلك. و وضعت الجارية صبيا و سمّى أمير الجيش. و قيل لأبيه: إنّ صبيان تهامة يحتلمون لتسع، و كذلك نساؤهم. و كانت قتلة الراشد هذا فى شهر رمضان من هذه السنة بظاهر أصبهان. و قال الذهبىّ: إنّ قتلته كانت فى الخالية. و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إصبع واحدة.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۴

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۳]

السنة التاسعة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر و هى سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة.

فيها كانت زلزلة عظيمة أهلكت مائتى ألف و ثلاثين ألف إنسان، قاله صاحب مرآة الزمان. و قال ابن القلانسىّ: إنّها كانت بالدنيا كلّها، و إنما كانت بحلب أعظم، جاءت ثمانين مرّة، و رمت أسوار البلد و أبراج القلعة، و هرب أهل البلد إلى ظاهرها.

و فيها توفى إسماعيل بن محمد بن أحمد الشيخ الأديب أبو طاهر الوثّابىّ. كان شاعرا فصيحا مترسّلا.

و فيها توفّى علىّ بن أفلح الرئيس أبو القاسم الكاتب البغدادىّ. كان عالما فاضلا كاتبا شاعرا. تقدّم عند الخليفة المسترشد حتّى إنّه لقّبه جمال الملك و أعطاه الذهب و رتّب له الرواتب. ثمّ بلغه عنه أنّه كاتب دبيسا، فأراد القبض عليه، فهرب إلى تكريت و استجار ببهروز الخادم؛ فشفع فيه فعفا عنه الخليفة. و من شعره:

[البسيط]

دع الهوى لأناس يعرفون به قد ما رسوا الحبّ حتّى لان أصعبه

بلوت نفسك فيما لست تخبره و الشيء صعب على من لا يجرّ به

و فیها توفّی الأمیر محمود بن تاج الملوک بوری بن الأتابک ظهیر الـدین طغتکین، الملک شـهاب الـدین صاحب دمشق. ولی دمشـق مکان أبیه- قلت: و لعلّه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۵

ولی بعد أخیه شـمس الملوک إسـماعیل. و اللّه أعلم- و لمّا ولی إمرة دمشق ساءت سیرته، فاسـتوحش منه جماعة من أمرائه و اتّفقوا علی قتله مع یوسف الخادم و التّفش الأرمنیّ. و کانا ینامان حول سریره و ساعـدهما عنبر الفرّاش الخرکاویّ علی ذلک. فلمّا کان لیلة الجمعـة ثـالث عشـرین شوّال ذبحوه علی فراشه و خرجوا هاربین؛ فظفروا بهم و أخـذوا یوسف و عنبرا فصـلبا، و هرب التّغش. و کتب الأـمراء إلی أخی محمود هـذا، و هو محمـد بن بوری بن طغتکین و کـان ببعلبـکّ، و کـان صبیّـا لم یبلغ الحلم، فجاء مسـرعا و دخل دمشق، فملّکوه و لقّبوه جمال الدین. و انتهی الخبر إلی خاتون صـفوة الملک والدة محمود المقتول؛ فراسلت الأمیر عماد الدین زنکی بن آق سنقر تعرّفه الحال و تطلب منه أخذ الثأر؛ فجاء إلی دمشق و ملکها بالأمان، ثم غدر بهم و أمر بقتلهم و صلبهم.

قلت: و عماد الدین زنکی هذا هو والد السلطان نور الدین محمود بن زنکی المعروف بالشهید.

و فیها توفّی الشیخ الإمام المقرئ أبو العبّاس أحمد بن عبد الملک بن أبی جمرة.

کان عالما فاضلا سمع الحدیث و روی عنه غیر واحد، و هو آخر من روی بالإجازة عن أبی عمرو الدانی.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و خمس أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۶

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۴]

السنة العاشرة من ولایة الحافظ علی مصر و هی سنة أربع و ثلاثین و خمسمائة.

فیها قتل الأمیر جوهر خادم السلطان سنجر شاه بن ملکشاه السلجوقیّ.

کان خادما حبشیّا حاکما فی الـدّول. قتله باطنیّ جاءه فی صورة امرأة فاسـتغاث به؛ فوقف له جوهر لأخـذ ظلامته؛ فرمی الإزار و وثب علیه و قتله؛ فقتلته خدم جوهر فی الوقت. و عزّ علی سنجر شاه قتله و حزن علیه.

و فیهـا تـوفّی یحیی بن علیّ بن عبـد العزیز القاضـی الزّکیّ أبو الفضـل قاضـی دمشق، و هو جـدّ ابن عسـاکر لأـمّه. تفقّه علی أبی بکر الشاشـیّ ببغـداد، و تفقّه بـدمشق علی القاضـی المروزیّ، و مات بـدمشق فی هـذه السـنة. و قال الذهبیّ: فی الآتیة، و کان إماما فاضـلا عالما. رحمه اللّه.

و فیهـا توفّی الأـمیر جمـال الـدین محمـد ابن الأـمیر تـاج الملوک بوری ابن الأتابک ظهیر الـدین طغتکین صاحب دمشق. کان ملک دمشق بعد قتل أخیه محمود، فلم تطل مدّته، و حضـر الأمیر زنکی بن آق سـنقر و أخذ دمشق منه و استولی علیها، حسب ما ذکرناه. و مات فی شعبان و لم أدر مات قتیلا أم حتف أنفه.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و ثمانی عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا، و شرقت البلاد.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۵]

السنة الحادية عشرة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۷

فيها نقل الخليفة المقتفى لأمر اللّه العبّاسىّ المظفّر بن محمد بن جهير من الأستاداريّة إلى الوزر. قلت: و هذا أوّل ما سمعنا بوظيفة الأستاداريّة فى الدّول.

و فيها توفّى محمد بن عبد الباقى الشيخ الإمام أبو بكر الأنصارىّ. هو من ولد كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خلّفوا. كان إماما عالما. و كان إذا سئل عن مولده يقول: أقبلوا على شأنكم، لا ينبغى لأحد أن يخبر [عن] مولده، إن كان صغيرا يستحقرونه، و إن كان كبيرا يستهرمونه. و كان ينشد:

[الكامل]

لى مدّة لا بدّ أبلغها فإذا انقضت و تصرّمت متّ

لو عاندتنى الأسد ضارية ما ضرّ بى ما لم يجى الوقت

و فيها توفّى الشيخ الإمام حافظ عصره أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الطّلحىّ الأصبهانى التيمىّ. ولد سنة تسع و خمسين و أربعمائة، و سافر البلاد و سمع الكثير و برع فى فنون، و كان إماما فى التفسير و الحديث و الفقه و اللغة، و هو أحد الحفّاظ المتقنين. و مات بأصبهان فى يوم عيد النحر.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الفقيه المحدّث أبو الحسن رزين بن معاوية العبدرىّ السّرقسطىّ، مات بمكّة فى المحرّم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۸

و فيها توفّى القدوة الصالح الواعظ أبو يعقوب يوسف بن أيّوب الهمذانىّ الواعظ المفسّر، كان إماما فاضلا، و له لسان حلو فى الوعظ، و للناس فيه محبّة و عليه القبول.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۶]

السنة الثانية عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر و هى سنة ست و ثلاثين و خمسمائة.

فيها توفّى شيخ الإسلام الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة، إمام الحنفيّة ببخارى و صدر الإسلام. كان علّامة عصره، و كانت له الحرمة العظيمة، و النعمة الجليلة، و التصانيف المشهورة؛ و كان الملوك يصدرون عن رأيه. و لمّا عزم سنجر شاه ابن ملكشاه على لقاء الخطا، أخرجه معه، و فى صحبته من الفقهاء و الخطباء و الوعّاظ و المطّوّعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر، فقتلوا فى المصافّ عن آخرهم، و أسر الحسام هذا و أعيان الفقهاء. فلمّا فرغ المصافّ أحضرهم ملك الخطا و قال:

ما الذى دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم و الإضرار بمن لم يضرّكم؟ و ضرب أعناق الجميع. و انهزم سنجرشاه فى ستّ أنفس، و أسرت زوجته و أولاده و أمّه و هتك حريمه، و قتل عامّة أمرائه. قال صاحب مرآة الزمان: و قتل مع سنجرشاه اثنا عشر ألف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۶۹

صاحب عمامة كلّهم رؤساء، و كان يوما عظيما لم ير مثله فى جاهليّة و لا إسلام، و كانت قتلة ابن مازة المذكور فى صفر.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو سعد أحمد بن محمد بن الشيخ علىّ بن محمود الزّوزنىّ الصّوفى. كان إماما عالما فاضلا رأسا فى علم التصوّف. مات ببغداد فى شعبان.

و فيها توفّى الشيخ العارف بالله أبو العبّاس أحمد [بن محمد] بن موسى الصّنهاجىّ الأندلسىّ المالكىّ العالم الصوفىّ. كان ممن جمع

بين علمى الشريعة و الحقيقة.

و فيها توفّى الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السّمرقندىّ، مات ببغداد فى ذى القعدة. و كان حافظا مفتّنا، سمع الكثير و سافر البلاد و كتب و حصّل و حدّث، روى عنه غير واحد.

و فيها توفّى شرف الإسلام عبد الوهّاب ابن الشيخ أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشّيرازىّ الفقيه الحنبلىّ الواعظ. كان رأسا فى الوعظ مشاركا فى فنون كثيرة.

و مات بدمشق.

و فيها توفّى الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن علىّ المازرىّ المالكىّ الحافظ المحدّث المشهور، مات فى شهر ربيع الأوّل و له ثلاث و ثمانون سنة. و كان إماما حافظا متقنا عارفا بعلوم الحديث، و سمع الكثير و سافر البلاد و كتب الكثير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۰

و فيها توفّى إمام جامع دمشق أبو محمد هبة اللّه بن أحمد بن عبد اللّه بن علىّ بن طاوس. كان رجلا فقيها صالحا و رعا حسن القراءة، أمّ سنين بجامع دمشق، و مات بها.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو سعد أحمد بن محمد ابن الشيخ على بن محمود الزّوزنى الصوفىّ ببغداد فى شعبان. و أبو العبّاس أحمد ابن محمد بن موسى [بن عطاء اللّه] بن العزيف الصنهاجىّ الأندلسىّ العارف.

و الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السّمرقندىّ ببغداد فى ذى القعدة. و الفقيه أبو محمد عبد الجبّار بن محمد بن أحمد الخوارىّ البيهقىّ فى شعبان. و أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبى الرجال، و قد تغيّر.

و شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشّيرازىّ الحنبلىّ الواعظ بدمشق. و أبو حفص عمر بن العزيز بن مازة شيخ الحنفيّة بما وراء النهر، قتل صبرا فى صفر. و أبو عبد اللّه محمد بن علىّ المازرىّ المالكىّ الحافظ فى شهر ربيع الأوّل، و له ثلاث و ثمانون سنة. و أبو الكرم نصر اللّه بن محمد بن محمد بن مخلد بن الجلخت بواسط فى ذى الحجّة. و إمام جامع دمشق أبو محمد هبة اللّه بن أحمد بن عبد اللّه بن علىّ بن طاوس. و أبو محمد يحيى بن علىّ بن الطرّاح المدينىّ فى رمضان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۱

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۷]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة.

فيها ملك الأمير زنكى بن آق سنقر التركى والد بنى زنكى قلعة الحديثة التى على الفرات، و نقل من كان بها من آل مهارش إلى الموصل، و رتّب فيها نوّابه.

و فيها توفّى الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى الضوء الشريف أبو محمد الحسينى البغدادىّ، نقيب مشهد موسى بن جعفر ببغداد. كان إماما فاضلا فصيحا شاعرا إلّا أنّه كان على مذهب القوم، متغاليا فى التشيّع، فشان سودده بذلك. و من شعره قوله فى المرثية التى عملها فى الشريف النقيب طاهر، و أظنّها من جملة أبيات،:

[الخفيف]

قرّبانى إن لم يكن لكما عق ر إلى جنب قبره فاعقرانى

و انضحا من دمى عليه فقد كا ن دمى من نداه لو تعلمان

قلت: للّه درّه! لقد أحسن و أبدع فيما قال. و قد ساق ابن خلّكان هذه الأبيات فى ترجمة خالد الكاتب، و ساق له حكاية ظريفة، و ذكر الأبيات فى ضمنها فلتنظر هناك.

و فيها توفى السلطان داود ابن السلطان محمود شاه ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۲

ابن دقماق السلجوقىّ، صاحب أذربيجان و غيرها، الذى كسره السلطان مسعود و جرى له معه وقائع و حروب- تقدّم ذكر بعضها- حتّى استولى على تلك النواحى. و كان سبب موته أنّه ركب يوما فى سوق تبريز، فوثب عليه قوم من الباطنيّة فقتلوه غيلة، و قتلوا معه جماعة من خواصّه، و دفن بتبريز. و كان ملكا شجاعا جوادا عادلا فى الرعيّة يباشرا الحروب بنفسه.

و فيها توفّى العلامة قاضى القضاة عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد أبو سعيد الهروىّ الحنفىّ قاضى بلاد الروم. كان إماما فقيها متبحّرا مصنّفا، و له مصنّفات كثيرة فى الأصول و الفروع، و خطب و رسائل، و أدّب و أفتى و درّس سنين عديدة.

و مات بمدينة قيساريّة فى شهر رجب من السنة المذكورة. و من شعره:

[الكامل]

و إذا متتّ إلى الكريم خديعة فرأيته فيما تروم يسارع

فاعلم بأنّك لم تخادع جاهلا إنّ الكريم بفعله يتخادع

و فيها توفّى القان ملك الخطا و الترك الملك كوخان و هو على كفره. و أظنّه هو الذى كسر سنجرشاه السلجوقىّ المقدّم ذكره، و قتل تلك الأمم. و اللّه أعلم.

و فيها توفّى القاضى المنتخب أبو المعالى محمد بن يحيى بن علىّ القرشىّ قاضى قضاة دمشق و عالمها، مات بها فى شهر ربيع الأوّل و له تسع و تسعون سنة.

و فيها توفّى صاحب المغرب أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين المعروف بالملثّم، قاله الذهبىّ فى تاريخ الإسلام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۳

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو عبد اللّه الحسين ابن علىّ سبط أبى منصور الخيّاط. و أبو الفتح عبد اللّه بن محمد بن محمد البيضاوىّ فى جمادى الأولى. و أبو طالب علىّ بن عبد الرحمن بن أبى عقيل الصورىّ بدمشق.

و كوخان سلطان الخطا و هو على كفره. و الخطيب أبو الفضل محمد بن عبد اللّه بن المهتدى بالله. و أبو الفتح مفلح بن أحمد الرومىّ الورّاق ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۸]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة.

فيها توفّى نقيب النقباء علىّ بن طرّاد بن محمد بن علىّ أبو القاسم الزينبىّ. كان معظّما فى الدول. ولّاه الخليفة المستظهر بالله نقابة النقباء، و لقّبوه بالرضى ذى الفخرين. و كان من بيت الرياسة و النقابة و الفضل.

قلت: و كان ولى الوزارة؛ فنقم عليه الخليفة المقتفى بالله و صادره بما فعله مع الخليفة الراشد من كتابة المحضـر المقدّم ذكره فى سـنة ثلاثين و خمسمائة. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۴

الزينبىّ هذا إماما فاضلا فقيها بارعا فى مذهب الإمام أبى حنيفة، و كان جوادا ممدّحا. مدحه الحيص بيص بقصيدته التى أوّلها:

[الكامل]

ما أنصفت بغداد نائبها الذى كبرت نيابته على بغداد

و فيها توفّى الشـيخ الإمام العالم العلّامة فريد عصـره و وحيد دهره و إمام وقته أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى الخوارزمىّ النحوىّ اللغوىّ الحنفىّ المتكلم المفسّر صاحب «الكشّاف» فى التفسير و «المفصّل» فى النحو. و كان يقال له جار اللّه؛ لأنّه جاور بمكّة المشرّفة زمانا، و قرأ بها على ابن وهّاس الذى يقول فيه:

[الطويل]

و لو لا ابن وهّاس و سابق فضله رعيت هشيما و استقيت مصرّدا

و زمخشـر: قريـة من قرى خوارزم، و مولده بها فى رجب سـنة سبع و ستين و أربعمائة. و قدم بغداد و سـمع الحديث و تفقّه و برع فى فنون؛ و صار إمام عصره فى عدّة علوم. و من شعره يرثى شيخه أبا مضر منصورا:

[الطويل]

و قائلة ما هذه الدّرر الّتى تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها الدّرّ الذى كان قد حشا أبو مضر أذنى تساقط من عينى

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و تسع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۳۹]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحافظ على مصر و هى سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة.

فيهـا افتتـح زنكى بن آق سـنقر الرّهاء من يـد الفرنـج مع أمور و حروب، و ردم سورها، و كتب إلى النصارى أمانا و أحسن للرعيّـة، و حفر بها أساسا عميقا. و أول صـخرة ظهرت فى هـذا الأساس و جدوا مكتوبا عليها سـطرين بالسـريانيّة؛ فجاء شـيخ يهودىّ فحلّهما إلى العربيّة، و هما:

[السريع]

أصبحت خلوا من بنى الأصفر أختال بالأعلام و المنبر

فظهر الرّحب على أنّنى لو لا ابن سنقر لم أظهر

و فيها توفّى هبة اللّه بن الحسن الشيخ أبو القاسم المعروف بالبديع الأسطرلابىّ.

كـان فريـد وقته فى عمـل الأسـطرلابات و آلاـت الفلـك و الطّلّسـمات، و كان مع ذلك أديبا فاضـلا. و من شـعره و قـد أرسل لبعض الرؤساء هديّة:

[الكامل]

أهدى لمجلسك الشريف و إنّما أهدى له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب و ما له منّ عليه لأنّه من مائه

و فيها توفّى صاحب المغرب و أمير المسلمين تاشفين بن علىّ بن يوسف بن تاشفين المصمودىّ المغربىّ. و تمكن بعده عبد المؤمن بن علىّ بعد أمور وقعت له مع تاشفين هذا و بعده.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۶

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرّعبنىّ المالكىّ الفقيه خطيب إشبيلية. كان إماما عالما خطيبا أديبا شاعرا.

و فيها توفّى المسند المعمّر أبو الحسن علىّ بن هبة اللّه بن عبد السلام الكاتب الفقيه مسند الأندلس، سمع الكثير و رحل البلاد و تفرّد بأشياء عوال.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخىّ فى شهر ربيع الأوّل. و تاشفين بن علىّ بن يوسف بن تاشفين المصمودىّ أمير المسلمين، و تمكّن بعده عبد المؤمن. و أبو منصور سعيد بن محمد ابن الرزاز شيخ الشافعيّة ببغداد. و أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرّعبنىّ خطيب إشبيلية. و مسند الأندلس أبو الحسن علىّ بن هبة اللّه بن عبد السلام الكاتب. و أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزّيدىّ العلوىّ النحوىّ الكوفىّ.

و فاطمة بنت محمد بن أبى سعد محمد البغدادىّ بأصبهان، و لها أربع و تسعون سنة.

و أبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسىّ النيسابورىّ. و أبو منصور [محمد بن] عبد الملك [بن الحسن بن إبراهيم] بن خيرون المقرئ فى رجب. و أبو المكارم المبارك ابن علىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۷

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۰]

السنة السادسة عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر و هى سنة أربعين و خمسمائة.

فيها توفّى بهروز الخادم أبو الحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السّلجوقىّ. كان خادما أبيض، و يلقّب مجاهد الدين. ولى إمرة العراق نيّفا و ثلاثين سنة، و له به مآثر. منها أخذ كنيسة و بناها رباطا على شاطىء دجلة و أوقف عليها أوقافا، و بها دفن. و بهروز (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف و هاء ساكنة وراء مهملة مضمومة و واو و زاى ساكنة) و معناه باللغة العجميّة يوم جيّد على التقديم و التأخير على عادة اللغة العجمية و التركية.

و فيها توفّى موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقىّ الشيخ أبو منصور إمام المقتفى العبّاسىّ. سمع الحديث ببغداد و قرأ الأدب فأكثر، و انتهى إليه علم اللغة و درّس النحو و العربيّة بالنظاميّة بعد أبى زكريا التّبريزى. فلمّا ولى المقتفى الخلافة اختصه و جعله إمامه، فكان غزير العلم طويل الصمت متواضعا مليح الخطّ. مات فى المحرّم.

و فيها توفّى الشيخ أبو بكر بن تقىّ (بتاء مثناة من فوق ثالثة الحروف) الأندلسى القرطبى الفقيه الشاعر، كان فاضلا شاعرا فصيحا. و من شعره:

[الطويل]

و مشمولة فى الكأس تحسب أنّها سماء عقيق زيّنت بكواكب

بنت کعبة اللّذّات فی حرم الصّبا فحجّ إلیها اللّهو من کلّ جانب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۸

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی الحافظ أبو سعید أحمد بن محمد بن أبی سعد البغدادیّ ثم الأصبهانیّ فی شهر ربیع الأوّل. و أبو بکر عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الرحمن النیسابوریّ فی جمادی الأولی. و أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجوالیقیّ النحویّ اللغویّ إمام المقتفی فی المحرّم.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۱]

السنة السابعة عشرة من ولایة الحافظ عبد المجید علی مصر و هی سنة إحدی و أربعین و خمسمائة.

فیها بنی حسام الدین بن أرتق جسر القرمان بأرض میّافارقین.

و فیها توفّی الأمیر جاولی صاحب أذربیجان. کان شجاعا شهما یخافه السلطان مسعود و غیره. و سبب موته أنه افتصد و رکب للصید، فعنّ له أرنب فرماه بسهم فانفجر فصاده فضعف، و لم یقدر الطبیب علی حبس الدم فمات.

و فیها توفّی الملک أبو المظفّر عماد الدین زنکی ابن الأتابک آق سنقر. کان أبوه یکنی بقسیم الدولة. و کان (أعنی اق سنقر) من خواصّ السلطان ملکشاه السلجوقیّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۷۹

و ولّاه حلب و الحمص؟؟؟ و غیرهما. و لمّا مات ملک بعده ابنه زنکی جمیع هذه البلاد، و زاد مملکته حتّی ملک الشام من محمد بن بوری بن طغتکین بعد حروب. ثم استولی زنکی هذا علی الشام جمیعه، و أقام علی ذلک سنین، إلی أن توجّه إلی قلعة جعبر، فقاتل صاحبها شهاب الدین سالم بن مالک العقیلیّ و نصب علیها المجانیق حتی لم یبق إلّا أخذها. فلمّا کان لیلة الثلاثاء سابع عشر شهر ربیع الآخر اتّفق ثلاثة من خدّامه علی قتله فذبحوه علی فراشه و هربوا إلی القلعة و عرّفوا من بها. و کان مع زنکی أولاده الثلاثة: سیف الدین غازی، و نور الدین محمود المعروف بالشهید، و قطب الدین مودود. فملک بعده ابنه نور الدین محمود الشهید، و سار غازی إلی الموصل.

قلت: و بنو زنکی هؤلاء هم أوسط الدول؛ فإن أوّل من ملک مع الخلفاء و تلقّب بالسلطان و الألقاب العظیمة بنو بویه، ثم أنشأ بنو بویه بنی سلجوق.

و أنشأ بنو سلجوق بنی أرتق و آق سنقر جدّ بنی زنکی هؤلاء. ثم أنشأ بنو زنکی (أعنی الملک العادل نور الدین محمود الشهید) بنی أیّوب سلاطین مصر و غیرها.

ثم أنشأ بنو أیوب الممالیک و دولة الترک. و أوّل ملوکهم الملک المعزّ أیبک الترکمانیّ.

فانظر إلی أمر الدنیا و کیف کلّ طائفة نعمة طائفة و نشؤها إلی یومنا هذا.

و فیها توفّی الأمیر عبّاس شحنة مدینة الرّیّ. کان أمیرا شجاعا مقداما جوادا یباشر الحروب بنفسه.

و فیها توفّی عبد الرحیم بن المحسّن بن عبد الباقی الشیخ أبو محمد التّنوخیّ. کان شاعرا فصیحا، مات بمیّافارقین.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۰

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو البرکات إسماعیل ابن أبی سعد أحمد بن محمد بن دوست الصوفیّ

شیخ الشیوخ فی جمادی الآخرة.

و أبو جعفر [حسن] بن علیّ البخاریّ الصوفیّ بهراة. و عماد الدین زنکی الأتابک ابن قسیم الدولة آق سنقر، قتله غلام له و هو محاصر قلعة جعبر. و أبو الفتح محمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن علیّ النیسابوریّ الخشّاب، آخر من حدّث بأصبهان عن القشیری. و أبو عبد اللّه محمد بن محمد [بن أحمد] بن السّلال الورّاق. و أبو بکر وجیه بن طاهر الشّحّامی العدل فی جمادی الاخرة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و إصبعان. مبلغ الزیادة ست عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۲]

السنة الثامنة عشرة من ولایة الحافظ علی مصر و هی سنة اثنتین و أربعین و خمسمائة.

فیها افتتح نور الدین محمود المعروف بالشهید صاحب الشام حصن أرتاح و غیرها من ید الفرنج. قلت: و هذا أوّل أمر الفتوحات الزّنکیة و الأیّوبیّة الآتی ذکرها إن شاء اللّه تعالی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۱

و فیها استولی عبد المؤمن بن علیّ علی مدینة مرّاکش من المغرب بالسیف و قتل من بها من المقاتلة، و لم یتعرّض للرعیّة، و أحضر الیهود و النصاری و قال:

إنّ الإمام المهدیّ أمرنی ألّا أقرّ الناس إلّا علی ملّة واحدة و هی الإسلام، و أنتم تزعمون أن بعد الخمسمائة عام یظهر من یعضد شریعتکم، و قد انقضت المدّة؛ و أنا مخیّرکم بین ثلاث: إمّا أن تسلموا، و إمّا أن تلحقوا بدار الحرب، و إمّا أن أضرب رقابکم. فأسلم منهم طائفة، و لحق بدار الحرب أخری. و أخرب عبد المؤمن الکنائس و البیع و ردّها مساجد، و أبطل الجزیة، و فعل ذلک فی جمیع ولایاته.

و فیها قتل الوزیر رضوان بن و لخشی أمیر الجیوش وزیر الحافظ صاحب الترجمة و مدبّر ممالکه بدیار مصر و غیرها. کان استوزره الحافظ صاحب مصر المذکور.

فلمّا ولی الوزر استولی علی مصر، و حجر علی الخلیفة الحافظ، و سلک فی ذلک طریق الأفضل بن أمیر الجیوش بدر الجمالی. و زاد أمره، حتی دسّ علیه الحافظ السودان فوثبوا علیه و قتلوه.

و فیها توفّی الأستاذ هبة اللّه بن علی بن محمد بن حمزة أبو السعادات العلویّ النحویّ، و یعرف بابن الشّجریّ. انتهی إلیه فی زمانه علم النحو و العربیّة ببغداد، و سمع الحدیث و طال عمره و أقرأ و حدّث.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و ثلاث أصابع.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۳]

السنة التاسعة عشرة من ولایة الحافظ عبد المجید علی مصر و هی سنة ثلاث و أربعین و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۲

فیها أزال السلطان نور الدین محمود بن زنکی صاحب دمشق من حلب الأذان ب «حیّ علی خیر العمل» و سبّ الصحابة بها، و قال: من عاد إلیه قتلته؛ فلم یعد أحد. رحمه اللّه تعالی.

و فيها ظهر بمصر رجل من ولد نزار ابن الخليفة المستنصر العبيدىّ يطلب الخلافة، فاجتمع عليه خلق، حتّى جهّز إليه الخليفة الحافظ صاحب الترجمة العساكر فالتقوا بالصعيد، و قتل من الفريقين جماعة. ثم انهزم النّزارىّ الذى خرج و قتل ولده.

و فيها أغار نور الدين محمود صاحب دمشق المعروف بالشهيد المقدّم ذكره على بلاد الفرنج و فتح عدّة حصون- تقبّل اللّه منه- و أسر و قتل و غنم.

و فيها حجّ بالناس من العراق الأمير قايماز.

و فيها توفّى قاضى القضاة أبو القاسم علىّ بن الحسين بن محمد بن علىّ الزينبى البغدادىّ الحنفىّ. ولد فى نصف شهر ربيع الأول سنة سبع و أربعين و أربعمائة، و سمع الحديث و تفقّه و برع فى مذهبه. ولّاه الخليفة المسترشد قضاء القضاة، و طالت مدّته و حسنت سيرته، و ناب فى الوزارة فى بعض الأحيان.

و فيها توفى الفقيه أبو الحجّاج يوسف بن درناس الفندلاوىّ شيخ المالكيّة بدمشق، استشهد بظاهر دمشق فى حرب الفرنج و محاصرتهم لدمشق. و كان إماما عالما ديّنا بارعا فى فنون.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۳

و فيها توفّى الأستاذ أبو الدرّ ياقوت الرومىّ الكاتب مولى أبى المعالى أحمد بن علىّ بن البخارىّ التاجر بدمشق. قلت: و تسمّى بهذا الاسم جماعة كثيرة لهم ذكر، فمنهم من يذكر هنا و منهم من لا يذكر على حسب الاتفاق، و هم ياقوت هذا المذكور. و ياقوت بن عبد اللّه الصّيقلبى أبو الحسن المعروف بالجمالى مولى الخليفة المسترشد بالله الفضل العبّاسىّ، و وفاته سنة ثلاث و ستين و خمسمائة. و ياقوت بن عبد اللّه أبو سعيد مولى أبى عبد اللّه عيسى بن هبة اللّه بن النقّاش، و وفاته سنة أربع و سبعين و خمسمائة. و ياقوت بن عبد اللّه الموصلىّ الكاتب أمين الدين المعروف بالملكىّ نسبته إلى أستاذه السلطان ملكشاه السّلجوقىّ، انتشر خطّه فى الآفاق، توفّى بالموصل سنة ثمانى عشرة و ستمائة. و ياقوت بن عبد اللّه الحموىّ الرومىّ شهاب الدين أبو الدرّ. كان من خدّام بعض التجار ببغداد يعرف بعسكر الحموىّ، و هو صاحب التصانيف؛ توفّى سنة ست و عشرين و ستمائة. و ياقوت بن عبد اللّه مهذّب الدين الرومىّ مولى أبى منصور الجيلىّ التاجر، كان شاعرا ماهرا، و هو صاحب القصيدة التى أوّلها:

[البسيط]

إن غاض دمعک و الأحباب قد بانوا فكلّ ما تدّعى زور و بهتان

توفّى سنة اثنتين و عشرين و ستمائة. و ياقوت بن عبد اللّه المستعصمىّ الرومىّ جمال الدين أبو المجد صاحب الخطّ البديع، مولى الخليفة المستعصم بالله العباسىّ، توفّى سنة ثمان و تسعين و ستمائة. و ياقوت الشّيخىّ افتخار الدين الحبشى مقدّم المماليک فى دولة الأشرف شعبان بن حسين، توفّى سنة سبع و سبعين و سبعمائة.

و ياقوت بن عبد اللّه الحبشىّ المعزّىّ المسعودىّ المحدّث الفاضل، توفّى سنة أربع و خمسين و ستمائة. و ياقوت بن عبد اللّه الأرغون شاوى الحبشىّ مقدّم

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۴

المماليک للأشرف برسباى، توفّى سنة ثلاث و ثلاثين و ثمانمائة. قلت: و هؤلاء الأعيان. و أمّا غير الأعيان فكثير. و قد استطردنا ذكرهم هنا جملة لئلّا يلتبس أحد منهم على من ينظر فى ترجمة أحدهم فى محلّه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۴]

اشارة

السنة العشرون من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر- مات فى جمادى الآخرة، حسب ما تقدّم ذكره- و هى سنة أربع و أربعين و خمسمائة.

فيها واقع السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آق سنقر المعروف بالشهيد صاحب دمشق الفرنج و كسرهم الكسرة المشهورة، و قتل منهم ألفا و خمسمائة، و أسر مثلهم؛ و عاد إلى حلب بالغنائم العظيمة و الأسارى، و بعث بعضها إلى أخيه مودود. و فيها يقول ابن القيسرانىّ الشاعر:

[السريع]

و كم له من وقعة يومها عند ملوک الشّرك مشهود

حتّى إذا عادوا إلى مثلها قالت لهم هيبته عودوا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۵

مناقب لم تك موجودة إلا و نور الدين موجود

و كيف لاتثنى على عيشنا ال محمود و السلطان محمود

و فيها افتتح نور الدين محمود أيضا حصن فامية؛ و كان على حماة و حمص منه ضرر عظيم.

و فيها توفّى القاضى الإمام الأديب العلّامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسين الأرّجانىّ قاضى تستر. قال ابن خلّكان: «و الأرجانىّ: بفتح الهمزة و تشديد الراء و الفتح و الجيم و بعد الألف نون، هذه نسبة إلى أرّجان، و هى من كور الأهواز من بلاد خوزستان». انتهى. و قال صاحب المرآة: «كان إمام عصره فقيها أديبا شاعرا صاحب النظم الرائق. و ديوان شعره مشهور بأيدى الناس، سمع الحديث و تفقّه. و كان بليغا مفوّها. و هو القائل:

[الكامل]

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع فى العصر و انا أفقه الشعراء

قلت: و من شعره- و البيت الثانى يقرأ معكوسا: -

[الوافر]

أحبّ المرء ظاهره جميل لصاحبه و باطنه سليم

مودّته تدوم لكلّ هول و هل كلّ مودته تدوم

و فيها توفّى الحافظ الناقد الحجة عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى ابن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبىّ السّبتىّ أبو الفضل المعروف بالقاضى عياض أحد عظماء المالكيّة. ولد بسبتة فى منتصف شعبان سنة ست و تسعين و أربعمائة. و أصله من الأندلس ثم انتقل أخير أجداده إلى مدينة قاس، ثم من فاس إلى سبتة. كان إماما حافظا محدّثا فقيها متبحّرا، صنّف التصانيف المفيدة، و انتشر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۶

اسمه فى الافاق و بعد صيته. و من مصنّفاته كتاب «الشفا فى شرف المصطفى».

و كتاب «ترتيب المدارك و تقريب المسالك فى ذكر فقهاء مذهب مالك» و كتاب «العقيدة» و كتاب «شرح حديث أمّ زرع» و كتاب «[جامع] التاريخ» و هو كتاب جليل، و شىء كثير غير ذلك. و مات بمرّاكش فى جمادى الآخرة. و من شعره رحمه اللّه:

[السريع]

انظر إلى الزرع و خاماته تحكى و قد هبّت عليها الرياح

کتیبة خضراء مهزومة شقائق النّعمان فیها جراح

و فیها توفّی الملک غازی بن زنکی بن آق سنقر الترکیّ، أخو السلطان نور الدین محمود الشهید الأتابک، سیف الدین صاحب الموصل، و هو أکبر أولاد زنکی.

مات فی سلخ جمادی الآخرة و له أربع و خمسون سنة، و أقام فی الملک ثلاث سنین و شهورا. و کان شجاعا جوادا. و هو أوّل من حمل السّنجق علی رأسه فی الأتابکیة، و لم یحمله أحد قبله لأجل ملوک السلجوقیّة.

و فیها توفّی الأمیر معین الدین أنر مملوک الأتابک طغتکین. کان مدبّر دولة أولاد أستاذه الأتابک طغتکین، و کان جلیل القدر عالی الهمّة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۷

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی القاضی أبو بکر أحمد بن محمد بن الحسین الأرّجانی الشاعر بتستر. و معین الدین أنر الطّغتکیّ مدبّر دولة أولاد أستاذه. و الحافظ لدین اللّه عبد المجید بن محمد [بن] المستنصر العبیدیّ.

و القاضی عیاض بن موسی بن عیاض أبو الفضل الیحصبیّ السّبتیّ بمرّاکش فی جمادی الآخرة. و صاحب الموصل سیف الدین غازی ابن الأتابک.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و أربع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ثمانی عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۸

ذکر ولایة الظافر علی مصر

الظافر بالله أبو منصور إسماعیل بن الحافظ لدین اللّه أبی المیمون عبد المجید ابن الأمیر محمد ابن الخلیفة المستنصر معدّ بن الظاهر علیّ بن الحاکم منصور بن العزیز بالله نزار بن المعزّ لدین اللّه معدّ، التاسع من خلفاء مصر من بنی عبید، و الثانی عشر منهم ممّن ولی من أجداده خلفاء المغرب.

بویع بالخلافة بعد موت أبیه الحافظ فی جمادی الآخرة سنة أربع و أربعین و خمسمائة، و هو ابن سبع عشرة سنة و أشهر؛ لأنّ مولده فی یوم الأحد منتصف شهر ربیع الآخر سنة سبع و عشرین و خمسمائة. و أمّه أم ولد تدعی ستّ الوفاء، و قیل: ست المنی.

قال العلّامة شمس الدین أبو المظفّر یوسف بن قزأوغلی سبط ابن الجوزیّ فی تاریخه مرآة الزمان-، بعد أن سمّاه یوسف، و الصواب ما قلناه أنّه إسماعیل- قال: «و کانت أیّامه مضطربة لحداثة سنّه و اشتغاله باللّهو، و کان عبّاس الصّنهاجیّ لمّا قتل ابن سلّار و زر له و استولی علیه. و کان له ولد اسمه نصر، فأطمع نفسه فی الأمر و أراد قتل أبیه، و دسّ إلیه سمّا لیقتله. فعلم أبوه و احترز و أراد أن یقبض علیه فما قدر؛ و منعه مؤیّد الدولة أسامة بن منقذ و قبّح علیه ذلک، و قال:

إن فعلت هذا لم یبق لک أحد و یفرّ الناس عنک. فشرع أبوه یلاطفه (یعنی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۸۹

الوزیر عباس یلاطف ابنه نصرا) و قال له: عوض ما تقتلنی اقتل الظافر. و کان نصر ینادم الظافر و یعاشره، و کان الظافر یثق به و ینزل فی اللیل إلی داره متخفّیا.

فنزل لیلة إلی داره و کانت بالسوفیّین داخل القاهرة و معه خادم له، فشربا و نام الظافر؛ فقام نصر فقتله و رمی به فی بئر. فلمّا أصبح عبّاس (یعنی الوزیر أبا نصر المذکور) جاء إلی باب القصر یطلب الظافر؛ فقال له خادم القصر: ابنک یعرف أین هو [و من] قتله. فقال عبّاس: ما لا بنی فیه علم. و أحضر أخوی الظافر و ابن أخیه فقتلهم صبرا بین یدیه؛ و أحضر أعیان الدولة و قال: إنّ الظافر رکب

البارحة فی مرکب فانقلبت به فغرق. ثمّ أخرج عیسی ولد الظافر. فتفرّقوا عن عبّاس و ابنه، و ثار الجند و العبید و أهل القاهرة و طلبوا بثأر الظافر من عبّاس و ابنه نصر.

فأخذ عبّاس و ابنه نصر ما قدرا علیه من المال و الجواهر و هربا إلی الشام. فبلغ الفرنج فخرجوا إلیهما، و قتلوا عبّاسا و أسروا ابنه نصرا؛ و قتل نصر فی السنة الآتیة».

انتهی.

و قال القاضی شمس الدّین أحمد بن خلّکان: «بویع یوم مات أبوه بوصیة أبیه، و کان أصغر أولاد أبیه سنّا. کان کثیر اللهو و اللّعب، و التفرّد بالجواری، و استماع المغانی. و کان یأنس بنصر بن عبّاس. فاستدعاه إلی دار أبیه لیلا سرّا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۰

بحیث لا یعلم به أحد، و تلک الدار فی المدرسة الحنفیّة السیوفیّة الآن، فقتله بها و أخفی أمره. قال: و قصّته مشهورة، و ذلک فی نصف المحرّم سنة تسع و أربعین و خمسمائة. و کان من أحسن الناس صورة. و الجامع الظّافریّ الذی بالقاهرة داخل بآب زویلة منسوب إلیه، و هو الذی عمّره و أوقف علیه شیئا کثیرا».

انتهی کلام ابن خلّکان. قلت: و الجامع الظافریّ هو المعروف الآن بجامع الفاکهانیّین علی الشارع الأعظم بالقرب من حارة الدّیلم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۱

و قال ابن القلانسیّ: «إنّ الظافر إنّما قتله أخواه یوسف و جبریل و ابن عمهما صالح بن الحسن. قلت: و هذا القول یؤیّده قول ما نقله أبو المظفر من أنّ عبّاسا قتل أخوی الظافر و ابن عمه صبرا (أعنی لمّا بلغه قتلهم للظافر قتلهم به)؛ غیر أنّ جمهور المؤرخین اتّفقوا علی أنّ قاتل الظافر نصر بن عبّاس المقدّم ذکره.

قال: و کان الظافر قد رکن إلیهم (یعنی أخویه و ابن عمه) و أنس بهم فی وقت مسرّاته؛ فاتّفقوا علیه و اغتالوه، و ذلک فی یوم الخمیس سلخ صفر. و حضر العادل عبّاس الوزیر و ابنه ناصر الدین نصر و جماعة [من] الأمراء و المقدّمین [للسلام] علی الرسم. فقیل لهم: إن أمیر المؤمنین ملتاث الجسم. فطلبوا الدخول إلیه فمنعوا؛ فألحّوا فی الدخول بسبب العیادة فلم یمکّنوا. فهجموا و دخلوا القصر و انکشف أمره، فقتلوا الثلاثة و أقاموا ولده عیسی و هو ابن ثلاث سنین، و لقّبوه بالفائز بنصر اللّه و بایعوه؛ و عبّاس الوزیر إلیه تدبیر الأمور. ثم ورد الخبر بأن طلائع بن رزّیک فارس المسلمین قد امتعض من ذلک و جمع و حشد و قصد القاهرة، و کان من أکابر الأمراء. و علم عبّاس أنّه لا طاقة له به، فجمع أمراءه و أسبابه و أهله و خرج من القاهرة. فلمّا قرب من عسقلان و غزّة خرج علیه جماعة من خیّالة الفرنج، فاغترّ بکثرة من معه؛ فلمّا حمل علیهم قتل أکثر أصحابه و انهزموا، فانهزم هو و ابنه الصغیر و أسر ابنه الکبیر الذی قتل ابن سلّار مع ولده و حرمه و ماله و کراعه، و صار الجمیع للفرنج، و من هرب مات من الجوع و العطش.

و وصل طلائع بن رزّیک إلی القاهرة، فوضع السیف فیمن بقی من أصحاب عبّاس، و جلس فی منصب الوزارة». انتهی کلام ابن القلانسیّ. و ما نقله غالبه مخالف لغیره من المؤرّخین. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۲

و قیل غیر ذلک: إنّ خدّام القصر کتبوا إلی طلائع بن رزّیک و هو والی قوص و أسوان و الصعید یخبرونه بقتل الظافر و یستنجدونه علی عبّاس و ابنه نصر. و کتب إلیه فیمن کتب القاضی الجلیس أبو المعالی عبد العزیز بن الحبّاب قصیدته الدالیة التی أوّلها:

[الطویل]

دمعی عن نظم القریض غوادی و شفّ فؤادی شجوه المتمادی

و أرّق عینی و العیون هواجع هموم أقضّت مضجعی و وسادی

بمصرع أبناء الوصیّ و عترة الن بیّ و آل الذاریات و صاد

فأین بنو رزّیک عنهم و نصرهم و مالهم من منعة و ذیاد

أولئک أنصار الهدی و بنو الرّدی و سمّ العدا من حاضرین و باد

لقد هدّ رکن الدّین لیلة قتله بخیر دلیل للنّجاة و هاد

تدارک من الإیمان قبل دثوره حشاشة نفس آذنت بنفاد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۳

و قد کاد أن یطفی تألّق نوره علی الحقّ عاد من بقیة عاد

فلو عاینت عیناک بالقصر یومهم و مصرعهم لم تکتحل برقاد

و هی طویلة کلّها علی هذا المنوال فی معنی النجدة. و قد نقلتها من خطّ عقد لا یقرأ إلّا بجهد. فلمّا بلغ ذلک طلائع بن رزّیک جمع و دخل القاهرة فی تاسع شهر ربیع الأوّل، و جلس فی دست الوزارة، و تلقّب بالملک الصالح؛ و هو صاحب الجامع خارج بابی زویلة، و أخرج جسد الظافر من البئر التی کان رمی فیها بعد قتله و جعله فی تابوت و مشی بین یدیه حافیا مکشوف الرأس، و فعل الناس کذلک، و کثر الضجیج و البکاء و العویل فی ذلک الیوم.

و قال بعضهم و أوضح الأمر، و قوله: إنّ الظافر کان قد أحبّ نصر بن عبّاس حبّا شدیدا، و بقی لا یفارقه لیلا و لا نهارا. فقدم مؤیّد الدولة أسامة بن منقذ من الشام، فقال لعبّاس الوزیر یوما: کیف تصبر علی ما أسمع من قبیح القول! قال عبّاس: و ما یقولون؟ قال یقولون: إن الظافر بنی علی ابنک نصر. فغضب عبّاس من ذلک، و أمر ابنه نصرا، فدعا الظافر لبیته فوثب علیه و قتله. و ساق نحوا مما سقناه من قول أبی المظفّر و ابن خلّکان. و انتهی کلامه.

و قال صاحب کتاب المقلتین فی أخبار الدولتین: «و لمّا تمّ أمر الظافر رکب بزیّ الخلافة و عاد إلی القصر؛ و لم یقدّم شیئا علی انتقامه من ابنی الأنصاری لما کان یبلغه عنهما فی أیام والده الحافظ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۴

و خبر ابنی الأنصاریّ أنّهما کانا من جملة الکتّاب، و توصّلا إلی الحافظ، فاستخدمهما فی دیوان الجیش قصدا لتمییزهما؛ و هما غیر قانعین بذلک، لما یعلمانه من إقبال الحافظ علیهما؛ فوثبا علی السادة من رؤساء الدولة مثل الأجلّ الموفّق أبی الحجّاج یوسف کاتب دست الخلیفة و مشورته، و من یلیه مثل القاضی المرتضی المحنّک، و الخطیری البوّاب؛ فتجرّأا علی المذکورین و غیرهم من الأمراء مع قلّة دربة.

فتتبّع القوم عوراتهم، و الخلیفة الحافظ لا یزداد فیهما إلّا رغبة. و وقع لهما أمور قبیحة، و القوم یبلّغون الخلیفة خبرهم شیئا بعد شیء، و هو لا یلتفت إلی قولهم.

و لا زال ابنا الأنصاریّ حتی صار الأکبر شریک الأجلّ الموفّق فی دیوان المکاتبات، و لکن خصّص الموفّق بالإنشاء جمیعه. و لمّا تولّی ابن الأنصاریّ نصف الدیوان نعت بالقاضی الأجلّ سناء الملک، بعد أن وصّاه الخلیفة الحافظ أن یقنع مع الموفق بالرتبة و یدع المباشرة، و یخدم الموفّق. و صبر الأجلّ الموفّق علی ذلک مراعاة لخاطر الخلیفة. و أمّا ابن الأنصاری الصغیر فإنّه تجنّد فتأمّر فی یوم، و خلع علیه بالطّوق و ما یلزم الأمریّة، و صار أمیر طوائف الأجناد. فقال الناس: هو الأمیر الطاری ابن الأنصاری!. و بینما هم فی ذلک مرض الخلیفة الحافظ و مات، و آلت الخلافة لولده الظافر هذا. فنرجع لما کنّا علیه من أمر الظافر مع ولدی الأنصاریّ المذکورین. فرکب الخلیفة الظافر بعد العشاء الآخرة فی الشمع بالقصر، و وقف علی باب الملک بالإیوان المجاور للشباک، و أحضر ابنی الأنصاریّ و استدعی متولّی؟؟؟

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۵

السّتر، و هو صاحب العذاب، و أحضرت آلات العقوبة، فضرب الأکبر بحضوره بالسّیاط إلی أن قارب الهلاک، و ثنّی بأخیه کذلک؛

و امر بإخراجهما و قطع أيديهما و سلّ ألسنتهما من قفيّهما، و صلبا على بابى زويلة الأوّل و الثانى زمانا.

و أقام الظافر ابن مصال المغربىّ وزيرا مدة شهرين. فخرج عليه ابن سلّار، و كان واليا على البحيرة و الإسكندرية، و لم يرض بوزارة ابن مصال المذكور، و تابعه عباس و كان واليا على الغربية، و هو ولد زوجته. فلمّا بلغ الوزير ابن مصال ذلك، خرج إلى الصعيد لكونه لم يطق لقاء ابن سلّار و من معه على غير موافقة من الخليفة الظافر. و دخل ابن سلّار إلى القاهرة وزيرا؛ فما طابت به نفس الخليفة الظافر بالله، فباشر الأمور مباشرة بجدّ. و أقام الظافر خليفة إلى أوائل سنة تسع و أربعين و خمسمائة، و لم يصف بين الخليفة و الوزير عيش قطّ، و جرت بينهما أمور؛ و ثبت عند ابن سلّار كراهة الخليفة فيه، فاحترز على نفسه منه، و أقام كذلك أربع سنين و بعض الخامسة، حتّى قتله نصر بن عبّاس اغتيالا فى داره. و ذكر أنّ ذلك بموافقة الخليفة الظافر على ذلك؛ لأنّ هذا نصرا كان قد اختلط بالخليفة اختلاطا دائما أدّى إلى حسد أكثر أهل الدولة له على ذلك. و خشى عبّاس على نفسه من ولده نصر المذكور لما تمّ منه فى حقّ ابن سلّار؛ فرمى بينه و بين الخليفة بموهمات قبيحة، حتّى قتل نصر الخليفة أيضا. و دفنه فى داره التى بالسيوفيّين، و قتل أستاذين معه.

و لمّا عدم الخليفة استخلف ولده بعده، و هو أبو القاسم عيسى، و نعت بالفائز بنصر اللّه، و كان عمره يومئذ خمس سنين. أخرجه الوزير عبّاس من عند جدّته أمّ

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۶

أبيه الخليفة يوم قتل عمّيه يوسف و جبريل ابنى الحافظ- و هما مظلومان- بتهمة أنّهما قتلا أخاهما الخليفة الظافر حسدا على الرتبة لينالاها بعده. و ليس الأمر كذلک، بل عبّاس الوزير و ولده نصر قتلاه. فرآهما الخليفة هذا الصغير مقتولين، فتفزّع و اضطرب و غشى عليه، و لازمه ذلک و كثر به.

قلت: و قول هذا عندى فى قتل الخليفة الظافر أثبت الأقاويل. و بكلامه أيضا يعرف جميع ما ذكرناه فى أمره من أقوال المؤرّخين؛ فانّه ساق أمره على جليّته من غير إدخال شيء معه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۵؛ ص۲۹۶

أمّا تفصيل أمر عبّاس الوزير و ابنه نصر فإنّ عبّاسا كان رجلا من بنى تميم ملوک الغرب، و دخل عبّاس القاهرة فاجتمع بالخليفة، فأكرمه و أنعم عليه بأشياء ثم خلع عليه بالوزارة على العادة و لقبه؛ فباشر عبّاس الوزارة و خدم الأمور و أكرم الأمراء و أحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل ابن سلّار. و استمرّ ابنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر؛ حتّى اشتغل الظافر عن كلّ أحد بآبن عبّاس المذكور، و أبوه عبّاس يكره خلطته بالخليفة. و انتهى الخليفة معه إلى أن يخرج من قصره لزيارة ابن عبّاس بداره التى بالسيوفيين، بحيث لا يعلم عبّاس بذلک. فلمّا علم استوحش من الخليفة لجرأة ابنه، و توهّم أنّه ربما يحمله الخليفة على قتله. فقال عباس لابنه سرّا: قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدّث الناس فى حقّک معه بما أزعج باطنى، و ربّما يتناقل الناس ذلک و يصل إلى أعدائنا منه ما لا يزول، ففهم ابنه نصر عنه و أخذته حدّة الشباب؛ فقال نصر لأبيه: أ يرضيک قتله؟ فقال أزل التهمة عنک كيف شئت. فخرج الخليفة ليلة إلى نصر بن عبّاس على عادته، فقتله بالجماعة الذين قتل بهم الوزير ابن سلّار، و قتل أيضا أستاذين كانا مع الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۷

الظافر، و طرحهم فى بئر هناک. و أصبح عبّاس فبايع عيسى بن الظافر، و لقّبه الفائز، على ما يأتى ذكره فى أوّل ترجمة الفائز.

و لما تمّ لعبّاس ما قصده من قتل الخليفة و تولية ولده الخلافة، كثرت الأقاويل و وقع الناس على الخبر الصحيح بالحدس، فاستوحش الناس قتل هؤلاء الأئمة.

و كان طلائع بن رزّيک واليا على الأشمونين و البهنسا؛ فتحرّک حاشدا على عبّاس، و لبس السواد و حمل شعور النساء حرم الخليفة على الرماح. فتخلخل أمر عبّاس و تفرّق الناس عنه، و صار الناس تسمبه المكروه فى الطّرقات من كلّ فجّ، حتى إنّه رمى من طاق

ببعض الشوارع و هو جائز بهاون نحاس، و فى يوم آخر بقدر مملوءة ماء حارّا؛ فقال عبّاس: ما بقى بعد هذا شىء. فصار يدبّر كيف يخرج و أين يسلك. فأشار عليه بعض أصحابه بتحريق القاهرة قبل خروجه منها فلم يفعل، و قال: يكفى ما جرى. فلمّا قرب طلائع بن رزيك إلى القاهرة خرج عبّاس و ابنه و معهما كلّ ما يملكانه طالبا للشرق. فحال الفرنج بينه و بين طريقه، فقاتل حتّى قتل و أسر ولده نصر، و فاز الفرنج بما كان معه، و ذلك فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع و أربعين و خمسمائة. و أمّا ولده نصر فنذكر أمره و قتله فى أوّل ترجمة الفائز بأوسع من هذا إن شاء اللّه تعالى.

و كانت قتلة الخليفة الظافر هذا فى سلخ المحرّم سنة تسع و أربعين و خمسمائة على قول من رجّح ذلك، و له اثنتان و عشرون سنة؛ و كانت خلافته أربع سنين و سبعة أشهر و سبعة أيام. و تولّى الخلافة بعده ولده الفائز عيسى.

و نذكر إن شاء اللّه أمر قتله أيضا فى ترجمة الفائز بأوسع من هذا هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۵]

السنة الأولى من ولاية الظافر بأمر اللّه أبى منصور إسماعيل على مصر و هى سنة خمس و أربعين و خمسمائة.

فيها مطرت اليمن مطرا دما، و بقى أثره فى الأرض و فى ثياب الناس.

و فيها فى المحرّم نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام على دمشق و حاصرها؛ فراسله صاحبها مجير الدين، و خرج إليه هو و الرئيس ابن الصوفىّ و بذلا له الطاعة و أن يخطب له مجير الدين بعد الخليفة و السلطان، و أن ينقش اسمه على الدينار و الدرهم؛ فرضى نور الدين و خلع عليه و رحل عنه. و عاد و افتتح قلعة اعزاز.

و فيها اختلف وزير مصر ابن مصال المغربى و العادل ابن سلّار و جمعا العساكر و اقتتلا، فقتل الوزير ابن مصال، و استقلّ ابن سلّار بالوزر و الملك. و قد ذكرنا نحو ذلك فى ترجمة الظافر هذا.

و فيها توفّى أبو المفاخر الحسن بن ذى النون الواعظ [ابن أبى القاسم]. كان فاضلا صالحا إماما فقيها حنفىّ المذهب، كان يعيد الدرس خمسين مرّة. و من شعره:

[البسيط]

مات الكرام و مرّوا و انقضوا و مضوا و مات بعدهم تلك الكرامات

و خلّفونى فى قوم ذوى سفه لو أبصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۲۹۹

و فيها توفّى الأمير أبو الحسن علىّ بن دبيس صاحب الحلّة. كان شجاعا جوادا إلّا أنّه كان على عادة أهل الحلّة رافضيّا خبيثا.

و فيها توفّى قتيلا الوزير علىّ بن سلّار وزير الظافر صاحب الترجمة بديار مصر.

كان يلقّب بالملك العادل. و تولّى الوزر بعده عبّاس أبو نصر الذى قتل الظافر، حسب ما ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا.

و فيها ملكت الفرنج عسقلان بالأمان بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير، و كان قد تمادى القتال بينهم فى كلّ سنة إلى أن سلّموها. و أخذ الفرنج جميع ما كان فيها من الذخائر و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن منير بن أحمد الأديب أبو الحسين الطرابلسىّ الشاعر المشهور المعروف بالرّفاء. ولد سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة بطرابلس. و كان بارعا فى اللغة و العربيّة و الأدب إلّا أنّه خبيث اللّسان كثير الفحش. حبسه الملك تاج الملوك بورى صاحب دمشق، و عزم على قطع لسانه؛ فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز فوهبه له فنفاه. و كان هجا خلائق كثيرة، و كان بينه و

بين ابن القيسرانی مهاجاة، و كان رافضيّا. و كانت وفاته بحلب فی جمادى الآخرة.

و من شعره:

[الطويل]

جنى و تجنّى و الفؤاد يطيعه فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى

فإن لم يكن عندی كعينی و مسمعی فلا نظرت عينی و لا سمعت أذنی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۰

و فيها توفّی الأمير تمرتاش بن نجم الدين إيلغازی الأرتقیّ صاحب ماردين و ديار بكر.

كان شجاعا جوادا عادلا محبّا للعلماء و الفضلاء يبحث معهم فی فنون العلوم. و كان لا يرى القتل و لا الحبس. و مات فی ذی القعدة، و كانت مدّته نيّفا و ثلاثين سنة.

و قام بعده ابنه.

و فيها توفّی حيدره بن الصوفیّ الذی كان أقامه مجير الدين صاحب دمشق مقام أخيه، ثم وقع منه سعی بالفساد، فاستدعاه مجير الدين إلى القلعة على حين غفلة فضرب عنقه لسوء سيرته و قبح أفعاله.

الذين ذكر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فيها توفی أبو بكر محمد بن أبی حامد بن عبد العزيز بن علی الدّينوریّ البيّع ببغداد. و المبارک بن أحمد ابن بركة الكندیّ الحبّار.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و أربع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۶]

السنة الثانية من ولاية الظافر على مصر و هی سنة ست و أربعين و خمسمائة.

فيها دخل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقیّ إلى بغداد، و خرج الوزير ابن هبيرة و أرباب الدولة إلى لقائه فأكرمهم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۱

و فيها عاد الملک العادل نور الدين محمود إلى حصار دمشق، و وقع له مع مجير الدين صاحب دمشق أمور حتّى استنجد مجير الدين بالفرنج، فرحل عنها نور الدين؛ ثم نازلها و تراسلا على يد الفقيه برهان الدين البلخیّ و أسد الدين شيركوه الكردیّ و أخيه نجم الدين أيوب، ثم تحالف نور الدين مع مجير الدين على أمر و رحل عنه.

و فيها توفّی الأمير علیّ بن مرشد [بن علیّ] بن المقلّد بن نصر بن منقذ عزّ الدين.

ولد بشيزر. و كان فاضلا أديبا حسن الخط، مات بعسقلان شهيدا. و كان أكبر إخوته و بعده أسامة. و من شعره:

[الكامل]

قد قلت للمنثور إنّ الورد قد وافى على الأزهار و هو أمير

فافترّ ثغر الأقحوان مسرّة لقدومه و تلوّن المنثور

و فيها توفّی الفامیّ الحافظ أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبّار الهروىّ العجمیّ.

كان إماما عالما فاضلا، رحل و سمع الحديث و تفقّه و برع فی علوم شتّى. مات فی هذه السنة فی قول الذهبیّ.

و فيها توفّی الأمير نوشتكين بن عبد اللّه الرّضوانیّ السلجوقیّ ببغداد. كان أميرا معظّما فی الدول و له مواقف و وقائع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۲

و فیها توفّی القاضی أبو بکر محمد بن عبد اللّه بن العربیّ الأندلسیّ المالکیّ.

کان إمام وقته مفتنّا فی علوم کثیرة، و ولی القضاء مدّة طویلة، و کان مشکور السّیرة عدلا فی حکمه.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو نصر عبد الرحمن ابن عبد الجبّار الهروی الفامیّ الحافظ. و القاضی أبو بکر محمد بن عبد اللّه الأندلسیّ.

و الأمیر نوشتکین الرّضوانیّ ببغداد. و أبو الولید یوسف بن عبد العزیز بن الدّبّاغ اللّخمیّ الأندلسیّ.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و إصبعان. مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۷]

السنة الثالثة من ولایة الظافر أبی منصور علی مصر و هی سنة سبع و أربعین و خمسمائة.

فیها توفّی محمد بن نصر أبو عبد اللّه العکّاویّ و یقال له ابن صغیر القیسرانیّ الشاعر المشهور. ولد بعکّا و نشأ بقیساریّة الساحل، ثم انتقل إلی حلب و إلی دمشق. فبلغ تاج الملوک بوری بن طغتکین أنّه هجاه فتنکّر له، فهرب إلی حلب و مدح نور الدین محمود بن زنکی صاحبها. و له دیوان شعر مشهور، و مات بدمشق.

و من شعره فی مغنّ و أجاد إلی الغایة:

[البسیط]

و اللّه لو أنصف الفتیان أنفسهم أعطوک ما ادّخروا منها و ما صانوا

ما أنت حین تغنّی فی مجالسهم إلا نسیم الصّبا و القوم أغصان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۳

و فیها توفّی السلطان مسعود ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملکشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن میکائیل بن سلجوق بن دقماق السلجوقیّ.

کان ملکا جلیلا- شجاعا طالت أیامه. قال أبو المظفّر: لم یر أحد ما رأی من الملوک و السلاطین حتّی مرض علی همذان بأمراض حارّة، و عسرت مداواته. و مات فی سلخ جمادی الآخرة. و أقیم بعده فی الملک ابن أخیه ملکشاه بن محمود بن محمد شاه ابن ملکشاه، فأقام ملکشاه المذکور خمسة أشهر ثمّ وقع له أمور و خلع. قلت:

یکون ملکشاه هذا ثانی ملک من بنی سلجوق سمّی بملکشاه.

و فیها توفّی الشیخ الإمام الواعظ المظفّر بن أردشیر أبو منصور العبّادیّ الواعظ.

سمع الحدیث الکثیر، و قدم بغداد و وعظ بجامع القصر و النّظامیّة، و حصل له قبول زائد. و کان فصیحا بلیغا. و ترسّل بین الخلیفة و الملوک، و عظم أمره.

و فیها توفّی القاضی أبو الفضل محمد بن عمر بن یوسف الأرمویّ الشافعیّ.

کان إماما عالما فقیها مفتنّا فی عدّة فنون، و ولی القضاء زمانا، و حمدت سیرته.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو عبد اللّه محمد ابن الحسن بن محمد بن سعید الدّانیّ، المقرئ ابن غلام الفرس. و أبو الفضل محمد ابن عمر بن یوسف الأرمویّ القاضی الشافعیّ. و أبو نصر محمد بن منصور ابن عبد الرحیم النّیسابوریّ الحرضیّ فی شوّال، و له تسعون سنة. و السلطان مسعود ابن محمد بن ملکشاه السلجوقیّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۴

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۸]

اشارة

السنة الرابعة من ولاية الظافر أبى منصور على مصر و هى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة.

فيها انحل أمر بنى سلجوق باستيلاء الترک على السلطان سنجرشاه السلجوقىّ.

و سببه أنّه لمّا التقى مع خاقان ملک الترک و خوارزم شاه قبل تاريخه، و انهزم منهم تلک الهزيمة القبيحة التى قتل فيها خلائق من العلماء و الفقهاء و غيرهم، و عاد خاقان إلى بلاده، ثم صالح سنجرشاه خوارزم شاه، و بقى فى قلب سنجر شاه ما جرى عليه.

فلمّا حسن أمره تجهّز للقاء الترک ثانيا بعد أمور صدرت بينهم، و التقى معهم فانكسر ثانيا؛ و استولوا عليه و جعلوه فى قفص حديد؛ فبقى فيه مدّة و هو يخدم نفسه و ليس معه أحد. و اقتصّ اللّه منه للخليفة المسترشد و ابنه الراشد ما كان فعله معهما حسب ما تقدّم ذكره. و امتحن بأشياء إلى أن مات، على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه.

و فيها توفّى القاضى محفوظ بن أبى محمد الحسن بن صصرى أبو البركات، و يعرف بالقاضى الكبير. كان إماما عالما مشهورا بالخير و العفاف. و مات بدمشق فى ذى الحجّة و قد بلغ ثمانين سنة.

و فيها توفّى الشيخ الزاهد المسلّک أبو العبّاس أحمد بن أبى غالب بن الطّلاية الصوفىّ العارف فى شهر رمضان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۵

و فيها توفّى الحافظ أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر اليوسفىّ.

كان إماما حافظا محدّثا، سمع الكثير و رحل و كتب و صنّف. و مات فى المحرّم و له أربع و ثمانون سنة.

و فيها توفّى الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشّهرستانىّ الإمام العالم المتكلّم. كان إمام عصره فى علم الكلام عالما بفنون كثيرة من العلوم، و به تخرّج جماعة كثيرة من العلماء.

و فيها توفّى شيخ الصوفيّة فى زمانه أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزىّ الكشميهنىّ. كان إماما مسلّكا عارفا بطريق القوم، إمام عصره فى علم التصوّف و غيره، و للناس فيه محبّة و اعتقاد حسن.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو سعد محيىّ الدين محمد بن يحيى النّيسابورىّ الشافعىّ تلميذ أبى حامد الغزالىّ فى شهر رمضان حين استباحت الترک نيسابور. و كان فقيها إماما عالما مصنّفا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۶

ذكر ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر

هو أبو القاسم عيسى ابن الخليفة الظافر بأمر اللّه أبى منصور إسماعيل ابن الخليفة الحافظ أبى الميمون عبد المجيد بن محمد- و محمد هذا ليس بخليفة- ابن الخليفة المستنصر باللّه معدّ ابن الخليفة الظاهر لإعزاز دين اللّه على ابن الخليفة الحاكم بأمر اللّه منصور ابن

الخليفـة العزيز بالله نزار ابن الخليفـة المعزّ لـدين اللّه معـدّ أول خلفاء مصـر ابن الخليفـة المنصور إسـماعيل ابن الخليفـة القائم بأمر اللّه محمد ابن الخليفة المهدىّ عبيد اللّه، العبيدىّ الفاطمىّ المغربىّ الأصل المصـرىّ العاشر من خلفاء مصر من بنى عبيد و الثالث عشر من أصلهم المهدىّ أحد خلفاء بنى عبيد بالمغرب.

و أمّ الفائز هذا أمّ ولد يقال لها زين الكمال.

قال أبو المظفّر بن قزأوغلى فى تاريخه مرآة الزمان: «مولده فى المحرّم سـنة أربع و أربعين و خمسمائة، و توفّى و هو ابن إحدى عشرة سنة و شـهور». و زاد ابن خلّكان بأن قال: لتسع بقين من المحرّم. قال: و كانت أيّامه ستّ سـنين و سـتة أشـهر و سـبعة عشر يوما. و بين وفاته و وفاة المقتفى (يعنى خليفـة بغـداد العبّاسـىّ) أربعة أشـهر و أيّام. قلت: و قوله «و بين وفاته و وفاة المقتفى أربعة أشـهر و أيام» لا يعرف بـذلك من السابق منهما بالوفاة. و أنا أقول: أمّا السابق فهو الخليفة المقتفى الآتى ذكره، إن شاء اللّه؛ فإنّ وفاة المقتفى فى شـهر ربيع الأوّل، و وفاة الفائز هذا صاحب الترجمة فى شهر رجب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۷

قال صاحب المرآة: «و قام بعده أبو محمد عبد اللّه بن يوسف بن الحافظ.

و لم يكن أبوه خليفة، و أمّه (يعنى عبد اللّه) أمّ ولد تدعى ستّ المنى، و لقّب بالعاضد».

انتهى كلام صاحب المرآة.

و قـال صـاحب كتـاب المقلتين فى أخبـار الـدولتين: «و لمّا أصبح الوزير عبّاس (يعنى صبيحـة قتل الخليفـة الظافر بأمر اللّه) ركب إلى القصـر و دخـل إلى مقطع الوزارة من غير اسـتدعاء، فأطال جلوسه و لم يجلس الخليفـة له، فاسـتدعى عبّاس زمام القصـر، و قال له: إن كان لمولانا ما يشغله عنّا فى هـذا اليوم عـدنا إليه فى الغـد. فمضـى الأسـتاذ و هو حائر فيما يعمل و قد فقد الخليفة. فدخل إلى أخوى الخليفـة يوسف و جبريل، و هما رجلان أحدهما مكتهل، فأخبرهما بالقصّة؛ و ما كان عندهما من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصـر بن عبّاس خبر و لا اطّلعا عليه إلّا فى تلك الساعة؛ فما شـكّا فى قتل أخيهما الخليفة الظافر، و قالا للزّمام: إن اعتذرت اليوم هل يتمّ لك هذا مع الزمان؟ فقال الزّمام: ما تأمرانى به؟ قالا: تصدقه و تحقّقه. و كان للخليفة ولد عمره خمس سـنين اسـمه عيسـى. فعاد الزّمام إلى عبّـاس و قـال له: ثمّ سـرّ أقوله إليـك بحضور الأـمراء و الأسـتاذين. فقال عبّاس: ما ثمّ إلّا الجهر. قال: إنّ الخليفـة خرج البارحـة لزيارة ولدك نصـر فلم يعد بغير العادة. فقال عبّاس: تكذب يا عبد السوء! إنّما أنت مبايع أخويه يوسف و جبريل اللذين حسداه على الخلافة فاغتالاه، و اتفقتم على هذا القول. فقال الزّمام: معاذ اللّه! قال عبّاس: فأين هما؟ فخرجا إليه و معهما ابن أخ لهما اسـمه صالح بن حسـن الذى قتل والده الخليفة الحافظ بالسمّ.

و قد تقدّم ذكر قتله فى ترجمة أبيه الحافظ عبد المجيد.

قال: فلمّا حضـروا قال لهم عبّاس الوزير: أين الخليفـة؟ فقالوا: حيث يعلم ابنك ناصـر الدين. قال لا. قالوا: بلى! و هذا بهتان منك، لأنّ بيعة أخينا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۸

فى أعناقنـا، و هؤلاء الأمراء الحاضـرون يعلمون ذلك، و إنّا فى طاعته بوصـيّة والـدنا، و أقاما الحجّـة عليه. فكـذّبهما و أمر غلمانه بقتل الثلاثة فى دارهم. ثم قال للزّمام:

أين ابن مولانا؟ قال حاضـر. فقال عبّاس: قدّامى إلى مكانه. فدخل الوزير عبّاس بنفسه إليه، و كان عند جدّته لأمّه، فحمله على كتفه و أخرجه للنّاس قبل رفع المقتولين، و بايع له بالخلافة، و لقّبه بالفائز بنصـر اللّه. فرأى الصبىّ القتلى فتفزّع و اضطرب و دام مدّة خلافته لا يطيب له عيش من تلك الرجفة. و تم أمر الفائز فى الخلافة، و وزر له عبّاس المذكور، إلى أن وقع له مع طلائع بن رزّيك ما سنذكره من أقوال جماعة من المؤرّخين. و قد ذكرنا منه أيضا نبذة جيّدة فيما مضى، و لكن اختلاف النقول فيها فوائد.

و قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى تاريخ الإسلام- بعد أن ساق نسب الفائز هذا حتّى قال-: «بويع: بالقاهرة حين قتل والده الظافر و له خمس سنين، و قيل: بل سنتان، فحمله الوزير عبّاس على كتفه و وقف فى صحن الدار به مظهر الحزن و الكآبة، و أمر أن يدخل الأمراء فدخلوا؛ فقال لهم: هذا ولد مولاكم، و قد قتل عمّاه مولاكم، و قد قتلتهما كما ترون به، و أشار إلى القتلى، و الواجب إخلاص الطاعة لهذا الولد الطفل. فقالوا كلّهم: سمعنا و أطعنا، و ضجّوا ضجّة واحدة بذلك. ففزع الطفل (يعنى الفائز)، و مال على كتف عبّاس من الفزع. و سمّوه الفائز، ثم سيّروه إلى أمّه و قد اختلّ عقله من تلك الضجّة فيما قيل، فصار يتحرّك فى بعض الأوقات و يصرع- قلت: على كلّ قول كان الفائز قد اختلّ عقله-. قال:

«و لم يبق على يد عبّاس الوزير يد و دانت له الممالك. و أمّا أهل القصر فإنّهم اطّلعوا على باطن القصّة فأخذوا فى إعمال الحيلة فى قتل عبّاس و ابنه، فكاتبوا طلائع بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۰۹

رزّيك الأرمنىّ والى منية بنى خصيب. ثم ساق الذهبىّ قصّة طلائع مع الوزير عبّاس.

و قال ابن الأثير: «اتّفق أنّ أسامة بن منقذ قدم مصر، فاتّصل بعبّاس الوزير و حسّن له قتل زوج أمّه العادل بن سلّار فقتله، و ولّاه الظافر الوزارة من بعده؛ فاستبدّ بالأمر و تمّ له ذلك. و علم الأمراء [و الأجناد] أنّ ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله. فخلا بعبّاس و قال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح قول الناس إنّ الظافر يفعل بابنك نصر- و كان من أجمل الناس، و كان ملازما للظافر- فانزعج لذلك و قال: كيف الحيلة؟ قال: اقتله فيذهب عنك العار. فاتّفق مع ابنه على قتله.

و قيل: إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس [قرية] قليوب كلّها فدخل و قال: أقطعنى مولانا قليوب. فقال ابن منقذ: ما هى فى مهرك بكثير!».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۰

فجرى ما ذكرناه، و هربوا و قصدوا الشام على ناحية أيلة فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع و أربعين. و ملك الصالح طلائع بن رزّيك ديار مصر من غير قتال؛ و أتى إلى دار عبّاس المعروفة بدار الوزير المأمون بن البطائحىّ التى هى اليوم المدرسة السّيوفيّة الحنفيّة؛ فاستحضر الخادم الصغير الذى كان مع الظافر لمّا نزل سرّا، و سأله عن الموضع الذى دفن فيه فعرّفه به. فقلع البلاطة التى كانت على الظافر و من معه من المقتولين، و حملوا و قطّعت عليهم الشعور و ناحوا عليهم بمصر، و مشى الأمراء قدّام الجنازة إلى تربة آبائه. فتكفّل الصالح طلائع بن رزّيك بالصغير (يعنى الفائز هذا) و دبّر أحواله.

و أمّا عبّاس و من معه فإنّ أخت الظافر كاتبت الفرنج الذين بعسقلان الذين استولوا عليها من مديدة يسيرة، و شرطت لهم مالا جزيلا إذا خرجوا عليه و أخذوه، فخرجوا عليه فواقعهم فقتل عباس و أخذت الفرنج أمواله و هرب ابن منقذ فى طائفة إلى الشام؛ و أرسلت الفرنج نصر بن عبّاس إلى مصر فى قفص حديد.

فلما وصل سلّم رسولهم المال و ذلك فى [شهر] ربيع الأوّل سنة خمسين و خمسمائة، ثم خلعت أخت الظافريد نصر و ضرب ضربا مهلكا، و قرض جسمه بالمقاريض، ثم صلب على باب زويلة حيّا ثم مات، و بقى مصلوبا إلى يوم عاشوراء سنة إحدى و خمسين، ثم أنزل و أحرقت عظامه. و قيل: إنّ الصالح طلائع بن رزّيك بعث إلى الفرنج بطلب نصر بن عبّاس و بذل إليهم أموالا. فلمّا وصل سلّمه الملك الصالح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۱

إلى نساء الظافر فأقمن يضربنه بالقباقيب و الزّرابيل أياما، و قطّعن لحمه و أطعمنه إيّاه، إلى أن مات ثم صلب.

و تكفّل الصالح طلائع بن رزّيك أمر الصبىّ (أعنى الفائز) وساس الأمور و تلقّب بالملك الصالح، و سار فى الناس أحسن سيرة. و فخم أمره و كان طلائع أديبا كاتبا. و لمّا ولى الوزر و تلقّب بالملك الصالح خلع عليه مثل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالىّ من الطيلسان المقوّر، و أنشئ له السّجلّ؛ فتناهى فيه كتّاب الإنشاء. فمما قيل فيه:

«و اختصّک أمیر المؤمنین بطیلسان غدا للسیف توءما، لیکون کلّ ما أسند إلیک من أمور الدولة معلما. و لم یسمع بذلک إلّا ما أکرم به الإمام المستنصر بالله أمیر المؤمنین أمیر الجیوش أبا النجم بدرا و ولده أبا القاسم شاهنشاه، و أنت أیّها السید الأجلّ الملک الصالح. و أین سعیهما من سعیک، و رعیهما الذّمام من رعیک؛ لأنّک کشفت الغمّة، و انتصرت للأئمة، و بیّضت غیاهب الظلمة، و شفیت قلوب الأمة».

و أشیاء غیر ذلک. و عظم أمر الصالح طلائع إلی أن وقع له ما سنذکره. کلّ ذلک و الفائز لیس له من الخلافة إلّا مجرّد الاسم فقط، و ذلک لصغر سنّه.

و لمّا استفحل أمر الصالح طلائع أخذ فی جمع المال، فإنّه کان شرها حریصا علی التحصیل. و کان مائلا إلی مذهب الإمامیّة (أعنی أنّه کان متغالیا فی الرّفض) فمال علی المستخدمین فی الأموال، و أخذ یعمل علی الأمراء المقدّمین فی الدولة، مثل ناصر الدولة یاقوت، و کان صاحب الباب، و ناب عن الحافظ فی مرضة مرضها

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۲

مدّة ثلاثة أشهر؛ و طلب أن یوزّره فأبی یاقوت المذکور. و مثل الأوحد بن تمیم، فإنّه کان من أعیان الأمراء. و لمّا سمع بقصّة عبّاس من قتله الظافر، و کان والیا علی دمیاط و تنّیس، تحرّک لطلب دم الظافر و قصد القاهرة، فسبقه طلائع بن رزیک بیوم واحد، فخاب قصده؛ فردّه طلائع بن رزّیک إلی ولایته، و أضاف إلیه الدّقهلیّة و المرتاحیّة. و بقی تاج الملوک قایماز بالقاهرة، و هو من کبار الأمراء، و ابن غالب لاحق به؛ فحمل الأجناد علیهما یطلبونهما، فخرجا فی جماعتهما، فتکاثر علیهما الأجناد فقتلا و نهبت دورهما بأطماع الصالح طلائع بن رزیک فی ذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۳

ثم إنّ طلائع ما اتّسع له قرب الأوحد بن تمیم بدمیاط، فقلّده أسیوط و إخمیم.

و کان ناصر الدولة بقوص من وزارة عباس؛ و کان ابن رزّیک لمّا استدعی لأخذ الثأر و هو بالأشمونین لم یجسر علی الحرکة إلّا بعد مکاتبة ناصر الدولة بذلک، و استدعاه ابن رزّیک لیکون الأمر له. فکاتبه ناصر الدولة بإزهاده فی ذلک، و أنّه سئل به و ترکه فی أیام الحافظ عن قدرة، و اعتقد أنّه لا یفلح لأنّه لم یتحقق ما کان من عبّاس.

فعند ذلک خلت القاهرة لطلائع بن رزّیک من مماثل. و أظهر مذهب الإمامیّة، و باع الولایات للأمراء، و جعل لها أسعارا، و مدّتها ستة أشهر؛ فتضرّر الناس من تردّد الولاة علیهم فی کلّ ستة أشهر. و صایق الفصر طمعا فی صغر سنّ الخلیفة، فتعب الناس معه. و جعل له مجلسا فی أکثر اللیالی یحضره أهل الأدب، و نظم هو شعرا و دوّنه، و صار الناس یهرعون إلی نقل شعره؛ و ربّما أصلحه له شاعر کان یصحبه یقال له ابن الزّبیر. و ممّا نسب إلیه من الشعر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۴

قوله

[الکامل]

کم ذا یرینا الدهر من أحداثه عبرا و فینا الصّدّ و الإعراض

ننسی الممات و لیس نجری ذکره فینا فتذکرنا به الأمراض

و له من قصیدة:

[الوافر]

مشیبک قد رمی صبغ الشباب و حلّ الباز فی وکر الغراب

و منها:

فكيف بقاء عمرك و هو كنز و قد أنفقت منه بلا حساب

فلمّا ثقلت وطأته على القصر، و كان الخليفة الفائز فى تدبير عمته، شرعت فى قتل طلائع بن رزّيك المذكور، و فرّقت فى ذلك مالا يقرب من خمسين ألف دينار. فعلم ابن رزّيك بذلك، فأوقع بها و قتلها بالأستاذين و الصقالبة سرّا، و الخليفة فى واد آخر من الاضطراب. ثم نقل ابن رزّيك كفالة الفائز إلى عمّته الصغرى، و طيّب قلبها و راسلها. فما حماه ذلك منها بل رتّبت قتله. و سعى لها فى ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ فرتّبت قوما من السودان الأقوياء فى باب السّرداب فى الدّهليز المظلم الذى يدخل منه إلى القاعة، و قوم أخر فى خزانة هناك و فيهم واحد من الأجناد يقال له ابن الراعى. فدخل يوم خمسة من شهر رمضان سنة ستّ و خمسين و خمسمائة؛ فلمّا انفصل من السلام على الخليفة، و كان صاحب الباب فى ذلك اليوم أميرا يقال له ابن قوّام الدولة، و كان إماميّا، فيقال: إنّه أخلى الدّهليز من الناس حتّى لم يبق فيه أحد، و إنّه استوقفه أستاذ يقال له عنبر الربعىّ بحديث طويل.

و تقدّم طلائع بن رزّيك و معه ولده رزّيك، فأرادت الجماعة المختبأة أن تخرج،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۵

فوجدوا الباب مغلقا، و خافوا من خلعه التشغيب؛ فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رزّيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عضده الأيمن، و جرح أبوه الصالح طلائع بن رزّيك من ابن الراعى المذكور. و قيل: إنّ طلائع كان متخوما فاستفرغ بالدّم، فأكبّ على وجهه و أخذ منديله من على رأسه؛ فعاد إليه رجل يقال له ابن الزّبد، فألبسه المنديل، و خرج به محمولا على الدّابة لا يفيق. فقيل: إنّه كان يقول إذا أفاق: رحمك اللّه يا عبّاس (يعنى بذلك عبّاسا الوزير الذى قتل الخليفة الظافر).

و كان الفائز قد مات، و تولّى الخلافة العاضد، و هو أيضا تحت حجر طلائع المذكور. فمات طلائع سحرا. و كان طلائع قد ولّى شاور قوص و ندم على ولايته، فأراد استعادته من الطريق؛ فسبقه شاور حتّى حصل بها، و طلب منه كلّ شهر أربعمائة دينار، و قال: لا بدّ لقوص من وال، و أنا ذلك؛ و اللّه لا أدخل القاهرة، و متى صرفنى دخلت النّوبة. و لمّا مات الصالح طلائع بن رزّيك و طاب ولده رزّيك، طلبت عمّة الفائز رزّيك، و أحضرت له الذى ضربه فى عضده الأيمن، و أحضرت أيضا سيف الدين حسين ابن أخى طلائع، و حلفت لهما أنّها لم تدر بما جرى على أبيه الصالح، و أنّ فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ و خلعت على رزّيك بالوزارة عوضا عن أبيه طلائع بن رزّيك، و فسحت له فى أخذ من ارتاب به فى قتل أبيه.

فأخذ ابن قوّام الدولة فقتله و ولده، و الأستاذ الذى شغله. و أقام رزّيك المذكور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۶

فى الوزارة سنة و كسرا، فما رأى الناس أحسن من أيامه، و سامح الناس بما عليهم من الأموال البواقى الثابتة فى الدواوين، و لم يسبق إلى ذلك. و دام فى الوزارة حتى قيل: اصرف شاور من قوص يتمّ الأمر لك. فأشار عليه سيف الدين حسين بإبقائه؛ فقال رزّيك: مالى طمع فيما آخذه منه، و لكن أريده يطأ بساطى. فقيل له:

ما يدخل أبدا، فما قبل. و خلع على أمير يقال له ابن الرفعة بولاية قوص عوضا عن شاور؛ فخرج شاور من قوص فى جماعة قليلة إلى الواحات.

و أما رزّيك الوزير فإنّه رأى مناما أخبر به ابن عمّه سيف الدين حسين؛ فقال له حسين: إنّ بمصر رجلا يقال له ابن الإيتاخى حاذقا فى التعبير، فأحضره رزّيك و قال له: رأيت كأنّ القمر قد أحاط به حنش، و كأنّنى روّاس فى حانوت.

فغالطه المعبّر فى التفسير؛ و ظهر ذلك لسيف الدين حسين، فأمسك إلى أن خرج المعبّر فقال له: ما أعجبنى كلامك، و اللّه لا بدّ أن تصدقنى و لا بأس عليك. فقال:

يا مولاى، القمر عندنا هو الوزير، كما أنّ الشمس خليفة؛ و الحنش المستدير عليه هو جيش مصحف؛ و كونه روّاسا اقلبها تجدها شاور مصحّفا أيضا. فقال له حسين: اكتم هذا عن الناس. و اهتمّ حسين فى أمره، و وطّأ له التوجّه إلى مدينة النّبىّ عليه السّلام، و كان أحسن

إلى المقيمين بها، و حمل إليها مالا و أودعه عند من يثق به. و صار أمر شاور يزداد و يقوى حتى قرب من القاهرة، و صاح

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۷

الصائح فى بنى رزيك و كانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس. فأوّل من نجا بنفسه حسين. فلمّا بلغ رزّيك توجّه حسين انقطع قلبه، و أخذ أمواله على البغال و خرج فى خاصّيته إلى إطفيح، فأخذه مقدّم إطفيح بعد أمور و كلّ من معه، و أتى بهم إلى شاور فى الحديد؛ فاعتقله شاور و أخاه جلال الإسلام؛ فطلب رزّيك من بعض غلمان أبيه مبردا فبرد قيده؛ فعلم أخوه جلال الإسلام فأعلم شاور بذلك، فقتل شاور رزّيك و أبقى على أخيه جلال الإسلام لهذه النصيحة. و استمر شاور فى الوزر أشهرا حتى وقع له مع الضّرغام أحد أمراء بنى رزّيك ما وقع، و استنجد عليه بتوجّهه إلى دمشق إلى نور الدين محمود بن زنكى؛ فأرسل معه نور الدين أسد الدين شيركوه بن شادى. و شاور هو صاحب القصّة مع أسد الدين شيركوه و ابن أخيه السلطان صلاح الدين. يأتى ذكر ذلك فى ترجمة العاضد مفصّلا، إن شاء اللّه.

و كانت وفاة الفائز صاحب الترجمة فى شهر رجب سنة خمس و خمسين و هو ابن عشر سنين أو نحوها. و بايعوا العاضد لدين اللّه أبا محمد عبد اللّه بن يوسف

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۸

ابن الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ابن عم الفائز هذا. و أجلسه الملك الصالح طلائع بن رزّيك على سرير الخلافة. و أزوجه ابنته. ثم بعد ذلك استعمل طلائع شاور على بلاد الصعيد. و هو شاور البدرىّ الذى استولى على ديار مصر فى خلافة العاضد آخر خلفاء بنى عبيد، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۴۹]

السنة التى حكم فى أوّلها الظافر و فى آخرها الفائز، و كلاهما ليس له فى الخلافة إلّا مجرّد الاسم فقط، و هى سنة تسع و أربعين و خمسمائة.

فيها حنقت الترك على سنجرشاه السلجوقىّ و تركوه فى قيد من حديد فى خيمة، و وكّل به جماعة و أجروا عليه ما لا يجرى على الكفرة، و كاد يموت خوفا، و صار يبكى ليلا و نهارا على نفسه، و يتمّنى الموت.

و فيها ملك نور الدين محمود بن زنكى بن آق سنقر المعروف بالشهيد دمشق من الأمير مجير الدّين. و ساعده فى ذلك بعض أهل دمشق على مجير الدين المذكور لزيادة ظلمه و مصادراته الناس؛ فلمّا تحرك نور الدين لطلب دمشق وافقه أهلها لما فى نفوسهم من مجير الدين.

و فيها توفى المظفّر بن علىّ [بن محمد بن محمد] بن جهير الوزير أبو نصر ابن الوزير فخر الدولة، و جدّه كان أيضا وزيرا. و هو من بيت وزارة و فضل، و زر للمقتفى سبع سنين، و عزل عن الوزارة فى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، و كان الخليفة المقنفى نقله من الأستاداريّة إلى الوزر. و كانت وفاته فى ذى الحجة. و كان فاضلا نبيلا، سمع الحديث و حجّ و تصدّق.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۱۹

و فيها توفى محمد بن أحمد بن إبراهيم العلّامة أبو بكر البغدادىّ الحنفىّ. كان فقيها عالما نحويّا. مات فى ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الظافر بالله إسماعيل ابن الحافظ العبيدىّ، اغتاله عبّاس فى المحرّم و له اثنتان و عشرون سنة، و أجلس مكانه ولده الفائز طفلا- و أبو البركات عبد اللّه بن محمد بن الفضل الفراوىّ، مات جوعا فى ذى القعدة فى كائنة الغزّ. و أبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشّحّامىّ، هلك فى شوّال بنيسابور. و أبو سعد محمد بن جامع

الصّيرفىّ خيّاط الصوف، توفّى فى [شهر] ربيع الآخر. و أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسىّ بدمشق فى ذى الحجّة. و الحافظ أبو المعمّر المبارك بن أحمد الأنصارى الأزجىّ فى رمضان. و الوزير أبو نصر المظفّر بن علىّ ابن الوزير فخر الدولة بن جهير، وزر للمقتفى سبع سنين، و مات فى ذى الحجة. و أبو المحاسن نصر بن المظفّر البرمكىّ بهمذان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۰]

السنة الثانية من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هى سنة خمسين و خمسمائة.

فيها دخلت الترك نيسابور بعد أن كان بينهم و بين أهلها قتال عظيم و نهبوا و سبوا و قتلوا بها نحوا من ثلاثين ألف نسمة، منهم محمد بن يحيى شيخ الشافعيّة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۰

و كان الملك سنجر شاه السلجوقىّ معهم فى الأسر، و عليه اسم السلطنة و هو مقيّد معتقل على أقبح وجه يخدم نفسه و يجلس وحده فى أضيق مكان.

و فيها توفّى محمد بن ناصر بن محمد بن علىّ بن عمر السّلامىّ الدار الفارسىّ الأصل. سمع الحديث و رحل إلى البلاد، و كان حافظا متقنا عالما بالأسانيد و المتون، ضابطا ثقة من أهل السنّة. و مات فى شعبان. و أنشد لغيره:

[البسيط]

دع المقادير تجرى فى أعنّتها و اصبر فليس لها صبر على حال

ما بين رقدة عين و انتباهتها يقلّب الدهر من حال إلى حال

و فيها توفّى هبة اللّه بن علىّ أبو محمد بن عرام، كان فاضلا شاعرا. و من شعره فى ذمّ إنسان:

[البسيط]

جميع أقواله دعاوى و كلّ أفعاله مساوى

ما زال فى وقته غريبا ليس له فى الورى مساوى

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر القيسىّ المغربىّ المالكىّ، مات بفاس فى ذى القعدة. و كان فقيها أديبا مترسّلا شاعرا.

و من شعره:

[الخفيف]

أطيب الطّيبات قتل الأعادى و اختيالى على متون الجياد

و رسول يأتى بوعد حبيب و حبيب يأتى بلا ميعاد

قلت: و قد تغالى الناس فى رسول الحبيب و قالوا فيه أحسن الأقوال.

فمن ذلك قول بهاء الدين زهير فى أول قصيدة:

[الطويل]

رسول الرضا أهلا و سهلا و مرحبا حديثك ما أحلاه عندى و أطيبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۱

و أحسن ما سمعت فى هذا المعنى قول صفىّ الدين الحلّىّ:

[الكامل]

من كنت أنت رسوله كان الجواب قبوله

هو طلعة الشمس الذى جاء الصباح دليله

و فى المعنى للسّراج الورّاق:

[الكامل]

إن كانت العشّاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذى أتلو لهم: يا ليتنى كنت اتّخذت مع الرسول سبيلا

و مما يقارب هذا المعنى ما أنشدنى الحافظ شهاب الدّين بن حجر لنفسه إجازة إن لم يكن سماعا:

[الطويل]

أتى من أحبّائى رسول فقال لى ترفّق و هن و اخضع تفز؟؟؟ برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبّنا فصار عزيزا حين ذاق هوانا

و قد خرجنا عن المقصود.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو العباس أحمد ابن معدّ التّجيبىّ الأقليشىّ. و أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن العصائدىّ النّيسابورىّ. و أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن [بن عبد اللّه] بن أحمد بن البنّاء فى ذى الحجّة. و أبو الفتح محمد بن علىّ بن هبة اللّه بن عبد السلام الكاتب. و الحافظ

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۲

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علىّ السّلامىّ فى شعبان، و له ثلاث و ثمانون سنة.

و أبو الكرم المبارک بن الحسن الشهرزورىّ المقرئ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۱]

السنة الثالثة من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هى سنة إحدى و خمسين و خمسمائة.

فيها خلع الخليفة المقتفى بالله على سليمان شاه بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقىّ بعد عمّه سنجرشاه خلعة السلطنة: التاج و الطوق و السّوار و المركب الذهب، و استحلفه الخليفة أن يكون العراق للخليفة و لا يكون لسليمان شاه المذكور إلّا ما يفتحه بسيفه من غير العراق، و خطب له على منابر العراق بالسلطنة، و تمّ أمره إلى ما سيأتى ذكره.

و فيها خلص السلطان سنجر شاه من أسر الترک بحيلة، و هرب إلى قلعة ترمذ بعد أن أقام عندهم أربع سنين فى الذلّ و الهوان حتى ضرب بحاله عندهم الأمثال.

و فيها توفّى عبد القاهر بن عبد اللّه بن الحسين أبو الفرج المعروف بالواوا الشاعر المشهور. كان أصله من بزاعة و نشأ بحلب (و بزاعة بضم الباء الموحدة و فتح الزاى و بعد الألف عين مهملة مفتوحة و هاء، و هى قرية من أعمال حلب) و تأدّب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۳

بحلب و برع فی الأدب و قول الشعر، و شرح دیوان المتنّبیّ. و مما ینسب إلیه من الخمریات- و قیل هما لغیره- قوله:

[الوافر]

مجرّة جدول و سماء آس و أنجم نرجس و شموس ورد

و رعد مثلّث و سحاب کأس و برق مدامة و ضباب ندّ

قلت: و یعجبنی فی هذا المعنی قول یزید بن معاویة:

[الکامل]

و مدامة حمراء فی قارورة زرقاء تحملها ید بیضاء

فالراح شمس و الحباب کواکب و الکفّ قطب و الإناء سماء

و ما أظرف قول دیک الجنّ عبد السلام بن رغبان:

[الوافر]

شربنا فی غروب الشمس شمسا لها وصف یجلّ عن الصفات

عجبت لعاصریها کیف ماتوا و قد صنعوا لنا ماء الحیاة

و مما قیل فی هذا المعنی- دو بیت-:

یا ساقی خصّنی بما تهواه لا تمزج اقداحی رعاک اللّه

دعها صرفا فإنّنی أمزجها إذ أشربها بذکر من أهواه

و فیها توفّی علیّ بن الحسین الشیخ الإمام الواعظ أبو الحسن الغزنویّ الملقّب بالبرهان. قدم بغداد و سمع الحدیث و وعظ، و کان فصیحا مفوّها. کان السلطان مسعود السّلجوقیّ یزوره. و لمّا أقام ببغداد أمرت الخاتون زوجة الخلیفة المستظهر أن یبنی له رباط و وقفت علیه قریة اشترتها من الخلیفة المسترشد. و انتفع الناس بجاهه و ماله. و کان له أدب و نظم. فمن شعره قوله:

[السریع]

کم حسرة لی فی الحشا من ولد إذا نشا

و کم أردت رشده فما نشا کما نشا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۴

و له فی غیر هذا المعنی و أجاد:

[السریع]

یحسدنی قومی علی صنعتی لأنّنی فی صنعتی فارس

سهرت فی لیلی و استنعسوا هل یستوی الساهر و الناعس

و فیها توفّی السلطان مسعود بن محمد ملک الروم. و تولّی ممالک الروم بعده ابنه قلیج أرسلان بن مسعود.

و فیها توفّی الشیخ أبو العزّ بن أبی الدنیا القرشیّ الصوفیّ البصریّ. کان أبوه محتسب البصرة، و کان شاعرا مجیدا (أعنی أباه). و من شعره:

[الرجز]

ما بال قلبی زائدا غرامه و دمع عینی هاطلا غمامه

و ذلک الجمر الذی خلفتم علی الحشا لا ینطفی ضرامه

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو القاسم إسماعیل ابن علیّ النیسابوریّ ثم الأصبهانیّ الحمّامیّ الصوفی

فی صفر و قد شارف المائة.

و أبو القاسم الحسين بن الحسن بن البنّ الأسدیّ بدمشق فی ربیع الآخر. و أبو الحسن علیّ بن أحمد [بن الحسين بن أحمد بن الحسين] بن محمويه اليزدیّ الشافعیّ المصریّ.

و أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن سلامة الكرخیّ فی شوّال. و الشيخ أبو البيان [نبا] ابن محمد بن محفوظ القرشیّ بن الحورانیّ الدمشقیّ اللغویّ الشافعیّ الزاهد القدوة.

أمر النيل فی هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانی أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۲]

السنة الرابعة من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هی سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة.

فيها جمع الملک محمد شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن ملکشاه السّلجوقیّ التركمان و الأكراد و سار حتّى قارب بغداد، و بعث إلى الخليفة المقتفی يطلب منه الخطبة و السلطنة، فقيل له: السلطان هو سنجر شاه بن ملكشاه عمّ أبيک، و أنتم مختلفون.

فلم يلتفت محمد شاه حتّى قدم بغداد و حصرها، و وقع له بها أمور؛ و طال الأمر بينهم إلى أن رحل منها إلى جهة همذان.

و فيها كانت زلازل عظيمة بالشأم و حلب و حماة و شيزر و غالب بلاد الشام و الشرق، و هلک خلق كثير، حتّى حكى أن معلّما كان بحماة فی كتّاب، فقام من المكتب يقضی حاجة ثم عاد و قد وقع المكتب على الصبيان فماتوا بأسرهم. و العجب أنه لم يأت أحد يسأل عن صبیّ منهم بل جميع آبائهم ماتوا أيضا تحت الهدم فی دورهم. و وقعت أبراج قلعة حلب و غيرها، و هلک جميع من كان فی شيزر إلا امرأة واحدة و خادما. و ساخت قلعة فامية، و انشقّ تلّ حرّان نصفين، و ظهر فيه بيوت و عمائر قديمة. و انشقّ فی اللّاذقيّة موضع ظهر فيه صنم قائم فی الماء، و خربت صيداء و بيروت و طرابلس و عكّا و صور و جميع قلاع الفرنج. و عمل شعراء ذلک العصر فی هذه الزلزلة أشعارا كثيرة.

و فيها ملک الملک العادل نور الدين محمود بن زنكی بن آق سنقر المعروف بالشهيد حصن شيزر، و زال ملک بنی منقذ عنها بعد أن ملكوها سنين كثيرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۶

و فيها توفّی أحمد بن عمر الشيخ الإمام العلّامة أبو اللّيث السّمرقندیّ الحنفیّ.

كان إماما فقيها حسن الهيئة كثير الصّيت غزير العلم واسع الحفظ. حجّ و عاد إلى بغداد، و صنّف التصانيف المفيدة النافعة، و تفقّه به جماعة كبيرة. و لمّا خرج من بغداد خرج الناس لوداعه، فلمّا ودّعهم أنشد:

[البسيط]

يا عالم الغيب و الشّهادة إنّ بتوحيدک الشهاده

أسأل فی غربتی و كربی منک وفاة على الشهاده

و خرج فی قافلة؛ فلما ساروا قطع قوم الطريق على القافلة المذكورة و قتلوا منهم جماعة كبيرة من العلماء، فيهم صاحب الترجمة، فقتل الجميع شهداء.

و فيها توفّی أحمد بن المبارک بن محمد بن عبد اللّه. ولد سنة اثنتين و ثمانين و أربعمائة. كان أديبا شاعرا فاضلا. و من شعره:

[دو بيت]

ساروا و أقام فى فؤادى الكمد لم يلق كما لقيت منهم أحد

شوق و جوى و نار وجد تقد مالى جلد ضعفت مالى جلد

و فيها توفّى السلطان سنجر شاه ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق، السلطان أبو الحارث- و قيل:

اسمه أحمد. و سمّى بسنجر لأنّه ولد بسنجار فى شهر رجب سنة تسع و سبعين و أربعمائة حين توجّه أبوه إلى غزو الروم- و نشأ ببلاد الخوز، و سكن خراسان و استوطن مدينة مرو. و كان دخل بغداد مع أخيه محمد شاه على الخليفة المستظهر.

قال سنجر شاه: فلمّا وقفنا بين يدى الخليفة المذكور ظنّ أنى أنا السلطان، فافتتح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۷

كلامه معى؛ فخدمت و قلت: يا مولانا أمير المؤمنين، السلطان هو أخى، و أشرت إلى أخى محمد شاه؛ ففوّض إليه السلطنة و جعلنى ولىّ عهده.

قلت: و لمّا مات محمد شاه خوطب سنجر شاه هذا بالسلطنة، و كان قبلها فى ملك ضخم نحوا من عشرين سنة، و خطب له على عامّة منابر الإسلام؛ و أسره الترك أربع سنين، حسب ما ذكرناه فى وقته. ثم خلص و كاد ملكه أن يرجع إليه، فأدركته المنيّة فمات فى يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأوّل. و دفن بمرو فى قبّة بناها بها. و كان روى الحديث و عنده فضيلة. و أصابه صمم فى آخر عمره. و استقرّ الملك بعده لابن أخيه أبى القاسم محمود بن محمد شاه بن ملكشاه السّلجوقىّ.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى السلطان معزّ الدين أبو الحارث سنجر بن ملكشاه السّلجوقىّ فى [شهر] ربيع الأوّل، و بقى فى الملك نحوا من خمسين سنة. و أبو صابر عبد الصّبور بن عبد السلام الهروىّ. و أبو عمرو عثمان ابن علىّ البيكندىّ الزاهد ببخارى. و أبو حفص عمر بن عبد اللّه الحربىّ المقرئ.

و أبو بكر محمد بن عبيد اللّه بن نصر بن الزّاغونىّ. و شيخ الشافعيّة أبو الحسن محمد بن المبارك بن الخلّ. و أبو القاسم نصر بن نصر العكبرىّ الواعظ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۳]

السنة الخامسة من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هى سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة.

فيها اتّفق السلطان محمد شاه السّلجوقىّ مع أخيه ملكشاه و أمدّه بعساكر، فسار إلى خوزستان و فتحها.

و فيها توفّى عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم أبو الوقت الهروىّ المنشأ السّجزىّ الأصل. و مولده فى سنة ثمان و خمسين و أربعمائة. و حمله أبوه من هراة إلى بوشنج على عنقه، فسمع صحيح البخارى، و قدم بغداد و طال عمره و حدّث و سمع منه خلائق و ألحق الصّغار بالكبار. و كان كثير التعبّد و التهجّد. و مات ببغداد و دفن بالشّونيزيّة عن نيّف و تسعين سنة.

و فيها توفّى يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الشيخ أبو الفضل الحصكفىّ ولد بطنزة (مدينة صغيرة بديار بكر) و نشأ بحصن كيفا و انتقل إلى ميّافارقين.

و كان إماما فى كلّ فنّ، و له أدب و ترسّل و شعر. و من شعره:

[البسيط]

و اللّه و لو كانت الدّنيا بأجمعها تبقى علينا و يأتى رزقها رغدا

ما كان من حقّ حرّ أن يذلّ لها فكيف و هى متاع يضمحلّ غدا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۲۹

قلت: و هذا الشعر تكلّم [به] الحصكفىّ المذكور عن خاطرى. و كثيرا ما كنت ألهج بهذا المعنى نثرا قبل أن أقف على هذين البيتين، فطابقا ما كان يخطر ببالى، فللّه درّه!. و من شعره أيضا قوله:

[البسيط]

على ذوى الحبّ آيات مترجمة تبين من أجله عن كلّ مشتبه

عرف يلوح و آثار تلوح و أس رار تبوح و أحشاء تنوح به

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى السّجزىّ الصوفىّ فى ذى القعدة، و له ستّ و تسعون سنة.

و أبو مسعود عبد الجليل بن محمد كوتاه الحافظ بأصبهان فى شعبان. و علىّ بن عساكر ابن سرور المقدسىّ الكيّال بدمشق فى شوّال عن ست و تسعين سنة. و العلّامة أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور النّيسابورىّ الصّفّار يوم النحر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۴]

السنة السادسة من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هى سنة أربع و خمسين و خمسمائة.

فيها غرقت بغداد و صارت تلالا لا يعرف أحد موضع داره.

و فيها توفّى عبد الواحد بن حميد بن مفرّج الدمشقىّ. كان أديبا شاعرا فصيحا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۰

و من شعره قوله من أوّل قصيدة:

[الرمل]

ظالمى فى الحبّ أضحى حكمى كيف لا يأثم فى سفكك دمى

كم كتمت الحبّ عن عاذلتى حذر البين فلم ينكتم

و كانت وفاته بدمشق فى ذى القعدة.

و فيها توفّى السلطان محمد شاه بن محمود شاه [بن محمد شاه] بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن دقماق بن سلجوق، أبو نصر السلجوقىّ. قد تقدّم نبذة كبيرة من ذكره فى الحوادث. و لمّا حاصر بغداد كان مريضا، و بلغه موت عمّه سنجر شاه فزاد به المرض إلى أن مات على باب همذان فى ذى الحجّة.

و اختلف الأمراء بعد موته؛ فمنهم من مال إلى أخيه ملكشاه، و منهم من مال إلى سليمان شاه، و منهم من مال إلى أرسلان شاه؛ ثم اتّفقوا على سليمان شاه.

و كان محبوسا بالموصل؛ فجهّزه زين الدين صاحب الموصل بإشارة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد؛ فأجلسوه على سرير الملك بهمذان.

و كان قصدهم أن يأكلوا به البلاد، لأنّه كان مشغولا باللّهو إلّا أنّه كان فاضلا جوادا مشفقا أمينا. و أما محمد شاه صاحب الترجمة فإنه كان شابّا و عنده شجاعة و إقدام و كرم.

و فيها توفّى محمد بن أبى عقامة أبو عبد اللّه قاضى زبيد. كان حاكما على اليمن، و لمّا تغلّب ابن مهدى على اليمن قتله و قتل ولده، و كانا فاضلين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۱

و من شعر محمد هذا من أوّل قصيدة قوله:

[البسيط]

للوجد عنكم روايات و أخبار و للعلا نحوكم حاج و أوطار

و حيث كنتم فثغر الرّوض مبتسم و أين سرتم فدمع العين مدرار

للّه قوم إذا حلّوا بمنزلة حلّ النّدى و يسير الجود إن ساروا

تشتاقكم كلّ أرض تنزلون بها كأنّكم لبقاع الأرض أمطار

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو القاسم أحمد بن المبارك بن عبد الباقى الذهبىّ القطّان. و أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العبّاسىّ المكىّ النقيب فى شعبان. و أبو زيد جعفر بن زيد بن جامع الحموىّ صاحب «الرسالة». و أبو علىّ الحسن بن جعفر [ابن عبد الصمد] بن المتوكّل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۵]

اشارة

السنة السابعة من ولاية الفائز بنصر اللّه على مصر و هى سنة خمس و خمسين و خمسمائة على أنّ الفائز مات فيها فى شهر رجب، و حكم فى باقيها العاضد بالله عبد اللّه.

فيها فى يوم الجمعة سلخ صفر أرجف ببغداد بموت الخليفة المقتفى بالله العباسىّ، فلمّا كان ثانى شهر ربيع الأوّل تحقّق الناس موته، و دعى الناس إلى بيعة ولىّ العهد المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن محمد المقتفى، و تمّ ذلك و بويع بالخلافة.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ بن عبد اللّه بن أبى جرادة أبو علىّ ثقة الملك الحلبىّ الحنفىّ. نشأ بحلب ثم سافر إلى مصر، فتقدّم عند وزيرها الملك الصالح طلائع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۲

ابن رزّيك، و كان طلائع المذكور يحترمه لفضله و بيته. و مات بمصر فى هذه السنة- و قيل: فى سنة إحدى و خمسين و خمسمائة- و كان إماما بارعا فصيحا شاعرا.

و من شعره:

[البسيط]

يا صاحبىّ أطيلا فى مؤانستى و ذكّرانى بخلّانى و عشّاقى

و حدّثانى حديث الخيف إنّ به روحا لروحى و تسهيلا لآماقى

و فيها توفّى حمزة بن أسد بن علىّ بن محمد أبو يعلى التميمىّ العميد الدمشقىّ، و يعرف بآبن القلانسىّ. كان فاضلا أديبا مترسلا، جمع تاريخ دمشق و سماه الذيل، و ذكر فى أوّله طرفا من أخبار المصريّين و بعض حوادث السنين. و قد نقلنا عنه نبذة فى هذا الكتاب. و كانت وفاته بدمشق فى يوم الجمعة سابع شهر ربيع الأوّل، و دفن يوم السبت بقاسيون. و من شعره:

[الكامل]

إياك تقنط عند كلّ شديدة فشدائد الأيّام سوف تهون

و انظر أوائل كلّ أمر حادث أبدا فما هو كائن سيكون

و فيها توفّى الأمير قايماز الأرجوانىّ أمير الحاج حجّ غير مرّة بالناس. و كان شجاعا عادلا رفيقا بالحاجّ محسنا إليهم. دخل ميدان دار الخلافة يلعب بالكرة فسقط من الفرس فمات، فحزن الخليفة عليه و الناس، ثم أمر الخليفة أمراء الدولة أن يمشوا فى جنازته. و كان حجّ بالناس مدّة سنين.

و فيها توفّى الخليفة المقتفى بالله أمير المؤمنين أبو عبد اللّه محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد بن المقتدى بالله عبد اللّه ابن الأمير محمد ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه بن القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن الأمير الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور بن محمد

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۳

ابن علىّ بن عبد اللّه بن عباس الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. بويع بالخلافة بعد قتل ابن أخيه الراشد بالله فى شهر رمضان سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة. و مولده فى سنة تسع و ثمانين و أربعمائة. و أمّه أمّ ولد تدعى بغية النفوس- و قيل: نسيم- و مات فى يوم الأحد ثانى شهر ربيع الأوّل و دفن بداره بعد أن صلّى عليه بالمسجد.

و كانت خلافته أربعا و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و واحدا و عشرين يوما. و ولى الخلافة من بعده ابنه المستنجد يوسف. و كان إماما عالما أديبا شجاعا حليما دمث الأخلاق كامل السّودد، خليقا بالخلافة قليل المثل فى الأئمة. رحمه اللّه تعالى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العميد أبو يعلى حمزة ابن أسد التميمىّ ابن القلانسىّ رئيس دمشق فى عشر التسعين. و أبو يعلى حمزة ابن علىّ بن هبة اللّه بن الحبوبىّ الثعلبىّ البزّاز فى جمادى الأولى. و صاحب غزنة خسروشاه بن مسعود السّبكتكينىّ. و الفائز عيسى بن الظافر بن الحافظ العبيدىّ، أقاموه فى الخلافة بمصر و له خمس سنين أو دونها، و كان يصرع، فمات فى رجب و بايعوا العاضد. و توفّى المقتفى لأمر اللّه أمير المؤمنين محمد بن المستظهر بالله ابن المقتدى فى شهر ربيع الأوّل و له ستّ و ستون سنة، و كانت دولته خمسا و عشرين سنة، و أمه حبشيّة. و أبو المظفّر محمد بن أحمد بن التّريكىّ الهاشمىّ.

و أبو الفتوح محمد بن محمد بن علىّ الطائىّ الهمذانىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و عشر أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۴

ذكر ولاية العاضد بالله على مصر

الخليفة أبو محمد عبد اللّه العاضد بالله ابن الأمير يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد ابن الأمير محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معدّ بن الظاهر باللّه علىّ بن الحاكم بأمر اللّه منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين اللّه معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدىّ عبيد اللّه، الفاطمىّ العبيدىّ، المغربىّ الأصل المصرىّ، الحادى عشر من خلفاء بنى عبيد بمصر، و الرابع عشر بالثلاثة

الذين ولوا بالمغرب: المهدىّ و القائم و المنصور. ولد سنة أربع و أربعين و خمسمائة، و قيل سنة أربعين.

و قال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان- رحمه اللّه-: «ولد يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرّم سنة سبع و أربعين و خمسمائة، و بويع فى رجب بعد موت ابن عمّه الفائز بنصر اللّه سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و هو ابن إحدى عشرة سنة و شهور. و كان أبوه يوسف أحد الأخوين اللذين قتلهما عبّاس الوزير بعد قتل الظافر». انتهى.

و قال أبو المظفّر بن قزأوغلى فى تاريخه: «و توفّى (يعنى العاضد) يوم عاشوراء و عمره ثلاث و عشرون سنة، فكانت أيّامه إحدى عشرة سنة. و اختلفوا فى سبب وفاته على أقوال. أحدها أنّه تفكّر فى أموره فرآها فى إدبار فأصابه ذرب عظيم فمات منه. و الثانى أنّه لمّا خطب لبنى العباس بلغه فاغتمّ و مات؛ و قيل: إنّ أهله أخفوا عنه ذلك، و قالوا: إن سلم فهو يعلم، و إن مات فلا ينبغى أن ننغّص عليه هذه الأيام التى بقيت من عمره. و الثالث أنّه لمّا أيقن بزوال دولته كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۵

فى يده خاتم، له فصّ مسموم فمصّه فمات منه. و جلس صلاح الدين فى عزائه و مشى فى جنازته و تولّى غسله و تكفينه، و دفنه عند أهله. و استولى السلطان صلاح الدين على ما فى القصر من الأموال و الذخائر و التّحف و الجواهر و العبيد و الخدم و الخيل و المتاع و غيره. و كان فى القصر من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند خليفة و لا ملك، مما كان قد جمع فى طول السنين. فمنه: القضيب الزّمرّد و طوله قبضة و نصف، و الجبل الياقوت الأحمر، و الدرّة اليتيمة مثل بيض الحمام، و الياقوتة الحمراء و تسمّى الحافر، و زنتها أربعة عشر مثقالا. و من الكتب المنتخبة بالخطوط النفيسة مائة ألف مجلد. و وجد عمامة القائم و طيلسانه، كان البساسيرىّ بعث بهما إلى المستنصر» (يعنى لمّا استولى البساسيرىّ على بغداد، و أسر الخليفة القائم العباسىّ، و خطب ببغداد للمستنصر من بنى عبيد، ثم بعث بعمامة القائم و طيلسانه، فأخذوهما خلفاء مصر فاحتفظوا عليهما، نوعا من النكاية فى بنى العبّاس، فهذا شرح قول أبى المظفّر من عمامة القائم و الطيلسان). قال: «و وجدوا أموالا لا تحدّ و لا تحصى. و أفرد صلاح الدين أهل العاضد ناحية عن القصر، و أجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه، و سلّمهم إلى الخادم قراقوش؛ فعزل الرجال عن النساء و احتاط عليهم.

و ممّا وجد فى خزانة العاضد طبل القولنج الذى صنع للظافر، و كان من ضربه خرج منه ريح و استراح من القولنج- قلت: قد تقدّم الكلام قبل ذلك على هذا الطبل فى محلّه-. قال: «فوقع الطبل إلى بعض الأكراد فلم يدر ما هو فكسره، لأنّه ضرب عليه فخرج منه ريح فحنق و ضربه و كسره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۶

قال: «و فرّق صلاح الدين الأموال التى أخذها من القصر فى العساكر، و باع بعض الجوارى و العبيد، و أعطى للقاضى الفاضل من الكتب ما أراد، و بعث إلى نور الدين بعمامة القائم و طيلسانه و هدايا و تحف و طيب و مائة ألف دينار. و كان نور الدين بحلب فلمّا حضرت بين يديه قال: و اللّه ما كان لى حاجة إلى هذا، ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناه على العساكر التى جهّزناها إلى مصر، و ما قصدنا بفتحها إلّا فتح الساحل، [و قلع الكفّار منه]. و انقضت أيام الخلفاء المصريّين بوفاة العاضد، و عدّتهم أربعة عشر على عدد بنى أميّة، إلّا أنّ أيّامهم طالت فملكوا مائتين و ثمانى سنين، و بنو أميّة ملكوا نيّفا و تسعين سنة. قال: و أوّل المصريّين عبيد اللّه الملقّب بالمهدىّ».

قلت: ليس هو كما قال: إنّ عبيد اللّه أوّل خلفاء المصريّين، و إنما أوّلهم المعزّ لدين اللّه معدّ. نعم إن كان قصد بأن يكون أوّلهم ممّن دعى له على المنابر بالمغرب و أطلق عليه اسم الخليفة فيكون، و أمّا أنّه ملك مصر فلا. و يأتى بيان ذلك.

و قد تقدّم أيضا فى ترجمة المعزّ و غيره.

قال أبو المظفّر: «قال ابن عبد البرّ: هو عبيد اللّه بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق- عليه السلام-. و الثانى ابنه أبو القاسم محمد و يلقّب بالقائم بأمر اللّه، و الثالث ابنه إسماعيل و يلقّب بالمنصور، و الرابع ابنه معدّ و يلقّب بالمعزّ لدين اللّه».

- قلت: و هذا المعز هو الذی تقدّم ذکره أنّه أوّل من ولی مصر من بنی عبید، و بنی له جوهر القائد القاهرة، و هو أوّل خلیفة سکن مصر من بنی عبید؛ و لهذا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۷

کنا نقول فی تراجمهم الأوّل من خلفاء مصر و الرابع ممّن ولی من آبائه بالمغرب، و علی هذا سلکنا فی تراجمهم-.

قال: و الخامس ابنه نزار و یلقّب بالعزیز بالله، و السادس ابنه منصور و یلقب بالحاکم بأمر اللّه، و السابع ابنه علیّ و یلقّب بالظاهر لدین اللّه، و الثامن ابنه معدّ و یلقّب بالمستنصر بالله و قد ولی ستین سنة، و التاسع أبو القاسم أحمد و یلقّب بالمستعلی، و العاشر ابنه منصور و یلقّب بالآمر بأحکام اللّه، و انقطع نسله، و ولی ابن عمّه أبو المیمون عبد المجید بن أبی القاسم بن المستنصر [و یلقّب بالحافظ لدین اللّه] و هو الحادی عشر، و الثانی عشر ولده إسماعیل و یلقّب بالظافر، و الثالث عشر أبو القاسم عیسی و یلقّب بالفائز بنصر اللّه، و الرابع عشر عبد اللّه بن یوسف بن الحافظ و یلقّب بالعاضد». انتهی کلام صاحب مرآة الزمان و غیره.

قلت-: فائدة جلیلة- لم یل الخلافة أحد من الفاطمیّین بعد أخیه، و هذا لم یقع لغیرهم. و أمّا عدد خلفاء بنی أمیة فهم کما قال: أربعة عشر، لکنه ما عدّهم، فنقول: هم معاویة بن أبی سفیان، ثم ابنه یزید بن معاویة، ثم ابنه معاویة بن یزید، ثم مروان بن الحکم، ثم ابنه عبد الملک بن مروان، ثم ابنه الولید ابن عبد الملک، ثم أخوه سلیمان بن عبد الملک، ثم ابن عمّه عمر بن عبد العزیز بن مروان، ثم یزید بن عبد الملک، ثم أخوه هشام بن غبد الملک ثم الولید الفاسق ابن یزید بن عبد الملک، ثم ابن عمّه یزید بن الولید بن عبد الملک، المعروف بالناقص، ثم أخوه إبراهیم، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحکم المعروف بالحمار؛ و هو آخرهم، قتل بسیف بنی العباس. و قد خرجنا عن المقصود و لنعد إلی ترجمة العاضد و ما یتعلّق به.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۸

قلت: و کان وزیر العاضد شاور. و شاور هذا هو الذی وقع له مع الأمیر أسد الدین شیرکوه الآتی ذکره ما وقع. یأتی ذلک کلّه فی ترجمة ابن أخیه السلطان صلاح الدین یوسف بن أیّوب مفصّلا؛ لکن نذکر هنا من أحوال شاور المذکور نبذة کبیرة لیکون الناظر بعد ذلک فیما یأتی علی بصیرة بترجمة شاور المذکور.

و کان شاور قد وزر للعاضد بعد قتل رزّیک ابن الملک الصالح طلائع بن رزّیک.

و کان دخوله إلی القاهرة من قوص فی سنة ثمان و خمسین و خمسمائة لمّا ملکها رزّیک، و دخل معه خلق کثیر و نزل بدار سعید السعداء، و دخل معه أولاده طییء و شجاع. فلما وزر زاد الأجناد علی ما کان لهم عشر مرّات. و کان یجلس و الأبواب مغلّقة علیه خیفة من حواشی رزّیک. و کان رزّیک أنشأ أمراء یقال لهم البرقیة، و یقال لکبیرهم ضرغام. فولّی شاور ضرغاما المذکور الباب، و کان فارسا شجاعا، جمع علی شاور حتی أخرجه من القاهرة و قتل ولده الأکبر المسمی بطیّئ، و بقی ابنه شجاع المنعوت بالکامل. فسار شاور إلی الشام، و استنجد بالملک العادل نور الدین محمود بن زنکی بن آق سنقر المعروف بالشهید؛ فأرسل معه الملک العادل أحد أمرائه و هو الأمیر أسد الدین شیرکوه بن شادی. یأتی ذکر ذلک کلّه فی آخر هذه الترجمة، و أیضا فی ترجمة السلطان صلاح الدین یوسف بن أیّوب بأوسع من هذا، بعد أن نذکر أقوال جماعة من المؤرّخین فی حقّ العاضد هذا و أحواله.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبیّ فی تاریخ الإسلام- بعد ما ساق نسبته إلی أن قال-: العبیدیّ الرافضیّ الذی زعم هو و بیته أنّهم فاطمیّون، و هو آخر خلفاء مصر.

ولد سنة ستّ و أربعین و خمسمائة فی أوّلها. فلمّا هلک الفائز ابن عمّه و استولی الملک الصالح طلائع بن رزّیک الدیار المصریّة، بایع العاضد و أقامه صورة، و کان کالمحجور علیه لا یتصرّف فی کلّ ما یرید، و مع هذا کان رافضیّا سبّابا خبیثا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۳۹

قال ابن خلّکان: کان إذا رأی سنّیّا استحلّ دمه. و سار وزیره الملک الصالح طلائع بن رزّیک بسیرة مذمومة، و احتکر الغلّات فغلت

الأسعار، و قتل أمراء الدولـة خیفـة منهم، و أضـعف أحوال دولتهم، فقتل ذوى الرأى و البأس و صادر أولى الثروة. و فى أیام العاضـد ورد حسـین بن نزار بن المستنصـر العبیدىّ من المغرب و قد جمع و حشد؛ فلمّا قارب مصر غدر به أصحابه و قبضوا علیه و أتوا به إلى العاضد فذبحه صبرا فى سـنة سـبع و خمسـین. ثم قتل العاضد طلائع بن رزّیک و وزر له شاور؛ فکان سبب خراب دیاره؛ و دخل أسد الـدین إلى دیار مصـر و قتل شاور، و مات أسـد الدین شـیرکوه و قام فى الأمر ابن أخیه صـلاح الدین یوسف ابن أیوب، و تمکّن فى المملکة. انتهى.

و قال القاضـى جمال الـدین بن واصل: حکى لى الأمیر حسام الدین بن أبى علىّ قال: کان جدّى فى خدمة صـلاح الدّین، فحکى أنّه لمّا وقعت هذه الواقعة (یعنى وقعة السودان بالقاهرة) التى زالت دولتهم فیها، و زالت آل عبید من مصر (یأتى ذکر هذه الواقعة فى آخر ترجمة العاضد إن شاء اللّه تعالى) قال: و شـرع صلاح الدین یطلب من العاضد أشیاء من الخیل و الرقیق و الأموال لیتقوّى بذلک. قال: فسیّرنى یوما إلى العاضـد أطلب منه فرسا و لم یبق عنده إلّا فرس واحد، فأتیته و هو راکب فى البسـتان المعروف بالکافورىّ الذى یلى القصر، فقلت: السلطان صلاح الدین یسلّم علیک و یطلب منک فرسا؛ فقال: ما عندى إلّا الفرس الذى أنا راکبه، و نزل عنه و شقّ خفّیه و رمى بهما و سلّم إلىّ الفرس، فأتیت به صلاح الدین، و لزم العاضد بیته.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۰

و اشـتغل صـلاح الدین بالأمر و بقى العاضد معه صورة إلى أن خلعه و خطب فى حیاته لأمیر المؤمنین المستضیء بأمر اللّه العبّاسىّ، و أزال اللّه تلک الدولة المخذولة.

انتهى.

و قال الشـیخ شـهاب الـدین أبو شامـة: اجتمعت بالأمیر أبى الفتوح بن العاضد و هو مسـجون مقید فى سـنة ثمان و عشـرین و سـتمائة، فحکى لى أن أباه فى مرضه استدعى صلاح الدین فحضر، فأحضرونا (یعنى أولاده) و نحن صغار فأوصاه بنا، فالتزم إکرامنا و احترامنا. ثم قال أبو شامة: و هم أربعة عشـر خلیفة و عدّهم نحوا ممّا ذکرناه، إلى أن قال: و یدّعون الشـرف، و نسبتهم إلى مجوسىّ أو یهودىّ، حتّى اشـتهر لهم ذلک بین العوامّ، فصاروا یقولون الدولـة الفاطمیّـة و الدولـة العلویّـة، و إنما هى الدولة الیهودیة و المجوسـیة الملحدة الباطنیّـة. قـال: و قـد ذکر ذلک جماعـة من العلماء الأکابر [و] أنهم لم یکونوا لـذلک أهلا و لا نسـبهم صـحیحا بل المعروف أنهم بنو عبید، و کان والد عبید هذا من نسل القدّاح الملحد المجوسـىّ. قال: و قیل إن والد عبید هذا کان یهودیّا من أهل سلمیة و کان جوادا. و عبیـد کان اسـمه سـعیدا، فلمّا دخل المغرب تسـمّى بعبیـد اللّه و ادّعى نسـبا لیس بصـحیح؛ قال ذلک جماعة من علماء الأنساب. ثم ترقّت به الحال إلى أن ملک المغرب و بنى المهدیّة و تلقّب بالمهدىّ، و کان زندیقا خبیثا عدوّا للإسلام، من أوّل دولتهم إلى آخرها، و ذلک من ذى الحجة سـنة تسع و تسـعین و مائتین إلى سـنة سـبع و ستین و خمسـمائة. و قد بیّن نسـبهم جماعة مثل القاضى أبى بکر الباقلانى، فإنّه کشف فى أوّل کتابه المسمّى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۱

«کشف أسـرار الباطنیّة» عن بطلانى نسب هؤلاء إلى علىّ- رضـى اللّه عنه-، و کذلک القاضـى عبد الجبار بن أحمد استقصـى الکلام فى أصولهم. انتهى.

قلت. و قـد ذکرنا نوعا من ذلک فى عـدّة تراجم من هـذا الکتاب من بنى عبیـد المذکورین، و فى المحضـر المکتتب من جهة الخلیفة القائم بأمر اللّه العبّاسـىّ و غیره و قال بعضـهم: کانت وفاة العاضـد فى یوم عاشوراء بعـد إقامـة الخطبة بیویمات قلیلة فى أوّل جمعة من المحرّم لأمیر المؤمنین المستضـیء بالله، و العاضـد آخر خلفاء مصـر؛ فلمّا کانت الجمعـة الثانیة خطب بالقاهرة أیضا للمستضـیء بسائر الجوامع، و رجعت الدعوة العبّاسـیّة بعد أن کانت قد قطعت بها (أعنى الدیار المصـریّة و أعمالها) أکثر من مائتى سنة. و تسلّم السلطان الملک الناصـر صـلاح الدین یوسف بن أیّوب قصر الخلافة، و استولى على ما کان به من الأموال و الذخائر، و کانت عظیمة الوصف،

و قبض على أولاد العاضد و حبسهم فى مكان واحد بالقصر، و أجرى عليهم ما يموّنهم و عفّى آثارهم، و قمع مواليهم و سائر نسائهم. قال: و كانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله، فلنعم ما فعل؛ فإنّ هؤلاء كانوا باطنيّين زنادقة دعوا إلى مذهب التناسخ و اعتقاد حلول الجزء الإلهى فى أشباحهم. و قد قال الحاكم لداعيه: كم فى جريدتك؟ قال ستة عشر ألفا يعتقدون أنّك الإله. و قال قائلهم- و أظنّه فى الحاكم بأمر اللّه-:

[الكامل]

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهّار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۲

قال: فلعن اللّه المدّاح و الممدوح؛ فليس هذا فى القبح إلّا كقول فرعون: أنا ربّكم الأعلى. و قال الحافظ شمس الدين الذهبىّ: و قال بعض شعرائهم فى المهدىّ- و هو غاية فى الكفر-:

[البسيط]

حلّ برقّادة المسيح حلّ بها آدم و نوح

حلّ بها اللّه فى علاه و ما سوى اللّه فهو ريح

قال: و هذا أعظم كفرا من النصارى؛ لأنّ النصارى يزعمون أن الجزء الإلهى حلّ بناسوت عيسى فقط، و هؤلاء يعتقدون حلوله فى جسد آدم و نوح و الأنبياء و جميع الأمة. هذا اعتقادهم. لعنهم اللّه!.

و قال القاضى شمس الدين بن خلّكان- رحمه اللّه-: سمعت جماعة من المصريّين يقولون: هؤلاء القوم فى أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: اكتب لنا ألقابا فى ورقة تصلح للخلفاء، حتى إذا تولّى واحد لقّبوه ببعض تلك الألقاب.

فكتب لهم ألقابا كثيرة، و آخر ما كتب فى الورقة العاضد؛ فاتّفق أنّ آخر من ولى منهم تلقّب بالعاضد. و هذا من عجيب الاتّفاق. و أخبرنى أحد علماء المصريّين أيضا: أنّ العاضد المذكور فى آخر دولته رأى فى منامه أنّه بمدينة مصر، و قد خرجت إليه عقرب من مسجد هو معروف بها، فلدغته. فلما استيقظ ارتاع لذلك فطلب بعض معبّرى الرؤيا و قصّ عليه المنام؛ فقال: ينالك مكروه من شخص هو مقيم بالمسجد. فطلب والى مصر و قال له: اكشف عمّن هو مقيم بالمسجد الفلانىّ- و كان العاضد قد رأى ذلك المسجد- فإذا رأيت به أحدا أحضره إلىّ. فمضى الوالى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۳

إلى المسجد فوجد به رجلا صوفيّا، فأخذه و دخل به إلى العاضد. فلمّا رآه سأله من أين هو، و متى قدم البلاد، و فى أىّ شىء قدم؟ [و هو يجاو به عن كلّ سؤال].

فلمّا ظهر منه ضعف الحال و الصدق و العجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئا و قال له: يا شيخ، ادع لنا و خلّى سبيله، و خرج من عنده و عاد إلى المسجد. فلمّا استولى السلطان صلاح الدّين على الديار المصريّة و عزم على قبض العاضد [و أشياعه] و استفتى الفقهاء [و أفتوه] بجواز ذلك لما كان عليه من انحلال العقيدة و فساد الاعتقاد و كثرة الوقوع فى الصحابة و الاشتهار بذلك، فكان أكثرهم مبالغة فى الفتيا الصوفىّ المقيم بالمسجد، و هو الشيخ نجم الدين الخبوشانىّ. انتهى كلام ابن خلّكان.

و لمّا استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، كتب إلى الوزير ببغداد على يد شمس الدين محمد بن المحسّن بن الحسين بن أبى المضاء البعلبكّىّ الذى خطب أوّل شىء بمصر لبنى العبّاس بإشارة السلطان صلاح الدين، و كان الكتاب من إنشاء القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ، و كان ممّا فيه:

«و قد توالت الفتوح غربا و يمنا و شاما، و صارت البلاد [بل الدنيا] و الشهر بل الدهر حرما حراما، و أضحى الدّين واحدا بعد ما كان أديانا، و الخلافة إذا ذكّر بها أهل الخلاف لم يخرّوا عليها صمّا و عميانا؛ و البدعة خاشعة، و الجمعة جامعة، و المذلّة فى شيع الضلال

شائعة؛ و ذلک بأنّهم اتّخذوا عباد اللّه من دونه أولیاء، و سمّوا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۴

أعداء اللّه أصفیاء؛ و تقطّعوا أمرهم [بینهم] شیعا، و فرّقوا أمر الأمة و کان مجتمعا؛ و کذّبوا بالنار فعجّلت لهم نار الجتوف، و نثرت أقلام الظّبا حروف رءوسهم نثر الأقلام للحروف؛ و مزّقوا کلّ ممزّق، و أخذ منهم کلّ مخنّق، و قطع دابرهم، و وعظ آئبهم غابرهم، و رغمت أنوفهم و منابرهم؛ و حقّت علیهم الکلمة تشریدا و قتلا، و تمّت کلمات ربّک صدقا و عدلا. و لیس السیف عمّن سواهم من [کفّار] الفرنج بصائم، و لا اللّیل عن السیر إلیهم بنائم. و لا خفاء عن المجلس الصاحبیّ أنّ من شدّ عقد خلافة و حلّ [عقد] خلاف، و قام بدولة و قعد بأخری قد عجز عنها الأخلاف و الأسلاف؛ فإنّه مفتقر إلی أن یشکر ما نصح، و یقلّد ما فتح، و یبلّغ ما اقترح، و یقدّم حقّه و لا یطّرح، و یقرّب مکانه و إن نزح؛ و تأتیه التشریفات الشریفة.

- ثم قال بعد کلام آخر-: و قد أنهض لإیصال ملطّفاته، و تنجیز تشریفاته؛ خطیب الخطباء بمصر، و هو الذی اختاره بمصر لصعود المنبر، و قام بالأمر قیام من برّ.

و استفتح بلبس السواد الأعظم، الذی جمع اللّه علیه السواد الأعظم».

ثم کتب السلطان صلاح الدّین إلی الملک العادل نور الدین یطلب منه أباه و أقاربه. و یأتی ذلک کلّه فی ترجمة صلاح الدین مفصّلا، إن شاء اللّه تعالی.

و قد ذکرنا أقوال جماعة من العلماء و المؤرّخین فی أحوال العاضد و تولیته و وفاته و نسبه.

و الآن نذکر الأسباب التی کانت سببا لذهاب ملک العاضد و زوال دولة الفاطمیّین بنی عبید من دیار مصر، و ابتداء ملک بنی أیّوب علی سبیل الاختصار مجملا.

و قد ذکرنا ذلک کلّه فی التراجم و الحوادث علی عادة سیاق هذا الکتاب من أوّله

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۵

إلی آخره؛ غیر أنّ الذی نذکره هنا متعلّق بالوزراء و کیفیّة انفصال الدولة الفاطمیة و اتّصال الدولة الأیّوبیّة.

فأوّل الأمر قتل العاضد وزیره الملک الصالح طلائع بن رزّیک، و کنیته أبو الغارات الأرمنیّ الأصل. أقام وزیرا بمصر سبع سنین، و قد ذکرنا ابتداء أمره فی آخر ترجمة الظافر و أوّل ترجمة الفائز، و کان الفائز معه کالمحجور علیه. و لمّا مات الفائز أقام العاضد هذا فی الخلافة، و تولّی تدبیر ملکه علی عادته، و ولّی شاور بن مجیر السعدیّ الصعید. ثم ثقل طلائع هذا علی العاضد فدبّر فی قتله. فلمّا کان عاشر شهر رجب سنة ستّ و خمسین و خمسمائة حضر الصالح طلائع إلی قصر الخلافة، فوثب علیه باطنیّ فضر به بسکّین فی رأسه، ثم فی ترقوته فحمل إلی داره، و قتل الباطنیّ.

و مات الملک الصالح طلائع بن رزّیک من الغد، فحزن الناس علیه لحسن سیرته، و أقیم المأتم علیه بالقصر و بالقاهرة و مصر. و کان جوادا ممدّحا فاضلا شاعرا کثیر الصدقات حسن الآثار، بنی جامعا خارج بابی زویلة یعرف بجامع الصالح، و آخر بالقرافة و تربة إلی جانبه، و هو مدفون بها. و قام بعده فی الوزر أبنه رزّیک بن طلائع

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۶

ابن رزیک، و لقّب بمجد الإسلام. و فرح العاضد بقتل طلائع المذکور إلی الغایة، و کان فی ذلک عکسه؛ علی ما یأتی: و هو أن رزّیک لمّا وزر مکان والده طلائع سار علی سیرة أبیه، فلم یحسن ذلک ببال العاضد، فأحبّ ذهابه أیضا لیستبدّ بالأمور من غیر وزیر؛ فدسّ إلی شاور، فتحرّک شاور بن مجیر السعدیّ من بلاد الصعید و جمع أوباش الصعید من العبید و الأوغاد، و قدم إلی القاهرة تحرابا لرزّیک.

فخرج إلیه رزیک بن طلائع و قاتله و العاضد فی الباطن مع شاور، فانهزم رزّیک.

و دخل شاور إلى القاهرة و ملكها و أخرب دور الوزارة و دور بنى رزّيك؛ و اختفى الوزير رزّيك المذكور إلى أن ظفر به شاور و قتله. يأتى بعض ذكر ذلك فى الحوادث كلّ واحد على حدته.

و تولّى شاور الوزارة، فعلمل العاضد بأفعال قبيحة و أساء السّيرة فى الرعيّة، و أخذ أمر مصر فى وزارته فى إدبار. و لمّا كثر ظلمه خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر من الصعيد- و قيل من مصر- و حشد. فخرج إليه شاور بدسته فهزمه ضرغام، و قتل ولده الأكبر طيىء؛ و خذل أهل القاهرة شاور لبغضهم له.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۵؛ ص۳۴۶

رب شاور إلى الشام و دخل إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد؛ فالتقاه نور الدين و أكرمه. فطلب شاور منه النجدة و العساكر و أطمعه فى الديار المصرية، و قال له: أكون نائبك بها، و أقنع بما تعيّن لى من الضّياع و الباقى لك. فأجّابه نور الدين لذلك و جهّز له العساكر مع الأمير أسد الدين شيركوه بن شادى الكردىّ، أحد أمراء نور الدين. و خرجوا من دمشق فى العشرين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۷

من جمادى سنة سبع و خمسين و خمسمائة، و كان مع أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب فى خدمته. فلمّا و صلوا إلى القاهرة خرج إليهم أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار، فحار بهم أيّاما و وقع بينهم حروب و أمور يطول شرحها، إلى أن التقوا على باب القاهرة؛ فحمل ضرغام بنفسه فى أوائل الناس فطعن و قتل، و استقام أمر شاور. فكانت وزارة ضرغام تسعة أشهر. و استولى شاور ثانيا على القاهرة. و كان خبيثا سفّا كاللدماء. و لمّا ثبت أمره ظهر منه أمارات الغدر بأسد الدّين شيركوه. فأشار صلاح الدين يوسف بن أيّوب على عمّه أسد الدين شيركوه بالتأخّر إلى بلبيس. و كان أسد الدين لا يقطع أمرا دون صلاح الدين، ففعل ذلك و خرج إلى بلبيس، و بعث أسد الدين يطلب من شاور رزق الجند (أعنى النفقة) فاعتذر و تعلّل عليه. فكتب أسد الدين إلى نور الدين يخبره بما جرى، و دسّ شاور إلى الفرنج رسلا يدعوهم إلى مصر و يبذل لهم الأموال، فاجتمع الفرنج من الساحل و ساروا من الدّاروم متّفقين مع شاور على أسد الدين شيركوه. فتهيّأ أسد الدين لحربهم و حاربهم فقوى الفرنج عليه و حاصروه بمدينة بلبيس نحو شهرين حتّى صالحهم أسد الدين على مال. و كان حصارهم له من أوّل شهر رمضان إلى ذى القعدة. و وقع بينهم حروب و أمور حتى بلغهم أنّ نور الدين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۸

الشهيد قصد بلادهم من الشام؛ فعند ذلك رجعت الفرنج و صالحوا أسد الدين شيركوه، فعاد أسد الدين إلى الشام و هو فى غاية من القهر.

و أقام شاور بالقاهرة على عادته يظلم و يقتل و يصادر الناس، و لم يبق للعاضد معه أمر و لا نهى. و أقام أسد الدين بدمشق فى خدمة نور الدين إلى سنة اثنتين و ستين، فعاد بعساكر الشام إلى مصر ثانيا. و سببه أنّ العاضد لمّا غلب عليه شاور كتب إلى نور الدين يستنجده على شاور و أنّه قد استبدّ بالأمر و ظلم و سفك الدم. و كان فى قلب نور الدين من شاور حرازة لكونه غدر بأسد الدين شيركوه و استنجد عليه بالفرنج. فخرج أسد الدين بعساكر الشام من دمشق فى منتصف شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و ستين المذكورة، و سار أسد الدين و معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب حتّى نزل برّ الجيزة غربىّ مصر على بحر النيل. و كان شاور قد أعطى الفرنج الأموال و أقطعهم الإقطاعات و أنزلهم دور القاهرة و بنى لهم أسواقا تخصّهم. و كان مقدّم الفرنج الملك مرّى و ابن نيرزان.

فأقام أسد الدين على الجيزة شهرين، و عدّى إلى برّ مصر و القاهرة فى خامس عشرين جمادى الآخرة، و خرج إليه شاور و الفرنج. و رتّب شاور عساكره، فجعل الفرنج على الميمنة مع ابن نيرزان، و عسكر مصر فى الميسرة، و أقام الملك مرّى الفرنجىّ فى القلب فى

عسکره من الفرنج. و رتّب أسد الدین عساکره فجعل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۴۹

صلاح الدین فی المیمنة؛ و فی المیسرة الأکراد، و أسد الدین فی القلب، فحمل الملک مرّی علی القلب فتعتعه، و کانت أثقال المسلمین خلفه فاشتغل الفرنج بالنهب؛ و حمل صلاح الدین علی شاور فکسره و فرّق جمعه. و عاد أسد الدین إلی ابن أخیه صلاح الدین و حملا علی الفرنج فانهزموا، فقتلا منهم ألوفا و أسرا مائة و سبعین فارسا.

و طلبوا القاهرة، فلو ساق أسد الدین خلفهم فی الحال ملک القاهرة، و إنّما عدل إلی الإسکندریة فتلقّاه أهلها طائعین، فدخلها و ولّی علیها صلاح الدین.

فأقام صلاح الدین بها و سار أسد الدین إلی الصعید فاستولی علیه، و أقام یجمع أمواله. و خرج شاور و الفرنج من القاهرة فحصروا الإسکندریة أربعة أشهر، و أهلها یقاتلون مع صلاح الدین و یقوّونه بالمال. و بلغ أسد الدین فجمع عرب البلاد و سار إلی الإسکندریة، فعاد شاور إلی القاهرة و راسل أسد الدین حتّی تمّ الصلح بینهم، و أعطی شاور أسد الدین إقطاعا بمصر و عجّل له مالا. فعاد أسد الدین إلی الشام و معه صلاح الدین. و اعتذر أسد الدین إلی الملک العادل نور الدین محمود بکثرة الفرنج و المال. و رأی صلاح الدین لأهل الإسکندریة ما فعلوا، فلمّا ملک مصر بعد ذلک أحسن إلیهم.

ثم إنّ الفرنج طلبوا من شاور أن یکون لهم شحنة بالقاهرة و یکون أبوابها بأیدی فرسانهم و تحمل إلیهم فی کلّ سنة مائة ألف دینار، و من سکن منهم بالقاهرة یبقی علی حاله و یعود بعض ملوکهم إلی الساحل؛ فأجابهم شاور إلی ما طلبوا منه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۰

کل ذلک تقرّر بین شاور و الفرنج و العاضد لا یعلم بشیء منه. و سار بعض الفرنج إلی الساحل. و کان الملک العادل نور الدین محمود یخاف علی مصر من غلبة الفرنج علیها، فسار بعساکره من دمشق و فتح المنیطرة و قلاعا کثیرة؛ فخاف من کان بمصر من الفرنج. و بیناهم فی ذلک عاد الفرنج من الساحل إلی نحو مصر فی سنة أربع و ستین، و طمعوا فی أخذها. و کان خروجهم من عسقلان و الساحل إلی نحو مصر فی أوائل السنة، و ساروا حتّی نزلوا ببلبیس، و أغاروا علی الریف و أسروا و قتلوا.

هذا و قد تلاشی أمر الدیار المصریة من الظلم و لم یبق للعاضد من الخلافة سوی الاسم و الخطبة لا غیر.

فلمّا بلغ شاور فعل الفرنج بالأریاف، أخرج من کان بمصر من الفرنج بعد أن أساء فی حقّهم قبل ذلک، و قتل منهم جماعة کبیرة و هرب الباقون. ثم أمر شاور أهل مصر بأن ینتقلوا إلی القاهرة ففعلوا، و أحرق شاور مصر. و سار الفرنج من بلبیس حتّی نزلوا علی القاهرة فی سابع صفر، و ضایقوها و ضربوها بالمجانیق. فلم یجد شاور بدّا أن کاتب الملک العادل نور الدین محمودا بأمر العاضد. و کان الفرنج لمّا و صلوا إلی مصر فی المرّتین الأولیین اطّلعوا علی عوراتها و طمعوا فیها؛ و علم نور الدین بذلک فأسرع بتجهیز العساکر خوفا علی مصر. ثم جاءته کتب شاور و العاضد؛ فقال نور الدین لأسد الدین شیرکوه: خذ العساکر و توجّه إلیها؛ و قال لصلاح الدین: اخرج مع عمّک أسد الدین؛ فامتنع و قال: یا مولای، یکفی ما لقینا من الشدائد فی تلک المرّة.

فقال نور الدین: لا بدّ من خروجک؛ فما أمکنه مخالفة مخدومه نور الدین المذکور؛ فخرج مع عمّه، و ساروا إلی مصر. و بلغ الفرنج ذلک فرجعوا عن مصر إلی الساحل.

و قیل: إن شاور أعطاهم مائة ألف دینار. و جاء أسد الدین بمن معه من العساکر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۱

و نزل علی باب القاهرة. فاستدعاه العاضد إلی القصر و خلع علیه فی الإیوان خلعة الوزارة و لقّبه بالمنصور، و سرّ أهل مصر بذلک. و قیل: إنّه لم یستدعه، و إنّما بعث إلیه بالخلع و الأموال و الإقامات؛ و کذلک إلی الأمراء الذین کانوا معه. و أقام أسد الدین مکانه و أرباب الدولة یتردّدون إلی خدمته فی کلّ یوم، و لم یقدر شاور علی منعهم لکثرة العساکر و لکون العاضد مائلا إلی أسد الدین

المذكور. فكاتب شاور أيضا الفرنج و استدعاهم و قال لهم: يكون مجيئكم إلى دمياط فى البحر و البرّ. فبلغ ذلك أعيان الدولة بمصر، فاجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه و قالوا له:

شاور فساد العباد و البلاد، و قد كاتب الفرنج، و هو يكون سبب هلاك الإسلام. ثم إنّ شاور خاف لما تأخّر وصول الفرنج، فعمل فى عمل دعوة لأسد الدين المذكور و لأمرائه و يقبض عليهم. فنهاه ابنه الكامل و قال له: و اللّه لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرّفنّ أسد الدين. فقال له أبوه شاور: و اللّه لئن لم نفعل هذا لنقتلنّ كلّنا. فقال له ابنه الكامل: لأن نقتل و البلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل و البلاد بيد الفرنج.

و كان شاور قد شرط لأسد الدين شيركوه ثلث أموال البلاد؛ فأرسل أسد الدين يطلب منه المال؛ فجعل شاور يتعلّل و يماطل و ينتظر وصول الفرنج؛ فابتدره أسد الدين و قتله.

و اختلفوا فى قتله على أقوال، أحدها أنّ الأمراء اتّفقوا على قتله لمّا علموا مكاتبته للفرنج، و أنّ أسد الدين تمارض، و كان شاور يخرج إليه فى كلّ يوم و الطبل و البوق يضربان بين يديه على عادة وزراء مصر.- قلت: و على هذا القول يكون قول من قال: إنّ الغاضد خلع على أسد الدين شيركوه بالوزارة و لقّبه بالمنصور فى أوّل قدومه إلى مصر ليس بالقوىّ، و لعلّ ذلك يكون بعد قتل شاور، على ما سيأتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۲

ذكره.- فجاء شاور ليعود أسد الدين فقبض عليه و قتله. و الثانى أنّ صلاح الدين و جرديك اتّفقا على قتله و أخبرا أسد الدين فنهاهما، و قال: لا تفعلا، فنحن فى بلاده و معه عسكر عظيم، فأمسكا عن ذلك إلى أن اتّفق أنّ أسد الدين ركب إلى زيارة الإمام الشافعىّ- رضى اللّه عنه- و أقام عنده، فجاء شاور على عادته إلى أسد الدين فالتقاه صلاح الدين و جرديك و قالا: هو فى الزيارة انزل، فامتنع؛ فجذباه فوقع إلى الأرض فقتلاه. و الثالث أنّهما لمّا جذباه لم يمكنهما قتله بغير أمر أسد الدين فسحبه الغلمان إلى الخيمة و انهزم أصحابه عنه إلى القاهرة ليجيّشوا عليهم.

و علم أسد الدين فعاد مسرعا، و جاء رسول من العاضد برقعة يطلب من أسد الدين رأس شاور، و تتابعت الرّسل. و كان أسد الدين قد بعث إلى شاور مع الفقيه عيسى يقول: لك فى رقبتى أيمان، و أنا خائف عليك من الذى عندى فلا تجىء. فلم يلتفت و جاء على العادة فوقع ما ذكرناه. و لما تكاثرت الرسل من العاضد دخل جرديك إلى الخيمة و جزر رأسه، و بعث أسد الدين برأسه إلى العاضد فسرّبه. ثم طلب العاضد ولد شاور الملك الكامل و قتله فى الدّهليز و قتل أخاه، و استوزر أسد الدين شيركوه، و ذلك فى شهر ربيع الأوّل. و هذا الذى أشرنا إليه من أنّ ولاية أسد الدين للوزر كانت بعد قتل شاور.

و لما قتل شاور و ابنه الكامل، بعث العاضد منشورا بالوزارة لأسد الدين بخطّ القاضى الفاضل و عليه خطّ العاضد بما صورته:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۳

«هذا عهد لم يعهد إلى وزير بمثله، فتقلّد ما أراك اللّه أهلا بحمله؛ و خذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة، و اسحب ذيل الافتخار بخدمتك بيت النبوّة؛ و الزم حقّ الإمامة تجد إلى الفوز سبيلا، و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و قد جعلتم اللّه عليكم كفيلا». ثم أرسل العاضد نسخة الأيمان إلى أسد الدين، و حلف كلّ واحد منهما لصاحبه على الوفاء و الطاعة و الصفاء. فتصرّف أسد الدين شهرين و مات. و لمّا احتضر أوصى إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فولّى صلاح الدين الوزارة و لقّب بالملك الناصر، على ما يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما بأوضح من ذلك.

و لمّا وزر صلاح الدين اختلف عليه جماعة من الأمراء عقيب وفاة أسد الدين.

و بلغ الملك العادل نور الدين اتّفاق الأمراء عليه بمصر؛ فقال له توران شاه بن أيّوب الذى لقّب بعد ذلك بالملك المعظّم، و كان أسنّ من صلاح الدين: يا مولانا، أريد أن أسير إلى أخى (يعنى إلى صلاح الدين) فقال له نور الدين: إن كنت تسير إلى مصر و ترى

يوسف أخاك بعين أنّه كان يقف فى خدمتك و أنت قاعد فلا تسر، فإنّك تفسد العباد و البلاد فتحوجنى إلى عقوبتك بما تستحقّه، و إن كنت تسير إليه و ترى أنّه قائم مقامى و تخدمه كما تخدمنى، و إلّا فلا تذهب إليه. فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۴

يا مولانا، سوف يبلغك ما أفعل من الخدمة و الطاعة. و سار إلى مصر فتلقّاه صلاح الدين من بلبيس و خدمه و قدّم له المال و الخيل و التّحف، و أقام عنده على أحسن حال، و فعل ما ضمن لنور الدين من خدمة أخيه صلاح الدين، و قوى أمر صلاح الدين به و استقام أمره. كلّ ذلك و الخطبة باسم العاضد فى هذه السنين إلى سنة سبع و ستين و خمسمائة، على ما يأتى ذكره فى ترجمة السلطان صلاح الدين.

و لمّا تمّ أمر صلاح الدين بمصر خاف العاضد عاقبة أمره. و كان للعاضد خادم يقال له مؤتمن الخلافة، و كان مقدّم السودان و الخدم و المشار إليه بالقصر.

فأمره العاضد بقتال الترك و الغزّ. و اتّفق العسكر المصرىّ مع الخادم و ثاروا على الترك فقتلوا منهم جماعة. فركب صلاح الدين و شمس الدولة و دخلا إلى باب القصر، و تقاتلا مع مؤتمن الخلافة، و أبلى شمس الدولة بلاء حسنا، و قتل الخادم مؤتمن الخلافة و جماعة كبيرة من السودان بعد حروب و قتال عظيم. فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتّب عليه و يقول له: فأين أيماناتكم! هذا الخادم جاهل فعل ما فعل بغير أمرنا فقال صلاح الدين: نحن على الأيمان و العهود ما نتغيّر، و ما قتلنا إلّا من قصد قتلنا. و قول العاضد: أين الأيمان و العهود يعنى بذلك أنّه لمّا مات أسد الدين شيركوه و أوصى لابن أخيه صلاح الدين المذكور اختلف جماعة من أمراء نور الدين الذين كانوا قدموا مع أسد الدين على صلاح الدين، و رام كلّ واحد منهم الأمر لنفسه استصغارا بصلاح الدين، و هم: عين الدين الياروقى رأس الأتراك، و سيف الدين المشطوب ملك الأكراد، و شهاب الدين محمود صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۵

حارم و هو خال صلاح الدين، و جماعة أخر؛ فبادر العاضد و استدعى صلاح الدين و خلع عليه فى الإيوان خلعة الوزارة و كتب عهده و لقّبه الملك الناصر. و قيل:

الذى لقّبه بالملك الناصر إنّما هو الخليفة المستضىء العباسىّ بعد ذلك.

و لمّا ولى الوزارة شرع الفقيه عيسى فى تفريق البعض عن بعض، و أصلح الأمور لصلاح الدين، على ما يأتى فى ترجمة صلاح الدين بعد ذلك. و بذل صلاح الدين الأموال و أحسن لجميع العسكر الشامىّ و المصرىّ فأحبّوه و أطاعوه، و أقام نائبا عن نور الدين، يدعى لنور الدين على منابر مصر بعد الخليفة العاضد، و لصلاح الدين بعدهما. و استمرّ صلاح الدين على ذلك و الخطبة للعاضد، و قد ضعف أمره و قوى أمر صلاح الدين، حتّى كانت أوّل سنة سبع و ستين و خمسمائة، فكتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة لبنى عبيد، و أن يخطب بمصر لبنى العبّاس. فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألّا يجيبوه و لم يسعه مخالفة أمر نور الدين، و قال: ربّما وقعت فتنة لا تتدارك؛ فكتب الجواب إلى نور الدين يخبره بذلك، فلم يسمع منه نور الدين و خشّن عليه فى القول، و ألزمه إلزاما لا محيد عنه.

و مرض العاضد، فجمع صلاح الدين الأمراء و الأعيان و استشارهم فى أمر نور الدين بقطع الخطبة للعاضد و الدعاء لبنى العبّاس، فمنهم من أجاب و منهم من امتنع؛ و قالوا: هذا باب فتنة و ما يفوت ذلك، و الجميع أمراء نور الدين، فعاودوا نور الدين فلم يلتفت و أرسل إلى صلاح الدين يستحثّه فى ذلك؛ فأقامها و العاضد مريض. و اختلفوا فى الخطيب فقيل: إنّه رجل من الأعاجم يسمّى الأمير العالم، و قيل: هو رجل من أهل بعلبكّ يقال له محمد بن المحسّن بن أبى المضاء البعلبكّىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۶

المقدّم ذكره الذى توجّه فى الرسلية من قبل صلاح الدين إلى بغداد، و قيل: إنّه كان رجلا شريفا عجميا، ورد من العراق أيام الوزير

الملک الصالح طلائع بن رزّیک.

قلت: فأشبه أمر الفاطمیّین فی هـذا الأمر أمر العباسـیین لمّا انتقلت الدعوة منهم إلی الفاطمیّین بنی عبید؛ فإنّه أوّل من خطب للمعزّ معدّ أوّل خلفاء مصـر من بنی عبیـد الخطیب عمر بن عبـد السـمیع العبّاسـیّ الخطیب بجامع عمرو و جامع أحمد ابن طولون، و هذا من باب المکافأة و المجـازاة (أعنی أنّ الـذی خطب لبنی عبیـد کـان عبّاسـیا و الـذی خطب لبنی العبّاس الآن علویّ). انتهی أمر الفاطمیّین. و أقیمت الخطبة لبنی العبّاس فی أوّل المحرّم، و العاضد مریض، فأخفی عنه أهله ذلک؛ و قیل:

بلغه، فأرسل إلی صلاح الدین یستدعیه لیوصیه، فخاف أن یکون خدیعة فلم یتوجّه إلیه.

و مات العاضد فی یوم عاشوراء سـنة سبع و ستین و خمسمائة، و انقضت دولة الفاطمیّین من مصر بموته. و ندم صلاح الدین علی قطع خطبته، و قال: لیتنی صبرت حتّی یموت. ثمّ کتب صلاح الدین یخبر الملک العادل نور الدین بإقامة الدعوة العبّاسیّة بمصر. فکتب نور الدین کتابا إلی بغداد من إنشاء العماد الکاتب الأصبهانیّ، و فیه:

[الخفیف]

قد خطبنا للمستضیء بمصر نائب المصطفی إمام العصر

و لدینا تضاعفت نعم اللّ ه و جلّت عن کلّ عدّ و حصر

و استنارت عزائم الملک العا دل نور الدین الهمام الأغرّ

هو فتح بکر و دون البرایا خصّنا اللّه بافتراع البکر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۷

و هی أطول من ذلک. و صـفا الوقت لصـلاح الـدین و سـمی السـلطان، و صار یخطب باسـمه علی منابر مصـر بعد الخلیفة العبّاسـیّ و الملک العادل نور الدین محمود.

و کان ابتداء مرض العاضد من أواخر ذی الحجة سـنة ست و ستین و خمسـمائة. فلمّا کان رابع المحرّم سنة سبع و ستین جلس العاضد فی قصره بعد الإرجاف بأنّه أثخن فی مرضه، فشوهد و هو علی ما حقّق الإرجاف من ضعف القوی و تخاذل الأعضاء و ظهور الحمّی. و قیل: إنّ الحمّی فشت بأعضائه، و أمسک طبیبه المعروف بابن السدیـد عن الحضور إلیه، و امتنع من مـداواته و خـدله، مساعـدة علیه للزمان و میلا مع الأیام. ثم خطب فی سابع المحرّم باسم الخلیفة المستضیء بالله العبّاسیّ و صرّح باسمه و لقبه و کنیته بمصر، حسب ما تقـدم ذکره. فمات العاضد بعد ذلک بثلاثة أیام فی یوم الاثنین یوم عاشوراء. و کان لموته بمصـر یوم عظیم إلی الغایة، و عظم مصابه علی المصـریّین إلی الغایة، و وجدوا علیه وجدا عظیما لا سیّما الرافضة؛ فإنّ نفوسهم کادت تزهق حزنا لانقضاء دولة الرافضة من دیار مصر و أعمالها. و قد تقدّم التعریف بأحوال العاضد فی أوّل ترجمته من عدة أقوال، فلا حاجة لتکرار ذلک فی هذا المحل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۶]

السنة الأولی من ولایة العاضد علی مصر و هی سنة ستّ و خمسین و خمسمائة.

فیها توفی محمود بن نعمة الشـیخ أبو الثناء الشّیرازیّ الشاعر المشـهور. کان أدیبا فاضـلا بارعا. و من شعره یعارض قول ابن سکّرة فی قوله:

[البسیط]

جاء الشتاء و عندی من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

کیس و کنّ و کانون و کأس طلا مع الکباب و کسّ ناعم و کسا
فقال الشّیرازیّ:
[الطویل]
یقولون کافات الشتاء کثیرة و ما هی إلّا فرد کاف بلا مرا
إذا صحّ کاف الکیس فالکلّ حاصل لدیک و کلّ الصید یوجد فی الفرا
و لغیره فی المعنی:
[الوافر]
و کافات الشتاء تعدّ سبعا و ما لی طاقة بلقاء سبع
إذا ظفرت بکاف الکیس کفی ظفرت بمفرد یأتی بجمع
و أمّا ما یشبه قول ابن سکّرة فکثیر. من ذلک ما قاله ابن قزل:
[البسیط]
عجّل إلیّ فعندی سبعة کملت و لیس فیها من اللّذات إعواز
طار و طبل و طنبور و طاس طلا و طفلة و طباهیج و طنّاز
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۵۹
قلت: لم یحک وفاته الشنب. و أکثر الصّفدیّ فی المعنی فقال:
[البسیط]
إن قدّر اللّه لی بالعمر و اجتمعت سبع فما أنا فی اللّذات مغبون
قصر و قدر و قوّاد و قحبته و قهوة و قنادیل و قانون
و له أیضا:
[الطویل]
ثمانیة إن یسمح الدهر لی بها فمالی علیه بعد ذلک مطلوب
مقام و مشروب و مزج و مأکل و ملهی و مشموم و مال و محبوب
و للّسراج الورّاق فی هذا المعنی أیضا- و هو عندی أقربهم لقول ابن سکّرة-:
[البسیط]
عندی فدیتک لذّات ثمانیة أنفی بها الحزن إن وافی و إن وردا
راح و روح و ریحان و ریق رشا و رفرف و ریاض ناعم وردا
و لغیره فی المعنی:
[البسیط]
إذا بلغت من الدّنیا و لذّتها سبعا فإنّی فی اللذات سلطان
خمر و خود و خاتون و خاتمها و خضرة و خلاعات و خلّان
و قد خرجنا عن المقصود فی الاستطراد فی معنی هذین البیتین. و لنعد لما نحن بصدده.
و فیها کانت مقتلة وزیر العاضد الملک الصالح طلائع بن رزّیک الأرمنیّ أبی الغارات، أقام وزیرا سبع سنین. و قد تقدّم ذکر طلائع هذا فی ترجمة جماعة من خلفاء مصر: الحافظ و الفائز و العاضد، و کیف کان قدومه إلی مصر و کیف قتل.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۰

و كان ملكا جوادا ممدّحا شاعرا بليغا. و من شعره من جملة أبيات، و كان قد خرج من الحمّام فقال:

[الخفيف]

نحن فى غفلة و نوّم و للمو ت عيون يقظانة لا تنام

قد دخلنا الحمّام عاما و دهرا ليت شعرى متى يكون الحمام

فقتل بعد قوله بثلاثة أيام. و من شعره أيضا إلى صديق له بالشام:

[البسيط]

أحباب قلبى إن شطّ المزار بكم فأنتم فى صميم القلب سكّان

و إن رجعتم إلى الأوطان إنّ لكم صدورنا عوض الأوطان أوطان

جاورتم غيرنا لمّا نأت بكم دار و أنتم لنا بالودّ جيران

فكيف ننساكم يوما لبعدكم عنا و أشخصكم للعين إنسان

و فيها توفّى القاضى الأعزّ أبو البركات بن أبى جرادة، أخو القاضى ثقة الملک الحسن بن علىّ بن أبى جرادة. كان أبو البركات هذا أمينا على خزانة الملک العادل نور الدين الشهيد، و كان فاضلا بليغا. كتب إلى أخيه بمصر قصيدة منها:

[الطويل]

أحباب قلبى و الذين أودّهم و أشتاقهم فى كلّ صبح و غيهب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى الإشارة، قال: و فيها توفّى أبو حكيم إبراهيم بن دينار النّهروانىّ الحنبلىّ الزاهد. و الملک الصالح طلائع بن رزّيک الأرمنىّ الرافضىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۱

و أبو الفتح عبد الوهاب بن محمد بن الحسين بن الصابونىّ الخفّاف. و أبو محمد محمد ابن أحمد بن عبد الكريم التميمىّ بن المادح.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۷]

السنة الثانية من ولاية العاضد على مصر و هى سنة سبع و خمسين و خمسمائة.

فيها توفّى الحسين بن علىّ بن القاسم بن المظفّر قاضى القضاة أبو علىّ الشّهرزورىّ قاضى الموصل. كان عظيم الشأن عالما فاضلا عفيفا، رحمه اللّه.

و فيها توفّى الشيخ الصالح الزاهد عدىّ بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان ابن الحسن بن مروان بن الحكم بن مروان، القدوة شرف الدين أبو الفضائل الأموىّ الهكّارىّ، استوطن ليلش من جبل الهكّاريّة إلى أن مات بها فى سنة ثمان، و قيل سنة سبع و خمسين و خمسمائة، و دفن بزاويته؛ و قبره بها ظاهر يزار. و كان فقيها عالما عابدا فصيحا متواضعا حسن الأخلاق مع كثرة الهيبة و الوقار، و هو أحد كبار

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۲

مشايخ الطريقة، و أحد العلماء الأعلام فيها. سلک فى المجاهدة طريقا صعبا بعيدا.

و كان القطب محيى الدين عبد القادر ينوّه بذكره و يثنى عليه كثيرا، و شهد له بالسلطنة (يعنى على الأولياء)، و قال: لو كانت النبوّة تنال بالمجاهدة لنا لها الشيخ عدىّ ابن مسافر. و كان فى أوّل أمره فى الجبال و الصحارى مجرّدا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدّة سنين، و كانت الحيّات و السباع تألفه، ثم عاد و سكن بزاويته.

و تلمذ له خلق كثير من الأولياء، و تخرّج بصحبته غير واحد من ذوى الأحوال.

و كان له كلام على لسان أهل الطريقة فى توحيد البارئ عظيم. و مناقبه كثيرة يضيق هذا المحلّ عن استيعابها، رحمه اللّه.

الـذى ذكرهم الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو يعلى حمزة بن أحمد [بن فارس] بن كروّس السلمىّ الدمشقىّ. و الشيخ عدىّ بن مسافر الهكّارىّ الزاهد العارف، يوم عاشوراء. و أبو المظفّر هبة اللّه بن أحمد الشّبلىّ القصّار فى سلخ العام.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۸]

السنة الثالثة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة ثمان و خمسين و خمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد إلى قتال قليج أرسلان ابن السلطان مسعود صاحب بلاد الروم، و وقع له معه أمور و حروب.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۳

و فيها ظهر شاور بن مجير السعدىّ و جمع جمعا كثيرا و قتل وزير العاضد صاحب الترجمة رزّيك بن طلائع بن رزّيك، و تولّى الوزارة عوضه.

و فيها توفّى عبد المؤمن بن علىّ أبو محمد القيسىّ الكومىّ الـذى قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدىّ. قال ابن خلّكان: رأيت فى بعض تواريخ الغرب أن ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر، و فيه ما يكون على يده. فأقام ابن تومرت مدّه يتطلّبه حتى وجده و صحبه و هو إذ ذاک غلام، و كان يتفرّس فيه النجابة، و ينشد إذا أبصره:

[البسيط]

تكاملت فيک أوصاف خصصت بها فكلّنا بک مسرور و مغتبط

السنّ ضاحكة و الكفّ مانحة و النفس واسعة و الوجه منبسط

و كان يقول ابن تومرت لأصحابه: صاحبكم هذا غلّاب الدّول. و لم يصح عنه أنّه استخلفه، بل راعى أصحابه فى تقديمه [إشارته]، فتمّ له الأمر. و أوّل ما أخذ من البلاد و هران ثم تلمسان ثم فاس ثم مرّاكش بعد أن حاصرها أحد عشر شهرا، و ذلک فى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، و استوثق له الأمر و امتدّ ملكه إلى الغرب الأقصى و الأدنى و بلاد إفريقيّة، و تسمّى أمير المؤمنين. و قصدته الشعراء و امتدحته.

ذكر العماد الكاتب الأصبهانىّ فى «كتاب الخريدة» أنّ الفقيه أبا عبد اللّه محمد بن أبى العبّاس لمّا أنشده:

[البسيط]

ما هزّ عطفيه بين البيض و الأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

أشار إليه بأن يقتصر على هـذا البيت، و أمر له بألف دينار. و كانت وفاة عبد المؤمن المذكور فى العشر الأخير من جمادى الآخرة، و كانت مدّة ولايته ثلاثا و ثلاثين سنة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۴

و أشهرا. و الكوميّ المنسوب إليها هى كومية قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان.

و فيها توفّى محمد بن عبد الكريم أبو عبد اللّه سديد الدولة بن الأنبارى كاتب الإنشاء بديوان الخليفة. أقام كاتبا به نيّفا و خمسين سنة، و ناب فى الوزارة. و كان بينه و بين الحريرىّ صاحب المقامات مكاتبات و مراسلات.

و فيها توفّى يحيى بن سعيد النصرانىّ البغدادىّ أوحد زمانه فى الطّبّ و الأدب، له ستون مقامة ضاهى بها مقامات الحريرىّ، و له شعر جيّد. من ذلك فى الشيب:

[الخفيف]

نفرت هند من طلائع شيبى و اعترتها سآمة من وجوم

هكذا عادة الشياطين ينفر ن إذا ما بدت رجوم النجوم

الذين ذكرهم الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة؛ قال: و فيها توفّى الزاهد أبو العبّاس أحمد بن محمد بن قدامة. و أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمىّ بهمذان. و صاحب الغرب عبد المؤمن بن علىّ بن علوىّ القيسىّ التلمسانىّ فى جمادى الآخرة بمدينة سلا.

و الصاحب جمال الدين محمد بن علىّ الأصبهانىّ الملقّب بالجواد وزير الموصل.

أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم خمس أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۵۹]

السنة الرابعة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة تسع و خمسين و خمسمائة.

فيها توفّى الحسن بن محمد بن الحسن الشيخ أبو المعالى الوزكانىّ الفقيه الشافعىّ- و وركان: بلد بنواحى قاشان- كان إماما فى فنون العلوم، عاش نيّفا و ثمانين سنة.

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن [أبى] المنصور الوزير أبو جعفر جمال الدين الأصبهانىّ وزير الأتابك زنكى و سيف الدين غازى و قطب الدين مودود، و كان هو الحاكم على الدولة. و كان بينه و بين زين الدين كوجك مصافاة و عهود و مواثيق.

و كانت الموصل فى أيامه ملجأ لكلّ ملهوف. و لم يكن فى زمانه من يضاهيه و لا يقاربه فى الجود و النّوال؛ و كان كثير الصّلات و الصدقات، بنى مسجد الخيف بمنى و غرم عليه أموالا عظيمة، و جدّد الحجر إلى جانب الكعبة، و زخرف البيت بالذهب، و بنى أبواب الحرم و شيّدها و رفع أعتابها صيانة للحرم؛ و بنى المسجد الذى على عرفة و الدرج الذى فيها، و أجرى الماء إلى عرفات، و عمل البرك و المصانع؛ و بنى على مدينة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم سورا، و كانت الأعراب تنهبها، و كان الخطيب يقول على المنبر: اللّهمّ صن من صان حرم حريم نبيّك محمد صلى اللّه عليه و سلم. و كانت صدقاته تسير إلى المشرق و المغرب، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى أبو الفرج عبد اللّه بن أسعد بن علىّ بن عيسى الموصلىّ المعروف بابن الدهّان و بالحمصىّ أيضا، الفقيه الشافعى المنعوت بالمهذّب الشاعر المشهور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۶

كان فصيحا فقيها فاضلا أديبا شاعرا، غلب عليه الشعر و اشتهر به، و له ديوان صغير و كلّه جيّد، و رحل البلاد و مدح بمصر الوزير الصالح طلائع بن رزّيك و غيره. و من شعره فى غلام لسبته نحلة فى شفته:

[الرمل]

بأبى من لسبته نحلة آلمت أكرم شىء و أجلّ

أثّرت لسبتها فى شفة ما براها اللّه إلّا للقبل

حسبت أنّ بفيه بيتها إذ رأت ريقته مثل العسل

و من شعره أيضا:

[الكامل]

قالوا سلا، صدقوا، عن السّ لّوان ليس عن الحبيب

قالوا فلم ترك الزيا رة قلت من خوف الرقيب

قالوا فكيف يعيش مع هذا فقلت من العجيب

الذين ذكرهم الذهبىّ [وفاتهم] فى هذه السنة، قال: فيها توفّى أبو سعد عبد الوهاب بن الحسن الكرمانىّ آخر من روى عن ابن خلف و غيره. و السيد أبو الحسن علىّ بن حمزة العلوىّ الموسوىّ بهراة، و كان مسندها و له إحدى و تسعون سنة. و أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغبان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و عشر أصابع. و زاد بعد طلوع السّماك بعدّة أيام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۷

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۰]

السنة الخامسة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة ستين و خمسمائة.

فيها فتح الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى الشهيد بانياس عنوة، و كان معه أخوه نصرة الدين، فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه؛ فقال له أخوه نور الدين:

لو كشف عما أعدّ لك من الأجر لتمنّيت ذهاب الأخرى، فحمد اللّه على ذلك.

و فيها فوّض الملك العادل شحنجية دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأظهر صلاح الدين السياسة و هذّب الأمور، و ذلك فى حياة والده و عمّه أسد الدين شيركوه.

و فيها توفّى أمير أميران نصرة الدين بن زنكى بن آق سنقر التركىّ أخو الملك العادل نور الدين المقدّم ذكره فى ذهاب عينه فى فتح بانياس. و كان أميرا شجاعا مقداما عزيزا على أخيه نور الدين محمود، و عظم مصابه عليه؛ رحمه اللّه.

و فيها توفّى حسّان بن تميم بن نصر الشيخ أبو الندى الدمشقىّ المحدّث، سمع الحديث و حجّ و مات فى شهر رجب، و دفن بمقبرة باب الفراديس.

و فيها توفّى الشيخ المعتقد محمد بن إبراهيم الكيزانىّ أبو عبد اللّه الواعظ المصرىّ.

قيل إنه كان يقول: إنّ أفعال العباد قديمة. و لمّا مات دفن عند قبر الإمام الشافعىّ بالقرافة الصغرى، و استمرّ هناك إلى أن نبشه الشيخ نجم الدين الخبوشانىّ فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب و أخرجه، فدفن بمكان آخر فى القرافة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۸

و قبره معروف يقصد للزيارة. قيل إنّ الخبوشانىّ لمّا أراد نبشه قال: لا يتّفق مجاورة زنديق إلى صدّيق. ثم نبشه قال صاحب المرآة و غيره: كان (يعنى الكيزانىّ) زاهدا عابدا قنوعا من الدنيا باليسير. و له شعر جيّد، و ديوانه مشهور. و من شعره:

[الرمل]

اصرفوا عنّی طبیبی و دعونی و حبیبی

علّلوا قلبی بذکرا ه فقد زاد لهیبی

طاب هتکی فی هواه بین واش و رقیب

ما أبالی بفوات النّ فس ما دام نصیبی

لیس من لام و إن أط نب فیه بمصیب (۱)

جسدی راض بسقمی و جفونی بنحیبی

و من شعره أیضا قوله من أبیات:

[الکامل]

یا من یتیه علی الزمان بحسنه اعطف علی الصّبّ المشوق التائه

أضحی یخاف علی احتراق فؤاده أسفا لأنّک منه فی سودائه

قلت: و للکیزانیّ کلام فی علم الطریق و لسان حلو فی الوعظ، و کان للناس فیه محبّة و لکلامه تأثیر فی القلوب؛ و لا یلتفت لقول الخبوشانیّ فیه؛ لأنّهما أهل عصر واحد، و تهوّر الخبوشانیّ معروف، کما سیأتی ذکره فی وفاته إن شاء اللّه تعالی.

و فیها توفّی محمد بن عبد اللّه بن عبّاس الشیخ أبو عبد اللّه الحرّانیّ. کان شهد عند القاضی أبی الحسن الدامغانیّ الحنفیّ، و عاش حتّی لم یبق من شهوده غیره. و سمع الحدیث، و صنّف کتابا سمّاه «روض الأدباء». قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۶۹

ابن الجوزیّ فی تاریخه: زرته یوما و أطلت الجلوس عنده؛ فقلت له: ثقّلت علیک. فأنشدنی- رحمه اللّه-:

[الوافر]

لئن سمّیت إبراما و ثقلا زیارات رفعت بهنّ قدری

فما أبرمت إلّا حبل ودّی و لا ثقّلت إلّا ظهر شکری

و کانت وفاته فی جمادی الآخرة.

و فیها توفّی یحیی بن محمد بن هبیرة بن سعید بن حسن الشیبانیّ- قد رفع نسبه صاحب مرآة الزمان إلی عدنان- هو الوزیر عون الدین أبو المظفّر بن هبیرة.

ولد سنة تسع و تسعین و أربعمائة بقریة الدّور من أعمال العراق، و قرأ بالروایات و سمع الحدیث الکثیر، و قرأ النحو و اللغة و العروض، و تفقّه علی مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رضی اللّه عنه، و صنّف الکتب الحسان. و کان قبل وزارته فقیرا؛ فلما أضرّ الفقر بحاله تعرّض للخدمة، فجعله الخلیفة المقتفی مشرفا فی المخزن، ثم صار صاحب الدیوان ثم استوزره، فسار فی الوزارة أجمل سیرة. و کان دیّنا جوادا کریما. دخل علیه الحیص بیص الشاعر مرّة؛ فقال له ابن هبیرة: قد نظمت بیتین، تقدر أن تعزّزهما بثالث؟ قال: و ما هما؟ قال:

[البسیط]

زار الخیال بخیلا مثل مرسله ما شاقنی منه إلّا الضّمّ و القبل

ما زارنی قطّ إلّا کی یوافقنی علی الرّقاد فینفیه و یرتحل

فقال الحیص بیص من غیر رویّة:

و ما دری أنّ نومی حیلة نصبت لوصله حین أعیا الیقظة الحیل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۰

فأعجبه و أجازه. و کانت وفاة ابن هبیرة فی جمادی الأولی فجأة، و له إحدی و ستون سنة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو العبّاس أحمد ابن عبد اللّه [بن أحمد بن هشام] بن الحطیئة الفاسیّ الناسخ المقرئ بمصر.

و أبو النّدی حسّان بن تمیم الزیّات. و الوزیر أبو المظفّر سعید بن سهل الفلکیّ فی شوّال. و أبو الحسن علیّ بن أحمد اللّبّاد بأصبهان.

و علیّ بن أحمد بن مقاتل السّوسیّ الشّاغوریّ. و أبو القاسم عمر بن محمد بن البزریّ الشافعیّ فقیه الجزیرة.

و أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن العبّاس الحرّانیّ العدل ببغداد. و القاضی أبو یعلی الصغیر شیخ الحنابلة محمد بن أبی خازم ابن القاضی أبی یعلی بن الفرّاء. و الشریف أبو طالب محمد بن محمد بن أبی زید العلویّ البصریّ النقیب. و الوزیر عون الدّین یحیی بن محمد بن هبیرة الشیبانیّ فی جمادی الأولی فجأة و له إحدی و ستون سنة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ثمانی عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۱]

السنة السادسة من ولایة العاضد علی مصر و هی سنة إحدی و ستین و خمسمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۱

فیها هرب عزّ الدین محمد بن الوزیر عون الدّین بن هبیرة من دار الخلافة، و کان صودر بعد موت والده.

و فیها توفّی عبد العزیز بن الحسین بن الحبّاب أبو المعالی القاضی الجلیس السعدیّ، کان یجالس خلفاء مصر من بنی عبید فسمّی الجلیس. و کان أدیبا مترسّلا شاعرا. و من شعره و أبدع:

[الطویل]

و من عجیب أنّ الصوارم فی الوغی تحیض بأیدی القوم و هی ذکور

و أعجب من ذا أنّها فی أکفّهم تأجّج نارا و الأکفّ بحور

و فیها توفّی شیخ الإسلام تاج العارفین محیی الدین أبو محمد عبد القادر بن أبی صالح موسی بن عبد اللّه بن یحیی الزاهد بن محمد بن داود بن موسی بن عبد اللّه ابن موسی الجون بن عبد اللّه المحض بن الحسن أبی محمد المثنّی بن الحسن بن علیّ ابن أبی طالب الهاشمیّ القرشیّ العلویّ الجیلیّ الحنبلیّ السید الشریف الصالح المشهور المعروف بسبط أبی عبد اللّه الصّومعیّ الزاهد. و کان یعرف بجیلان. و أمّه أمّ الخیر أمة الجبّار فاطمة بنت أبی عبد اللّه الصّومعیّ. مولده بجیلان فی سنة إحدی و سبعین و أربعمائة. کان شیخ العراق صاحب حال و مقال، عالما عاملا قطب الوجود، إمام أهل الطریقة، قدوة المشایخ فی زمانه بلا مدافعة. و مناقبه و شهرته أشهر من أن تذکر. کان ممّن جمع بین العلم و العمل، أفتی و درّس و وعظ سنین، و نظم و نثر؛ و کان محقّقا، صاحب لسان فی التحقیق، و بیان فی الطریق. و هو أحد المشایخ الذین طنّ ذکرهم فی الشرق و الغرب. أعاد اللّه علینا من برکاته و برکات أسلافه الطاهرین.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۲

و فیها توفّی محمد بن حیدر بن عبد اللّه الشیخ أبو طاهر البغدادیّ الأدیب الشاعر المعروف بابن شعبان. و من شعره من أوّل قصیدة:

[الطویل]

خلیلیّ هذا آخر العهد منکما و منّی فهل من موعد نستجدّه

و فيها توفّى محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة أبو عبد اللّه عزّ الدّين ابن الوزير عون الدين. كان فاضلا كبير الشأن عظيم القدر. ناب عن أبيه فى الوزارة مدّة، ثم قبض عليه بعد موت أبيه و صودر و حبس، ثم هرب من محبسه خوفا على نفسه فلم يستتر أمره؛ و أخذ و قتل خنقا. و كان من بيت علم و فضل و رياسة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو طاهر إبراهيم ابن الحسن بن الحصين الشافعىّ بدمشق. و أبو عبد اللّه الحسن بن العبّاس الرّستمىّ الشافعىّ فى صفر و له ثلاث و تسعون سنة. و أبو محمد عبد اللّه بن رفاعة بن غدير السّعدىّ الفرضىّ فى ذى القعدة و له أربع و تسعون سنة. و الحافظ أبو محمد عبد اللّه ابن محمد الأشيرىّ- و أشير: بين حمص و بعلبكّ- و أبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن العجمىّ بحلب. و القدوة الشيخ عبد القادر الجيلى شيخ العراق و له تسعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و إحدى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۲]

السنة السابعة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة اثنتين و ستين و خمسمائة.

فيها تزوّج الخليفة المستنجد باللّه بابنة عمّه أبى نصر بن المستظهر، و دخل بها فى شهر رجب ليلة الدعوة التى كان يعملها فى كلّ سنة للصوفيّة و غيرهم؛ و غنّى المغنّى:

[الطويل]

يقول رجال الحىّ تطمع أن ترى محاسن ليلى مت بداء المطامع

و كيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها و ما طهّرتها بالمدامع

و تلتذّ منها بالحديث و قد جرى حديث سواها فى خروق المسامع

و كان مع الصوفيّة رجل من أهل أصبهان، فقام قائما و جعل يقول للمغنّى:

«أى خواجا كفت» و هو يكرّر ذلك، و المغنّى يعيد الأبيات حتى وقع الرجل ميتا؛ فصار ذلك الفرح مأتما؛ و بكى الخليفة و الصوفيّة و لا زالوا يتراقصون حوله إلى الصباح، فحملوه إلى الشّونيزيّة فدفنوه بها، و كان له مشهد عظيم.

و فيها عاد الأمير أسد الدين شيركوه بعساكر دمشق إلى مصر، و هى المرّة الثانية. و قد تقدّم ذلك كلّه فى ترجمة العاضد.

و فيها احترقت اللّبّادون و باب الساعات بدمشق حريقا عظيما صار تاريخا.

و سببه أنّ بعض الطبّاخين أو قد نارا عظيمة تحت قدر هريسة و نام، فاحترقت دكّانه و لعبت النار فى اللّبّادين و غيرها إلى أن عظم الأمر.

و فيها توفّى أحمد بن علىّ بن الزّبير القاضى الرشيد. كان أصله من أسوان و سكن مصر، و كان من شعراء شاور بن مجير السّعدىّ، و له فيه مدائح، إلّا أنّه لم ينج من شرّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۴

شاور، اتّهمه بمكاتبة أسد الدين شيركوه فقتله. و كان فاضلا شاعرا، و له التصانيف المفيدة، من ذلك كتاب «جنّات الحنان و رياض الأذهان» ذيّل به على اليتيمة.

و من شعره:

[الطويل]

تواطا على ظلمى الأنام بأسرهم و أظلم من لاقيت أهلى و جيرانى

لكل امرئ شيطان جنّ يكيده بسوء ولى دون الورى ألف شيطان

و فيها توفّى يحيى بن عبد اللّه بن القاسم القاضى تاج الدين الشّهرز و رىّ. كان إماما فاضلا شاعرا فصيحا، مات بالموصل. و من شعره يوازن قصيدة مهيار التى يقول فيها:

[المتقارب]

و عطّل كئوسك إلّا الكبار تجد للصغار أناسا صغارا

و فيها توفّى محمد بن الحسن [ابن محمد] بن على العلّامة أبو المعالى بن حمدون الكاتب، الملقّب كافى الكفاة، بهاء الدين البغدادىّ. كان فاضلا ذا معرفة تامّة بالأدب و الكتابة من بيت مشهور بالرياسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفّر. و أبو المعالى هذا هو مصنّف كتاب «التذكرة» و هو من أحسن التصانيف، يشتمل على التاريخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۵

و الأدب و الأشعار، وقفت عليه و هو فى غاية الحسن. و كان ابن حمدون المذكور صاحب ديوان الخليفة المستنجد العباسىّ، و روى عن المستنجد قول أبى حفص الشّطرنجىّ فى جارية حولاء، و هو:

[الطويل]

حمدت إلهى إذ بليت بحبّها و بى حول يغنى عن النظر الشّزر

نظرت إليها و الرقيب يخالنى نظرت إليه فاسترحت من العذر

و قال ابن خلّكان: إنّه توفّى ببغداد فى يوم الأربعاء من شهر رجب سنة خمس و سبعين و خمسمائة، بخلاف ما ذكرناه من قول أبى المظفّر.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: فيها توفّى أبو البركات الخضر ابن شبل بن الحسين بن عبد الواحد خطيب دمشق. و الحافظ أبو سعد عبد الكريم [ابن محمد] بن منصور التميمىّ السّمعانىّ تاج الإسلام محدّث خراسان فى شهر ربيع الأوّل و له ست و خمسون سنة. و أبو عروبة عبد الهادى بن محمد بن عبد اللّه بن عمر بن مأمون السجستانىّ الزاهد. و جمال الأئمة بن الماسح أبو القاسم علىّ بن الحسن الكلابىّ الدمشقىّ فى ذى الحجّة. و أبو الحسن علىّ بن مهدىّ بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۶

الهلال الطبيب. و العلّامة أبو شجاع عمر بن محمد البسطامىّ ثم البلخىّ. و أبو عاصم قيس بن محمد السّويقىّ المؤذّن. و أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن ثابت المصرىّ الكيزانىّ الواعظ فى المحرّم. و أبو المعالى محمد بن محمد بن محمد فى شهر ربيع الآخر.

و المبارك بن المبارك بن صدقة السمسار. و أبو طالب المبارك بن خضير الصيرفىّ.

و أبو الفرج مسعود بن الحسن الثقفىّ فى رجب و له مائة سنة. و أبو القاسم هبة اللّه ابن الحسن الدقّاق فى المحرّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۳]

السنة الثامنة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة ثلاث و ستين و خمسمائة.

فيها أبيع الورد ببغداد مائة رطل بقيراط و حبّة.

و فيها زاد ظلم أبى جعفر بن البلدىّ وزير الخليفة، و استغاث أهل بغداد منه.

و فيها توفّى ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجذامىّ الإسكندرىّ المعروف بالحدّاد الشاعر المشهور. كان فصيحا فاضلا بليغا. و شعره فى غاية الحسن. و هو صاحب القصيدة الذالية التى أوّلها:

[الكامل]

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ما سحّ و ابل دمعه و رذاذه

ما زال جيش الحبّ يغزو قلبه حتّى و هى و تقطّعت أفلاذه

لم يبق فيه من الغرام بقيّة إلّا رسيس يحتويه جذاذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۷

من كان يرغب فى السلامة فليكن أبدا من الحدق المراض عياذه

لا تخدعنّك بالفتور فإنّه نظر يضرّ بقلبك استلذاذه

يأيّها الرّشأ الذى من طرفه سهم إلى حبّ القلوب نفاذه

درّ يلوح بفيك من نظّامه خمر يجول عليه من نبّاذه

و قناة ذاك القدّ كيف تقوّمت و سنان ذاك اللّحظ ما فولاذه

رفقا بجسمك لا يذوب فإنّنى أخشى بأن يجفو عليه لاذه

هاروت يعجز عن مواقع سحره و هو الإمام فمن ترى أستاذه

تاللّه ما علقت محاسنك امرأ إلّا و عزّ على الورى استنقاذه

أغربت حبّك بالقلوب فأذعنت طوعا و قد أودى بها استحواذه

مالى أتيت الحبّ من أبوابه جهدى فدام نفاره و لواذه

إيّاك من طمع المنى فعزيزه كذليله و غنّيه شحّاذه

و منها:

دالّية ابن دريد استهوى بها قوما غداة نبت به بغداذه

دانوا لزخرف قوله فتفرّقت طمعا بهم صرعاه أو جذاذه

و يحكى أنّ ابن ظفر أمير الإسكندريّة أحضره مرّة ليبرد له خاتما قد ضاق فى خنصره؛ فقال ظافر المذكور:

[السريع]

قصّر عن أوصافك العالم فاعترف الناثر و الناظم

من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۸

و كانت وفاته فى هذه السنة. و قال ابن خلّكان: فى سنة تسع و عشرين و خمسمائة.

و فيها توفّى عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبّار الإمام الحافظ أبو سعيد بن السّمعانىّ التميمىّ، مولده بمرو. و كان إماما فاضلا محدّثا فقيها. ذيّل على تاريخ أبى بكر الخطيب، و رحل إلى دمشق. قال ابن عساكر: ثمّ عاد من دمشق إلى بغداد فسمّع تاريخ الخطيب و ذيّله، و عاد إلى خراسان و عبر النهر، و حدّث ببلخ و هراة. و صنّف كتابا سماه «فرط الغرام إلى ساكنى الشام» و أرسل به إلى دمشق و هو بخطّه فى ثمانية أجزاء تشتمل على أخبار و حكايات. و مات بمرو فى شهر ربيع الأوّل.

و فيها توفّى الأمير زين الدّين علىّ بن بكتكين بن مظفّر الدّين كوكبورى، المعروف كوجك، التركىّ. كان حاكما على الموصل و غيرها، و كان حسن السّيرة عادلا فى الرعيّة.

و کان أوّلا بخیلا مسیکا، ثمّ إنّه جاد فی آخر عمره، و بنی المدارس و القناطر و الجسور.

و حکی أنّ بعض الجند جاءه بذنب فرس و قال له: مات فرسی، فأعطاه عوضه؛ و أخذ ذلک الذنب آخر و جاءه به و قال له: مات فرسی، فأعطاه عوضه؛ و لا زال یتداول الذنب اثنا عشر رجلا، و هو یعلم أنّه الأوّل و یعطیهم الخیل. فلمّا أعجزوه أنشد:

[الکامل]

لیس الغبیّ بسیّد فی قومه لکنّ سیّد قومه المتغابی

فعلموا أنّه علم فترکوه. و لما کبر سنّه سلّم البلاد إلی قطب الدین مودود، و قال له:.

إنّک لا تنتفع بی، فقد کبرت و ضعفت قوّتی و خاننی سمعی و بصری. و کان الأتابک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۷۹

زنکی قد أعطاه إربل، فمضی إلیها و أقام بها حتّی مات فی ذی الحجّة. و کانت أیّامه علی الموصل إحدی و عشرین سنة و نصفا. و ملک بعده ابنه زین الدّین یوسف ابن علیّ بن مظفّر الدّین کوکبوری.

و فیها توفّی محمد بن عبد الحمید أبو الفتح علاء الدّین الرازیّ السّمرقندیّ صاحب «التعلیقة» و «المعترض و المختلف» علی مذهب الإمام الأعظم أبی حنیفة، رضی اللّه عنه. و کان إماما بارعا مفتّنا، کان من فرسان الکلام؛ قدم بغداد و ناظر و برع وفاق أهلها. و کان شحیحا بکلامه؛ فکانوا یوردون علیه أسئلة و هو عالم بأخوبتها، فیکاد ینقطع و لا یذکرها لشحّه و لئلّا تستفاد منه؛ و علم ذلک منه علماء عصره. و قیل: إنّه تنسّک و ترک المناظرة مع شهادة أهل عصره من العلماء له بالسّبق و الفضیلة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی أبو المعالی أحمد ابن عبد الغنی الباجسرائیّ. و القاضی الرشید أبو الحسین [أحمد بن] علیّ بن الزّبیر الأسوانی الکاتب بمصر. و أبو المظفّر أحمد بن محمد بن علیّ الکاغدیّ فی رجب ببغداد. و أبو بکر أحمد بن المقرّب الکرخیّ فی ذی الحجّة. و أبو المناقب حیدرة بن عمر بن إبراهیم العلویّ الزّیدیّ فی ذی الحجّة بالکوفة. و أبو طاهر الخضر بن الفضل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۰

الصّفّار، و یعرف بزحل، فی جمادی الأولی، و له إجازة عالیة. و أبو الفضل شاکر ابن علیّ الأسواریّ. و أبو محمد عبد اللّه بن علیّ الطّامذیّ المقرئ بأصبهان فی شعبان. و الشیخ العلّامة أبو النجیب عبد القاهر بن عبد اللّه السهروردیّ عن ثلاث و سبعین سنة. و أبو الحسن علیّ بن عبد الرحمن الطّوسیّ بن تاج القرّاء.

و عمرو بن سمّان البغدادیّ. و أبو الحسن محمد بن إسحاق بن محمد بن الصابئ.

و الشریف الخطیب أبو الفتوح ناصر بن الحسن الحسینیّ المقرئ بمصر. و أبو بکر محمد ابن علیّ [بن عبد اللّه] بن یاسر الجیّانیّ الأندلسیّ. و نفیسة بنت محمد بن علیّ البزّازة.

و الصائن هبة اللّه بن الحسن بن هبة اللّه بن عساکر فی شعبان و له خمس و سبعون سنة. و أبو المظفّر هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد بن السّمرقندیّ. و أبو الغنائم هبة اللّه بن محفوظ بن صصری. و مدرّس النّظامیّة أبو الحسن یوسف بن عبد اللّه ابن بندار الدمشقیّ.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۱

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۴]

السنة التاسعة من ولاية العاضد على مصر و هى سنة أربع و ستين و خمسمائة.

فيها ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى الشّهيد قلعة جعبر من صاحبها ابن مالك العقيلىّ.

و فيها قدم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصريّة و معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب لقتال الفرنج. و هذه قدمته إلى مصر الثالثة التى ملك فيها مصر، حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة العاضد: من قتله لشاور، و توليته الوزر للعاضد، و وفاته بديار مصر، و تولية صلاح الدين يوسف بعده.

و فيها توفّى حميد بن مالك بن مغيث بن نصر بن منقذ الأمير أبو الغنائم الكنانىّ.

مولده بشيزر، ثمّ انتقل منها و سكن دمشق، ثم رحل إلى حلب و مات بها فى شعبان.

و كان أديبا فاضلا شاعرا.

و فيها توفّى عبد الخالق بن أسد بن ثابت الإمام أبو محمد الدّمشقىّ الحنفىّ. كان فقيها مفتّنا عارفا بالحديث و فنون العلوم، و درس بالصادريّة بدمشق و مات بها.

و من شعره:

[الكامل]

قال العواذل ما اسم من أضنى فؤادك قلت أحمد

قالوا أتحمده و قد أضنى فؤادك قلت أحمد

الذى ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الأمير مجير الدّين [آبق بن محمد] بن بورى بن طغتكين الذى أخذ منه نور الدين دمشق، ثم صار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۲

أميرا ببغداد. و الملك أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار السعدىّ، وزير العاضد، قتله جرديك النّورىّ. و الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى فجأة بعد شاور بشهرين. و أبو محمد عبد الخالق بن أسد الحنفىّ الحافظ فى المحرّم. و أبو الحسن علىّ ابن محمد بن علىّ البلنسىّ المقرئ فى رجب و له أربع و تسعون سنة. و قاضى القضاة زكىّ الدّين علىّ بن المنتخب [محمد بن] يحيى القرشىّ الدمشقىّ فى شوّال غريبا ببغداد و له سبع و خمسون سنة. و أبو الفتح محمد بن عبد الباقى بن البطّىّ الحاجب مسند العراق فى جمادى الأولى و له سبع و ثمانون سنة. و الحافظ أبو أحمد معمر ابن عبد الواحد القرشىّ بن الفاخر الأصبهانىّ فى ذى القعدة بطريق الحجاز و له سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۵]

السنة العاشرة من ولاية العاضد على مصر، و قد وزر له الملك الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، و لم يكن له مع صلاح الدين إلّا مجرّد الاسم فقط، و هى سنة خمس و ستين و خمسمائة.

فيها نزل الفرنج على دمياط يوم الجمعة فى ثالث صفر، و جدّوا فى القتال، و أقاموا عليها ثلاثة و خمسين يوما يحاصرونها ليلا و نهارا.

و نذكر هذه الواقعة بأوسع من هذا فى أوّل ترجمة صلاح الدّين إن شاء اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۳

و فيها توفّى حمّاد بن منصور البزاعىّ الحلبىّ و يعرف بالخرّاط. كان أديبا شاعرا فصيحا. و من شعره فى كريم:

[الخفيف]

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بدرة مال و نوال الغمام قطرة ماء

قلت: و من الغاية فى هذا المعنى قول الشيخ علاء الدين علىّ الوداعىّ.

[البسيط]

من زار بابك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرّة و الكفّ عن صلة و القلب عن جابر و السمع عن حسن

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن هانىء أبو القاسم المغربىّ. كان من شعراء الخلفاء الفاطميّين. و من شعره من أوّل قصيدة مدح بها بعض خلفاء مصر:

[الرمل]

امسحوا عن ناظرى كخل السّهاد و انفضوا عن مضجعى شوك القتاد

أو خذوا منّى الذى أبقيتم ما أحبّ الجسم مسلوب الفؤاد

و فيها توفّى مودود بن زنكى بن آق سنقر الملك قطب الدّين صاحب الموصل و أخو السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد. و لمّا احتضر مودود هذا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۴

أوصى بالملك لولده عماد الدين زنكى، و كان أكبرهم و أعزّهم عليه. و كان الحاكم على الموصل فخر الدين عبد المسيح، و كان يكره عماد الدّين زنكى هذا؛ و كان عماد الدين قد أقام عند عمّه نور الدين محمود بحلب مدّة و تزوّج بابنته، فلا زال فخر الدين المذكور بقطب الدين مودود حتّى جعل العهد من بعده لولده سيف الدين غازى و عزل عماد الدين زنكى؛ فعزّ ذلك على نور الدين و قصد الموصل و قال: أنا أحقّ بتدبير ملك أولاد أخى.

الذين ذكرهم الذهبىّ فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر عبد اللّه ابن محمد بن أحمد بن النّقور البزّاز فى شعبان عن إحدى و ثمانين سنة. و أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلّم بن الحسن بن هلال الأزدىّ العدل فى جمادى الآخرة.

و أبو القاسم محمود بن عبد الكريم الأصبهانىّ التاجر. و صاحب الموصل قطب الدين مودود ابن أتابك زنكى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۵۶۶]

اشارة

السنة الحادية عشرة من ولاية العاضد على مصر، و تحكّم وزيره الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، و هى سنة ست و ستين و خمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود من دمشق إلى الموصل و سلّمها لابن أخيه عماد الدين زنكى بعد أمور وقعت بينه و بين فخر الدين عبد المسيح المقدّم ذكره فى الماضية.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۵

و فيها بنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب مدرسة للشافعيّة، و كان موضعها حبس المعونة، و بنى بها أيضا مدرسة للمالكيّة تعرف بدار الغزل. و ولّى صدر الدّين عبد الملك بن درباس الكرديّ القضاء بالقاهرة.

و فيها فى جمادى الآخرة خرج صلاح الدّين يوسف بن أيّوب بعساكر العاضد إلى الشام فأغار على غزّة و عسقلان و الرملة و مضى إلى أيلة، و كان بها قلعة فيها

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۶

جماعة من الفرنج، و التقاه الأسطول فى البحر؛ فافتتحها و قتل من فيها و شحنها بالرجال و العدد؛ و كان على درب الحجاز منها خطر عظيم. ثم عاد صلاح الدين إلى مضر فى جمادى الآخرة.

و فيها فى شعبان اشترى تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه منازل العزّ بمصر، و عملها مدرسة للشافعيّة.

و فيها توفّى الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر اللّه محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدى بأمر اللّه عبد اللّه الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. استخلف يوم مات أبوه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس و خمسين و خمسمائة.

و مولده فى سنة ثمانى عشرة و خمسمائة. و أمّه أمّ ولد تسمى «طاوس» كرجيّة، أدركت خلافته. و كان المستنجد أسمر طويل اللّحية معتدل القامة شجاعا مهيبا عادلا فى الرعيّة ذكيا فصيحا فطنا، أزال المظالم و المكوس. و كانت وفاته فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر، و دفن بداره. و كانت خلافته إحدى عشرة سنة و شهرا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۷

ذكر ولاية أسد الدين شيركوه على مصر

و قد اختلف المؤرّخون فى أمر ولايته على مصر، فمنهم من عدّه من الأمراء، و منهم من ذكره من الوزراء. و لهذا أخّرنا ترجمته إلى هذه السنة، و لم نسلك فيها طريق أمراء مصر. و قد ذكرنا من تردّده إلى مصر و قتله لشاور و توليته الوزارة من قبل العاضد نبذة كبيرة فى ترجمة العاضد المذكور. و نذكر ترجمته الآن على هيئة تراجم أمراء مصر؛ ففى مساق هذه الترجمة و فى سياق تلك الترجمة جمع بين القولين، و للناظر فيهما الاختيار، فمن شاء يجعله وزيرا، و من شاء يجعله أميرا.

هو الملك المنصور أسد الدّين شيركوه بن شادى بن مروان عمّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب. يأتى بقيّة نسبه و ما قيل فى أصله فى ترجمة ابن أخيه صلاح الدين المذكور، من أقوال كثيرة. و قد تقدّم من حديثه نبذة كبيرة. و نسوق ذلك كلّه هنا على سبيل الاختصار، فنقول:

كان شاور قد توجّه إلى الشام يستنجد نور الدين فى سنة تسع و خمسين و خمسمائة؛ فنجده بأسد الدين شيركوه هذا بالعساكر، و وصلوا إلى مصر فى الثانى من جمادى الآخرة من سنة تسع و خمسين، و غدر بهم شاور و لم يف بما وعدهم به؛ فعادوا إلى دمشق و عرّفوا نور الدين بذلك. ثم إنّ شاور ألجأته الضرورة لطلبهم ثانيا خوفا من الفرنج؛ فعاد أسد الدين ثانيا إلى مصر فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين و ستين؛ و سلك

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۸

طريق وادى الغزلان و خرج عند وادى إطفيح، فكانت بينه و بينهم وقعة هائلة.

و توجّه صلاح الدين إلى الإسكندرية و احتمى بها و حاصره شاور؛ لأنّه كان قد وقّع بينهم و بينه أيضا، و اصطلح عليهم مع الفرنج. ثم رجع أسد الدين من الصعيد نجدة لابن أخيه صلاح الدين، و أخذه و سار إلى بلبيس حتّى وقع الصلح بينه و بين المصريّين؛ و عاد إلى

الشام. فحنق نور الدين لذلك و لم يمكنه الكلام لاشتغاله بفتح السواحل، و دام ذلك إلى أن وصل الفرنج إلى مصر و ملكوها فى سنة أربع و ستين و قتلوا أهلها. أرسل العاضد يطلب النجدة من نور الدين فنجدهم بأسد الدين شيركوه، و هى ثالث مرّة، فمضى إليهم أسد الدين و طرد الفرنج عنهم، و ملك مصر فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع و ستين و خمسمائة. و عزم شاور على قتل أسد الدين و قتل أصحابه أكابر أمراء نور الدين معه؛ ففطن أسد الدين لذلك فاحترز على نفسه. و علم ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضا، فاتّفق صلاح الدين يوسف مع الأمير جرديك النّورىّ على مسك شاور و قتله؛ و اتّفق ركوب أسد الدين إلى زيارة قبر الإمام الشافعىّ- رضى اللّه عنه- و كان شاور يركب فى كلّ يوم إلى أسد الدين؛ فلمّا توجّه إليه فى هذا اليوم المذكور قيل له: إنّه توجّه إلى الزيارة.

فطلب العود؛ فلم يمكنه صلاح الدين و قال: انزل، الساعة يحضر عمّى. فامتنع فجذبه هو و جرديك فأنزلوه عن فرسه و قبضوا عليه و قتلوه بعد حضور أسد الدين. و قد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلا فى ترجمة العاضد.

و خلع العاضد على الأمير أسد الدين شيركوه المذكور بالوزارة، و لقّبه بالملك المنصور. فلم تطل مدّته و مات بعد شهرين فجأة فى يوم السبت ثانى عشر جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۵، ص: ۳۸۹

الآخرة- و قيل: يوم الأحد ثالث عشرينه- سنة أربع و ستين و خمسمائة، و دفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة. و قال ابن شدّاد: «كان أسد الدين شيركوه كثير الأكل، كثير المواظبة على أكل اللحوم الغليظة، فتواتر عليه التّخم و الخوانيق و هو ينجو منها بعد مقاساة شدّة عظيمة، ثم اعترضه بعد ذلك مرض شديد و اعتراه خانوق فقتله فى التاريخ المقدّم ذكره».

قلت: و لمّا مات تولّى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب الوزارة من بعده. و كان أسد الدين أميرا عاقلا شجاعا مدبّرا عارفا فطنا و قورا. كان هو و أخوه أيّوب من أكابر أمراء نور الدين محمود الشهيد، و هو الذى أنشأهم حتى صار منهم ما صار. رحمهم اللّه تعالى.

*** انتهى الجزء الخامس من النجوم الزاهرة، و يليه الجزء السادس، و أوّله:

ذكر ولاية السلطان الناصر صلاح الدين على مصر

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ یوم.

مركز " القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ

المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹